- مقدمة الطبعة الاولى
- مقدمة الطبعة الثانية
- الخطبة الاولى: موقف الإسلام من أعداء الإنسانية الجهل والفقر والمرض
- الخطبة الثانية: حديث ديني من وحي ميلاد الإمام الرضا عليه السلام
- الخطبة الثالثة: فلسفة العبادة بمعناه العام وعبادة الحج خاصة
- الخطبة الرابعة: الإسلام دين السعادة والسلام
- الخطبة الخامسة: دور الجهاد والشهادة في صون الامة والرسالة
- الخطبة السادسة: دور الزكاة والاحسان في سعادة الإنسان
- الخطبة السابعة: من وحي الهجرة النبوية والنصرة الحيدرية
- الخطبة الثامنة: من وحي ميلاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحفيده الصادق عليه السلام
- الخطبة التاسعة: ذكر الله سبحانه ودوره في تقديم الإنسان وسلامة مسيرته
- الخطبة العاشرة: من وحي عاشوراء
- الخطبة الحادية عشر: فلسفة الابتلاء
- الخطبة الثانية عشر: دور الإيمان في سعادة الإنسان
- الخطبة الثالثة عشر: الصبر واسبابه واقسامه وفوائده
- الخطبة الرابعة عشر: حول صفة الكرم والسخاء
- الخطبة الخامسة عشر: من وحي ميلاد الرسالة والرسول
- الخطبة السادسة عشر: فلسفة العبادة في الإسلام
- الخطبة السابعة عشر: دور الصلاة في خشوع القلب حالها واستقامة السلوك بعدها
- الخطبة الثامنة عشر: دروس تربوية من سيرة السجاد عليه السلام
- الخطبة التاسعة عشر: دور الجهاد في حفظ الإسلام وسعادة الإنسان
- الخطبة العشرون: التجارة الرابحة في الدنيا والآخرة
- الخطبة الواحدة والعشرون: التوكل على الله سبحانه ودوره في نجاح الإنسان وتقدمه
- الخطبة الثانية والعشرون: العبادات والتوبة خاصة حمامات روحية
- الخطبة الثالثة والعشرون: من وحي عيد الأضحى
- الخطبة الرابعة والعشرون: نصر الحسين الشهيد والمهدي الحفيد يتحقق بنصر الإسلام

- الخطبة الخامسة والعشرون: من وحي شهادة الإمام الصادق عليه السّلام

الشيخ حسن طراد

من وحي الإسلام

الجزء الأول

دار الزهراء

==========

(٥)

مقدمة الطبعة الاولى
من وحي الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين .

وبعد : قد مضى حين من الدهر على ما سيطلع عليه القارىء الكريم من الخطب في هذا الكتاب وهي سجينة في حبس الأشرطة حتى أراد الله لها ان يطلق سراحها وتنطلق من ظلمات الكتمان إلى نور الظهور والبيان .

وإذا أراد الله أمراً هيأ سببه وكان سبب إطلاقها وانطلاقها مؤخراً طلباً كريماً توجه من قبل جهة كريمة متضمناً الرغبة الملحة في تقديم مقدار من خطب يوم الجمعة لتكون موضوع بحث ودراسة مقدمة لإدراك غاية نبيلة خاصة وكان لا بد من إجابة الطلب وإعداد المطلوب من هذه الخطب تجاوباً مع تلك الرغبة الهادفة وتشجيعاً على حصول مطلب فيه لله رضا وللمجتمع مصلحة وصلاح .

وتحقق بذلك موضوع لإجابة طلب آخر كان قد توجه لي سابقاً من

==========

قبل دار الزهراء متضمنا إبداء الرغبة والاستعداد لطبع ما أقدمه لها من المؤلفات فقدمت الخطب المذكورة لتطبع وتشكل الجزء الاول من الكتاب المذكور على أمل حصول التوفيق لإعداد خطب ومحاضرات أخرى لتشكل الجزء الثاني وهكذا بتسلسل لأن الباقي من الخطب كثير والمحاضرات الملقاة حول مواضيع إسلامية توجيهية كثيرة أيضاً وكل ما احتاجه هو عامل الزمن وفرصة الفراغ المساعدة على إنجاز هذا المشروع الديني المربي ــ ولا يفوتني أن أنبه بدافع الواقعية والمحافظة على الموضوعية على أن هذه الخطب قد أدخلت عليها مقداراً من التعديل بحذف بعض الخصوصيات التي لا حاجة لها فعلاً وزيادة ما يناسب الموضوع من الإضافات التوجيهية مع المحافظة على جوهر الموضوع وخطوطه العريضة .

والملاحظ هو عدم التقيد في مقام تحرير الخطب بتقديم المتقدم منها تاريخا على المتأخر كما هو المناسب من الناحية الفنية المرغوبة لي إلا أن عدم وقوع الأشرطة في متناول يدي حين النقل لحالة استثنائية طارئة من جهة وعدم وجود ترتب وارتباط بعضها مع الآخر من حيث المضمون والمحتوى من جهة أخرى اقتضى الترسل وعدم التقيد بالترتيب التاريخي وسأحاول مراعاة ذلك في الأجزاء القادمة إن شاء الله تعالى وهو ولي التوفيق والمسؤول أنه يتفضل بالعون والمساعدة على القيام بما فيه رضاه ونصر ونشر الرسالة وخدمة الامة وما ذلك على رحمته تعالى بعزيز .

حسن طراد

3ــ ٥ ــ ١٤١٧

هــ

16ــ ٩ ــ

١٩٩٦ م

==========

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين وصحبه المنتجبيين .

وبعد : قد ذكرت في مقدمة الطبعة الاولى للجزء الاول من وحي الإسلام ، أن الدافع لجمع خطبه الدينية ومحاضراته التربوية كان طلبا كريماً صادراً من جهتين كريمتين وعزيزتين راغبتين في أن تخرج هذه الخطب الى عالم النور ليستفيد منها الجيل المعاصر ومن بعده من الاجيال القادمة ، دروساً تربوية تساهم في ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة التي تثمر الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة وتوصل الإنسان إلى ما اراد الله سبحانه ان يصل اليه ويحصل عليه من الكمال والسعادة في الدنيا والآخرة .

واليوم وبعد ان اشرفت نسخ هذه الطبعة على النفاذ أقول :

==========

(٨)

إن الدافع الى إعادة طبعه هو طلب كريم صادر ممن هو اكرم واعز واعظم وهو الله سبحانه الذي أمر كل مكلف وطلب منه وجوباً او استحباباً التفقه في الدين والاطلاع على ما يجب عليه او يستحب له الاطلاع عليه والالمام به ، من اصوله القويمة وفروعه الحكيمة ونظمه الهادفة التي تنظم سير الإنسان وحركته العبادية في هذه الحياة لتصل به الى الهدف الرفيع والغاية السامية التي اراد الله سبحانه وصوله اليها وهي الكمال والسعادة تمهيداً لنيلهما هناك في دار الخلود بدرجة ارقى وابقى .

وكما اوجب سبحانه التفقه في الدين وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، اوجب ايضا على المتعلم المتفقه ، ان يعلم غيره بالطريقة التي تساعده على تأدية هذه الفريضة الإسلامية المقدسة ، وحيث ان الكتابة والتأليف ونشر ما يؤلف على نطاق واسع ، يمكن العالم من القيام بدور التعليم والإفادة بأنجح اسلوب وانفع وسيلة كما هو واضح .

كان لهذه الوسيلة اهميتها في نظر التشريع الإسلامي لذلك ورد في الحديث المشهور عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ما حاصله : أن الإنسان إذا مات انقطع عمله الا من ثلاثة : علم ينتفع به وصدقة جارية وولد صالح يدعو له .

والذي يؤكد اهمية التجاوب مع هذا الطلب السماوي والتكليف الشرعي هو الشعور بالمسؤولية نحو الجيل الجديد الذي استيقظ من غفلته واستعد للنهوض من كبوته التي عرضت له نتيجة الشبهات الكثيرة والإشاعات المغرضة التي اثيرت واطلقت حول الدين وان الالتزام به ايمانا وعملاً ، رجعية وتأخر عن ركب الحضارة المعاصرة الزاحف الى الامام ، او انه افيون يخدر

الشعور ، ويمنع الشعوب من الثورة على الظلم والظالمين بما يدعو اليه من الصبر على البلاء والرضا بالقدر والقضاء

==========

(٩)

لتنال بذلك جزاء الصابرين يوم الرحيل والانتقال الى جوار رب العالمين .

إلا ان قليلاً من الدراسة والاطلاع الواعي على الرسالة الإسلامية وملاحظة نجاحها الرائع في تجربتها الرائدة على يد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم حيث استطاعت خلال فترة قصيرة ان تخرج الامة العربية من الظلمات الى النور وتجعل منها خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف بعد فعله وتنهى عن المنكر بعد تركه .

أجل : إن الملاحظة الواعية لهذه الحقيقة التاريخية البارزة ، تزيل تلك الشبهات وتوحي للإنسان الواعي بما تتمتع به تلك الرسالة الخالدة من قدرة ومرونة تساعدها على التجاوب مع حاجات كل عصر ومطالب كل جيل لانها منزلة من قبل الإله الخالق للإنسان العالم بما يصلحه ويصلح له من التشريعات في جميع المجالات .

وحيث أنها جاءت خاتمة الشرائع ورسالة الخلود كان ذلك مقتضياً اشتمالها على جميع ما تحتاجه البشرية في جميع العصور حتى لا يحتاج الإنسان المعاصر والآتي لان يضع تشريعا من قبله ليملأ به الفراغ ويتمم النقص ، ويؤكد هذه الحقيقة الإيمانية الموضوعية النص القرآني الذي يقول الله سبحانه فيه :

(**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلم ديناً**) [١] .

ويأتي الحديث المشهور القائل : « حلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة » ليؤكد هذا النص القرآني ، والحلال والحرام الواردان في هذا الحديث كناية عن مجموع احكام الشريعة

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

==========

(١٠)

الغراء الناظرة الى جميع قضايا الحياة والإنسان لتعالجها بدقة وحكمة وتعطي لكل موضوع حكمه

ولكل مشكلة حلها ولكل حاجة قضاءها بما يناسب طبيعة الإنسان المشرع له وفطرته التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله [١] .

وكما لا مجال للتبديل والتغير في خلق الإنسان وطبيعته من الناحية التكوينية كذلك لا مجال للتبديل والتغيير في نظام الله سبحانه المشرع له ، اي للإنسان من الناحية التشريعة وذلك لان التشريعات السماوية منها ما يمثل الغذاء والدواء معاً ، نظير بعض الفواكه والاطعمة التي تقوم بكلا دوري التغذية والعلاج او الوقاية ، ومنها ما يمثل الدواء المعالج للكثير من الامراض المعنوية او المادية او هما معاً ، ومن المعلوم ان الغذاء الوافي والدواء الشافي لا يعرف به إلا الطبيب الحاذق العارف بطبيعة ومزاج الشخص الذي يراد تقديم الغذاء والدواء له ، فإذا قدم له ما هو مناسب لغذائه والمعالج لدائه تحقق الغرض المطلوب وإذا قدم له ما لايناسبه من الغذاء والدواء لا يتحقق الهدف المنشود ، وكثيراً ما يتحقق عكسه والى هذه الحقيقة التكوينية والتشريعية اشار الله سبحانه بقوله :

(**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين**) [٢] .

وذلك لانه لا يراد بعدم القبول مجرد الرفض التشريعي المعبر عن الحرمة وارتكاب الإثم بالمخالفة ، بل يراد به الرفض الطبيعي التكويني نظير رفض الجسم لبعض المآكل والمشارب المرة طعماً والمضرة صحة

---

(١) إشارة الى الآية رقم ٣٠ من سورة الروم وهي قوله تعالى : (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥ .

==========

والخسارة والأخروية كناية عن المضرة الدنيوية لان الله سبحانه لا يحكم بالخسران واستحقاق العذاب في الآخرة إلا بسبب ما هو مضر ومحرم في الدنيا ، كما هو معلوم بمنطق الحكمة والعدالة الإلهية .

وانطلاقاً من الشعور بضرورة تجلية هذه الحقيقة وتوضيحها بالأسلوب العملي والبيان الادبي من اجل ترسيخ العقيدة الصحيحة في افكار الجيل وتقوية إيمانه وثقته برسالة السماء ليدخل في مدرستها التربوية انتماءً بعد دخولها في عقله وعيا وفي قلبه ايمانا ثابتا يدفعه نحو العمل والتطبيق والاستقامة في نهجها القويم التي تؤدي به الى الهدف المنشود والغرض المقصود من خلقه وتكليفه وهو الكمال والسعادة في الدنيا والآخرة .

أجل : انطلاقا من الشعور بالمسؤولية نحو المهمة الرسالية المذكورة فقد بذلت الجهد المستطاع في سبيل تأدية هذا الواجب المقدس ، ويسجد القارىء الكريم تفصيلا ما اشرت اليه اجمالاً في هذه المقدمة ، من الاهتمام والتركيز في الخطب والمحاضرات الدينية التربوية المنشورة في هذا الجزء اي الجزء الاول من وحي الإسلام ، على إبراز الجانب الحضاري والتربوي في الرسالة الاسلامية الخالدة الذي يصنع الفرد المؤمن الصالح والمجتمع الاسلامي الفاضل بالحضارة السماوية المربية التي تنور العقل بالعلم والعرفان وتضيء القلب بنور العقيدة والايمان ليحلق بجناحي المعرفة الصحيحة والعقيدة السليمة الراسخة الى سماء الرقي والتقدم في مختلف الميادين .

وبذلك تميزت الحضارة السماوية الكاملة عن الحضارة العصرية الناقصة لاعتمادها على الجانب العلمي وحده . بمعزل عن العنصر الايماني الذي يشد المخلوق الجاهل الناقص الضعيف ويربطه بخالقه

==========

(١٢)

العالم الكامل القوي ليستمد منه الوعي الحضاري والكمال الإنساني والقوة المعنوية والمادية ويسخر كل هذه الطاقات والعطاءات التي استمدها من مبدعه تعالى في سبيل خدمة نفسه ومن حوله من أبناء اسرته وافراد مجتمعه ويتجنب استخدامها فيما حرمه الله عليه مما يضر الإنسان فرداً ومجتمعاً .

ومن الوضح ان القوانين السماوية إذا طبقت وسادت حضارتها العادلة الكاملة فهي تنشر الخير والرخاء والامن والاطمئنان لتدخل الانسانية بها جنة السعادة والهناء في هذه الدنيا ومنها تنطلق الى جنة النعيم الخالد والسعادة الابدية في دار الخلود والبقاء ، وهذا ما حاولت لفت النظر اليه والتنبيه عليه بما نشر في هذا الجزء من الخطب والمحاضرات وفيما حررته في الجزء الثاني من وحي الاسلام حول فلسفة فلسفة الصيام وفي كتاب فلسفة الحج في الإسلام ، كل ذلك من اجل تأدية بعض الواجب نحو جيلنا العزيز ورسالتنا الخالدة والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

حسن طراد

14ـ ٩ ـ

١٤١٩ هـ

2ـ ١ ـ ١٩٩٩

م

==========

(١٣)

الخطبة الاولى [١]

موقف الإسلام من أعداء
الإنسانية الجهل والفقر والمرض

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الصلاة والسلام على أشرف الانبياء واعز المرسلين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين .

والسلام عليكم أيها الإخوان الاعزاء والابناء الاحباء ورحمة الله وبركاته وبعد :

حيث ان اسلامنا الخالد والصامد كان منذ فجر الدعوة الإسلامية ولا يزال الى يومنا هذا ــ يخوض جهاداً مريراً ضد اعداء الإنسانية الثلاثة وهي الجهل والفقر والمرض ــ وذلك من اجل اسعادها والسير بها على درب التقدم والكمال والفضيلة .

أجل : حيث ان الإسلام وهو شرع الله العادل الكامل ــ قد نهض

---

(١) القيت هذه الخطبة يوم الجمعة في مسجد الإمام المهدي (عج) في ١٢ ــ ٢ ــ ١٩٨٢ م .

==========

(١٤)

بهذا الدور ولا يزال مستعداً للنهوض به في كل زمان ومكان فقد احببت ان اكشف الستار عن وجه هذه الحقيقة وازيل بذلك بعض الشبهات التي اثيرت حوله وانه استنفذ اغراضه واصبح غير قادر على مواكبة التطور ومعالجة المشكلات الطارئة في الآونة الاخيرة .

وقبل الشروع بالحديث حول هذا الموضوع احب ان افتتحه بالمقطوعة الشعرية التالية وهي جزء من قصيدة اسلامية نظمت ونشرت في مجلة الاضواء الإسلامية التي كانت تصدر في النجف الاشرف والخطاب فيها موجه لإسلامنا الخالد .

حلق فـــأنـــت الـــكوكب السيار * واســطـــع فـــهديك بالسنا موار
وابعث اريجك في الحياة فأنت في * حقل الـــسعادة روضـــــة معطار
واصمد أمام الحادثـــات فـــإنها * ظلـــم تـــبدد ظلها الانـــوار
واخلد بأعمـــاق الوجود فلن يُرى * لسواك من نـــظم الضلال قرار
أفهل يقر الليل في افـــــق به * ينساب من سامي هداك نـــهار
فاصدع فوعيك ثورة فكـــــرية * واصمد فصانع مجدك القـــهـــار
واحكم فنهجك عادل لا ينطـــوي * في حكمه ضرر ولا إضـــرار
قد ابدعتك يد السمـــاء واين مـــن * صنع الســـما ما يصنع الاغيار
موَّجت ابـــعاد الحياة فأشـــرقت * من نور فجـــرك عزة وفـــخار
ورفعت مجد المسلمين بشـــرعة * سمحاء تـــدرك عندها الاوطـــار
فسموا بها نحو المعالي وارتـــقوا * شأناً تـــطـــلع نحوه الاحـــرار
وإذا اعتدى خـــصم لئيم غـــادر * فالله اكـــبر مدفـــع هـــــدار

بيان محاربة الإسلام للجهل والتخلف :

أجل : إن إسلامنا العظيم الذي شرعه الله العظيم جاء لسعادة

==========

البشرية عبر القرون ومن هنا انطلق بقوة وحزم في سبيل إزالة كل الاسباب والعوامل التي تعيق مسيرة الانسانية وتصنع لها تأخرها وشقاءها وهي كثيرة اهمها الاسباب الثلاثة التي مر ذكرها وهي الجهل والفقر والمرض .

اما الجهل فقد حاربه الاسلام وحاول القضاء عليه بالحث على طلب العلم بالكثير من آيات القرآن الكريم وسنة النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم ومن جملة الآيات الواردة في هذا المجال قوله تعالى :

(**يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات**) [١] .

وقوله سبحانه : (**هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون**) [٢] .

وقوله تعالى : (**إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء**) [٣] .

ومن الاحاديث الواردة في هذا المقام ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : في حديث آخر ما حاصله « فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ليلة البدر » .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « العلماء ورثة الانبياء » وقول الامام علي عليه السلام : قيمة كل امرىء ما يحسنه ونسب إليه قوله شعراً في مدح العلم والعلماء :

الناس من جهة التمثال اكفـــاء * أبوهم آدم والام حـــــــواء

فإن يكن لهم في اصلهم شرف * يفاخرون به فالطين والماء

---

(١) سورة المجادلة ، الاية : ١١ .

(٢) سورة الزمر ، الاية : ٩ .

(٣) سورة فاطر ، الاية : ٢٨ .

==========

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء

ففز بعلم تعش حياً به أبـــداً * الناس موتى وأهل العلم أحياء

وينقسم العلم بحسب المعلوم الى قسمين :

الاول : العلم بأصول الدين خمسة وهي التوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد .

الثاني : العلم بفروع الدين وهي ما عدا اصول الدين من الوجبات الشرعية والاحكام الدينية المتفرعة على تلك الاصول .

ويفترق الاول عن الثاني بأنه ــ أي الأول ــ لا بد ان يكون علماً جازماً ناشئاً عن دليل قاطع وبرهان ساطع ولا يجوز تحصيله عن طريق التقليد للآخرين ومتابعتهم بدون تدبر واقتناع ذاتي وهذا بخلاف العلم بالفروع فإن المكلف يكون مخيراً بين ان يدرس ويحصله عن دليل واجتهاد ــ وان يعتمد فيه على قول غيره بالتقليد والمتابعه .

وقد شرح ذلك في مكانه من الكتب المؤلفة حول هذا الموضوع فمن اراد الاطلاع التفصيلي

فليرجع إليها .

بيان معالجة الإسلام لمشكلة الفقر :

اما المرض الثاني الذي يفتك بكيان الإنسان فرداً ومجتمعاً وهو الفقر فقد وقف الإسلام منه موقفين الاول موقف الوقاية وذلك بالحث على العمل والكسب بمختلف الوسائل والاسباب التي تساعد العامل على تحصيل الثروة والوصول بها الى الحياة العزيزة الكريمة بعيداً عن الفقر وشقائه .

ومن الآيات الواردة في هذا المجال قوله تعالى :

==========

(**هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**) [١] .

وقوله تعالى :

(**وأن ليس للإنسان إلا ماسعى * وأن سعيه سوف يُرى**) [٢] .

والرويات الحاثة على العمل في سبيل الكسب وتحصيل المال من المصدر الحلال كثيرة :

منها : ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : « من طلب الدنيا حلالاً وتعففاً عن المسألة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره لقي الله وجهه كالقمر ليلة البدر » .

ومنها : ما روي عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام .

من قوله : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً وما روي عن أهل البيت عليهم السلام من قولهم : ليس منا من ترك دنياه لآخرته .

وهناك روايات كثيرة اعتبرت العمل في سبيل الكسب الحلال من اجل القيام بما يطلب من المكلف ان يقوم به نحو نفسه وعياله ومجتمعه من افضل العبادات التي يتقرب بها الى الله زلفى وان العامل في هذا السبيل افضل عند الله من العابد الذي يقصر طاقته البدنية على العبادات المستحبة .

وذلك لأن الأول ــ اي العامل ينفع نفسه واسرته ومجتمعه بكسبه

---

(١) سورة الملك ، الآية : ١٥ .

(٢) سورة النجم ، الآية : ٣٩ ــ ٤٠ .

==========

وعمله ــ بينما العابد لا ينفع إلا نفسه ــ وقيمة كل عمل تكون بقدر ما يترتب عليه من آثار إيجابية وخدمات إنسانية ويستفاد ذلك بوضوح من الحديث المشهور القائل :

« الخلق عيال الله واحبهم إلى الله أنفعهم لعياله » .

وأما الموقف العلاجي الذي وقفه الإسلام من مشكلة الفقر ومرضه المؤلم فقد تمثل بما فرضه الله سبحانه من الحق المعلوم في اموال الاغنياء للسائل والمحروم بواسطة فريضتي الزكاة والخمس مضافاً الى حثه على القيام بأفضل المستحبات وهو التصدق على الفقراء والمساكين الذين عاكستهم ظروفهم وفرضت الحاجة والفقر عليهم إما للعجز عن الكسب والعمل او لعدم توفره لهم ليحصلوا به على ما هم مضطرون له ومحتاجون اليه من النفقات الضرورية لهم ولمن يتعلق بهم .

والروايات الحاثة على التصدق كثيرة .

منها : ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : « تصدقوا ولو بتمرة فإنها تسد من الجائع وتطفئ من الخطيئة كما يطفئ الماء النار » .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « صدقة البر تطفيء غضب الرب عز وجل » .

وروي عن الإمام الباقر قوله عليه السلام : البر والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سوء .

كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله : داووا مرضاكم بالصدقة وادفعوا البلاء بالدعاء واستنزلوا الرزق بالصدقة إلخ .

وقد سمت روح فضيلة التصدق عند البعض من المؤمنين حتى بلغت درجة الإيثار وتقديم الآخرين المحتاجين على النفس ومن يتصل بها برابطة القرابة الوثيقة .

==========

وقد روى لنا القرآن الكريم قصة ذلك الإيثار العظيم الذي تجمل به جماعة من أهل بيت الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم تجاه ثلاثة من الجائعين وذلك بقوله سبحانه في سورة الإنسان ، الآية : ٨ ــ ٩ :

(**ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاءً ولاشكوراً**)

كما اشار الى قصة مماثلة حصلت من بعض افراد هذا البيت الطاهر او من بعض الاشخاص الذين اقتدوا بهم وساروا على خطهم وذلك بقوله تعالى :

(**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شُح نفسه فأولئك هم المفلحون**) [١] .

ولو ان الأمة الإسلامية طبقت تعاليم الإسلام في مجال الاقتصاد وغيره من المجالات الحياتية لكانت كما اراد الله لها ان تكون حاضراً ومستقبلاً ــ خير امة اخرجت للناس ــ في جميع المجالات ومن جميع الجهات ــ كما بلغت في التاريخ ــ وسلم الكثيرون من مأساة الفقر بتطبيق التعاليم الاقتصادية وقاية وعلاجاً كما تسلم من مرض الشرذمة والتمزق بالاعتصام بحبل الله سبحانه عملاً بقوله سبحانه :

(**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا**) [٢] .

وهكذا وقف الإسلام من المرض المادي الجسمي نفس الموقفين اللذين وقفهما مع مرض الفقر ومشكلته .

---

(١) سورة الحشر ، الآية : ٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣ .

==========

موقف الإسلام الوقائي والعلاجي من الامراض الجسمية:

أما الموقف الوقائي فقد تمثل بنظام الصحة الذي وضعه الله سبحانه وبلغه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام كتاباً وسنة قولاً وعملاً ويتجلى ذلك بوضوح في كل المحرمات من الاطعمة والاشربة التي اثبت الطب الحديث كما اثبت الواقع ــ مدى اضرارها واخطارها الصحية ويأتي نظام النظافة في الإسلام ليكون مؤكداً لذلك ومتكاملاً معه وهذا النظام على نوعين واجب ومستحب وكلاهما يساهمان في تحقق هدف الصحة والجمال .

أما الواجب فهو يتمثل بالاغسال التي اوجبها الله سبحانه مقدمة لعمل واجب تتوقف صحته عليها كالصلاة والصوم ويلحق بها الوضوء الواجب من حيث سبب الوجوب والفائدة الصحية المترتبة عليه ــ كما يلحق بها طهارة البدن والثوب الذي يصلي به المكلف بعد ملاحظة اشتراط صحة الغسل والوضوء بطهارة البدن كله ــ في الغسل واعضاء الوضوء بالنسبة اليه اي الوضوء من النجاسات المعهودة او الاعيان المتنجسة بها ــ مع ملاحظة ما تشتمل عليه هذه النجاسات من انواع المكروبات التي تؤدي بطبعها الى الإصابة بالامراض الخطيرة .

أجل : إن ملاحظة ما يترتب على تناول الاطعمة والاشربة المحرمة من الاضرار وما يترتب على المكروبات الكامنة في الاعيان النجسة والمتنجسة بها ــ من الامراض مع ملاحظة ان الإسلام لم يحرم تلك الا ليقينا من اضرارها ولم يوجب علينا الطهارة من الحدث والخبث الا ليسلمنا من تلك الامراض .

==========

(٢١)

هذه الملاحظة الواعية توحي لنا بما قدمه لنا الإسلام من نظام صحي شامل يتناول الجانب الوقائي بدقة واهتمام كامل .

أما الجانب العلاجي فقد اولاه الله سبحانه العناية الفائقة في مجالين احدهما تكويني والآخر تشريعي ــ أما التكويني فهو يتمثل في الكثير من النباتات والاعشاب التي اودع الله فيها برحمته وحكمته الكثير من الادوية والعلاجات المساعدة على التخلص والشفاء من الامراض التي يتعرض الإنسان للإصابة بها هذا مضافاً الى الكثير من الفواكه والمأكولات النباتية التي تحمل في طيها عنصري الغذاء والدواء معاً .

أما المجال التشريعي فيظهر بما اودعه الله سبحانه في الإسلام من التشريع الباعث للمكلف او لولي المريض الى مراجعة الطبيب المختص لغاية تشخيص الداء واستعمال ما يصفه له من الدواء ولا يتنافى هذا مع الاعتقاد بأن الله سبحانه هو المعافي والطبيب الواقعي الذي يستند اليه الشفاء .

وذلك لأن الله سبحانه قد شاءت حكمته ان تنال المسببات بأسبابها وحيث جعل سبب الشفاء بدواء خاص لا يعرف به الا الطبيب المتخصص .

لذلك يأمرنا بالرجوع إليه من اجل تحصيل السبب واما المسبب وهو الشفاء المطلوب فهو يرجع الى إرادة الله سبحانه وحكمته فإن شاء رتبه عليه وإن شاء بقي كل شيء على حاله والمؤمن الواعي المتوكل عليه يترك النتيجة اليه ويرضى بكل ما يقدره له فإن قدر له نجاح سعيه وحصول مطلوبه شكره على ذلك وإن قدر له عكس مراده ــ صبر ــ وقال

==========

(٢٢)

بلسان الثقة والتسليم : ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمه بعاقبة الامور .

وبملاحظة المنهج الحكيم والتدبير السليم الذي اعتمده الإسلام في مقام انقاذ البشرية من اضرار واخطار المشكلات الثلاث موضوع الحديث بصفته تشريعاً كاملاً صادراً من الإله العادل الكامل خالق الإنسان العارف بما يصلحه ويصلح له من التشريعات في مختلف الميادين والمجلات .

أجل : بالملاحظة الموضوعية العميقة لمصدر هذا التشريع العظيم والغاية السامية التي شرعه الله سبحانه من اجل تحيقيقها وهي سعادة الإنسانية وتقدمها في مختلف المجالات وفي كل العصور ، ندرك جيداً قابليته وقدرته على مسايرة التطور ومواكبة الاوضاع الطارئة ليجد فيه الانسان حكماً لكل موضوع وحلاً لكل مشكلة وتحقيقاً لكل حاجة فلاً يجد نفسه مضطراً لاستجداء الحلول من النظم المستوردة كما توهم الكثيرون حتى من أبناء الامة الإسلامية نتيجة تأثرهم بالشبهات التي أثيرت حول تشريع السماء من قبل اعدائه وانه افيون الشعوب وان الالتزام به عقيدة وعملاً يمثل الرجعية والتخلف .

الإسلام دين الحضارة والتطور :

وقد رد الشاعر الإسلامي الكبير على هذه الدعاوي الفارغة بأبيات مليئة بالحكمة والمنطق والواقعية وهي كما يلي :

يقـــولون في الإسلام نقص لأنه * يعيق ذويه عن ضـــروب التقدم
فإن كـــان ذا حقـــاً لماذا تقدمت * أوائلنا فـــي عـــصرها الـــمتقدم
إذا كـــان ذنب الـــمسلم اليوم جهله * فماذا على الإسلام من ذنب مسلم

==========

وانسجاماً مع هذا الجو الشعري والشعوري أحببت ان اختم حديثي هذا بمقطوعة شعرية تلتقي بالمضمون والاسلوب مع المقطوعة التي كانت الافتتاحية والمفتاح لباب الحديث حول الموضوع الخاص المحدد له وهي كما يلي :

الديـــن أفضل ما يرقى بـــه البشر * نحو الكمال وما يجنى به الوطر
أوحى به الله منهاجاً تشع بـــــــه * مقاصد الخير والآمال تـــــزدهر

تزهو الحقيقة في ميزان شـــرعته * ويخلد الجوهر الوضاء لا الصور
فالمنـــــهج الحق لا أهواء مبتدع * والحاكـــــم الله لا زيـــد ولا عمر
والمقصد الخير خير النـــاس كلهـــــم * لا نفع بعض وإن اودى بنا الضرر
نالت به الفتح أقوام به اعتصمت * وســـار في ركبها التأييـــدُ والظفر
واليوم ضل بها الحادي فأوردها * مناهل الغي حيث الجبنُ والخـــور
فعاد عاراً لها نصرُ الجدود ومـــا * كـــــــانت تتيه به عزاً وتفتـــخر
وتلك حـــكمة وحي الله ناطقـــــة * عبر القرون لمن يصغي ويعتبـــر
من ينصـــر الله ينصر في مواقفه * ومن يخالف مخذول ومنكـــســـر

والسلام عليكم أيها الإخوان الاعزاء والابناء الاحباء ورحمة الله وبركاته .

الخطبة الثانية [1]

حديث ديني من وحي ميلاد الإمام الرضا عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين والسلام عليكم أيها الإخوان الاعزاء والابناء الاحباء ورحمة الله وبركاته.

وبعد : في الحادي عشر من هذا الشهر شهر ذي العقدة الحرام من سنة ١٤٨ هجرية وهي نفس السنة التي استشهد فيها جده الإمام الصادق عليه السلام كانت ولادة الإمام الرضا عليه السلام وشهادته كانت في السابع عشر من شهر صفر من سنة ٢٠٣ هجرية ــ فيكون عمره الشريف يوم شهادته ٥٥ سنة ــ على المشهور في ولادته وشهادته .

نسبه من جهة الأب : نور على علم لا يحتاج الى بيان شرفه وسمو درجته وإذا ذكر فيكون من اجل التبرك ونيل الثواب فهو نجل الإمام الكاظم نجل الإمام الصادق نجل الإمام الباقر نجل الإمام زين العابدين

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في مسجد الإمام المهدي (عج) في ١٠ ــ ١١ ــ ١٤١٦ هـ .

==========

(٢٥)

نجل الإمام الحسين سيد الشهداء نجل الإمام علي سيد الإوصياء عليهم السلام :

نسب كأن عليه من شمس الضحى * نورا ومن فلق الصباح عمودا

ما فيه إلا سيد مـــن ســـيـد * حاز المكارم والتقى والجــودا

واما أمه : فهي كسائر امهات بقية الأئمة من حيث الاتصاف بالتقوى والصلاح والنجابة ــ لأن كل واحد منهم كان يختار لنفسه افضل النساء لتكون له خير زوجة ولاولاده خير ام لما هو المعلوم من وجود الأثر البليغ والدور البارز للأمهات في نجابة الابناء وحسن صورتهم واستقامة سيرتهم نظراً لتأثير عامل الوراثة وحسن التربية في صلاح الذرية :

قال الشاعر :

والأم مدرسة إذا أعددتها * أعددت شعباً طيب الأعراق

واسم والدته : هذه تكتم وقيل نجمه والمشهور هو الاول وقد ورد في مدح بعض الشعراء للإمام الرضا عليه السلام بقوله :

ألا إن خير الناس أما ووالدا * ورهطاً وأجداداً علي المعظم
أتتنا به للعلم والحلم والحجى * إماماً يؤدي حجة الله تكـــــتمُ

ومن المعلوم ان النسب وإن كان شريفاً ورفيعاً لا قيمة له في ذاته اذا لم يترتب على شرفه شرف للنفس وسمو في الاخلاق واستقامة في السلوك قال الشاعر :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه * فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب
لقد رفع الإسلام سلمان فارس * كما وضع الشرك الشريف أبا لهب

وقلت في أخر مقطوعة شعرية نظمت والقيت في مناسبة دينية :

==========

والفضل للأتقى وإن لم يعله * نسب رفيعُ الشأن أو تيجانُ
تبت يداعم النبي وقد غـــدا * من آل بيت محمد ســـلمانُ

الحديث عن سيرة الرضا عليه السلام وبقية المعصومين حديث عن الإسلام العملي :

والحديث عن الإمام الرضا عليه السلام ، واي واحد من ابنائه الطاهرين واجداده المعصومين يعتبر في واقعه حديثاً عن القرآن الناطق والإسلام العملي المتحرك ــ لأن كل واحد منهم قد جسم الإسلام على الصعيد العملي بإيمانه الراسخ وعمله الصالح وخلقه الفاضل وإذا نظرنا اليه من زاوية عبادته لله بالمعنى الخاص للعبادة المتمثل بالصوم والصلاة والحج والزكاة ونحوها فنراه قد بلغ القمة في هذا المجال .

وقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام ، موضوع الحديث انه كان قليل النوم كثير الصوم لا يفوته صوم ثلاثة ايام من كل شهر ويقول : ذلك صوم الدهر ، ووصفه بقلة النوم في الليل تعبير عن انشغاله في اكثر ساعات الليل بالصلاة وقراءة القرآن ونحو ذلك من انواع التهجد والعبادة والذي يعطي لعبادة أهل البيت قيمة سامية ويجعلهم مكرمين بها عند الله سبحانه ومحترمين اكثر

عند عباده هو إدراكهم بعمق فلسفة العبادة بمعناها العام الذي اعتبره الله سبحانه السبب الداعي لخلقه الكون والإنسان والجن حيث قال سبحانه :

(**وما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدون**) [1] ــ ثم بذلهم اقصى الجهد في سبيل تحقيق تلك الفلسفة والتوصل بها الى الغاية الاساسية المقصودة منها اي من العبادة ــ وهي ذوبان إرادة المخلوق العابد في إرادة المعبود

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

==========

الخالق بحيث لا تكون له ارادة مستقلة عن إرادته ولا تصرف اختياري إيجابي او سلبي منحرف عن جادة شريعته وهذا وذاك هو سبب تحول العبادات الخاصة والطقوس الدينية المعهودة من اعمال عبادية محدودة الشكل والزمان والمكان الى ظاهرة عامة وعبودية لازمة تتحرك مع شخصية العابد في كل طريق يسلكه وتصرف يمارسه وموقف يتخذه وبذلك وجدنا ان الصلاة قد تحررت من قيود مفهومها الخاص المعهود لتشمل كل عمل صالح فيه لله رضا وللإنسانية مصلحة وصلاح كما رأينا ان الصوم قد تجرد من إطاره المحدود المتمثل بالإمساك عن تلك المفطرات المحدودة ضمن الايام المعدودة ليشمل الامساك التام عن كل حرام في كل الشهور والايام وهو المعبر عنه بالتقوى في قوله تعالى :

(**يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) [1] .

إدراك أهل البيت عليهم السلام فلسفة العبادة وتحقيقها عملياً :

هكذا وجدنا العبادة قد تحركت في حياة كل واحد من اهل البيت من الطقوس المعهودة الى الهدف الكبير والغاية السامية المقصودة منها ــ وهذا وذاك هو السر في الاعمال الصالحة التي كانوا يقومون بها في سبيل مصلحة الآخرين والاخلاق الفاضلة التي كانوا يتجملون بها معهم حتى لو كان الآخرون مختلفين معهم في الاتجاه الى درجة العداوة المسببة للإساءة ونرى هذه الظاهرة النبيلة بارزة في حياة الإمام الرضا عليه السلام ، وتتجلى لنا بوضوح من خلال ما تحدث به عنه احد معاصريه المطلعين على اوضاعه الخاصة والعامة فلنسمع إليه وهو يقول

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٣ .

==========

(٢٨)

في حقه مادحاً معجباً ومقدراً وهو إبراهيم بن العباس .

إني ما رأيتُ ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا عليه السلام ، وشهدت منه ما لم اشهد من أحد غيره ما رأيته جفا احداً بكلام قط ولا رأيته قطع على أحد كلامه حتى يفرغ منه وما رد أحداً عن حاجة قدر عليها ولا رأيته يشتم أحداً من مواليه ومماليكه وكان إذا خلا ونصبت الموائد اجلس على مائدته مماليكه ومواليه حتى البواب والسائس .

نفحة عاطرة من أخلاق الرضا عليه السلام السامية :

هذا ولا بد لنا من الوقوف بشيء من التدبر عند بعض هذه الاخلاق السامية التي تجمل بها هذا الإمام العظيم من اجل ان نستوحي منها دروساً أخلاقية تربوية تساهم في بناء الشخصية المثالية المنطلقة في ظلال الإسلام الوارفة نحو اهدافه الرفيعة . فمن الصفات النبيلة التي نسبها ذلك الشخص الى شخصية الإمام عليه السلام أنه ما جفا أحداً بكلام قط .

وهذه اسمى صفة ترقى بصاحبها الى المنزلة الرفيعة باعتبار ان الكلام مرآة نفس المتكلم وعنوان ذاته فإذا كان ليناً هادئاً نفذ الى قلب السامع وادخل معه اليه المحبة والاحترام وبذلك يتحقق الهدف المقصود من توجيه كلامه الى الآخر .

ويتأكد الاهتمام بهذا الاسلوب الحكيم إذا كان المتكلم بصدد دفع المخاطب نحو عمل صالح ينفعه او خلق فاضل يرفعه او موقف سليم يناسبه وكذلك إذا كان بصدد إبعاده عما يضره من اضداد هذه الامور .

==========

(٢٩)

وهذا هو السر في حث القرآن الكريم على اتباع هذا الاسلوب الحكيم قال سبحانه :

(**ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**) [١] .

وقال سبحانه : (**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسنُ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**) [٢] .

وقال سبحانه : (*** ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي احسن**) [٣] .

وقال تعالى مخاطباً النبي موسى واخاه هارون عليهما السلام :

(**اذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى**) [٤] .

والصفة الثانية : أنه كان عليه السلام لا يقطع على احد كلامه حتى يفرغ منه .

وهذه الصفة النبيلة تبين لنا ادب الاستماع وما ينبغي ان يكون عليه المستمع عندما يوجه اليه حديث من قبل غيره باعتبار ان الإصغاء له والتوجه الجسمي والفكري نحوه يشعر المتكلم باهتمام المستمع بحديثه واحترامه له وهذا يزيده رغبة في الانطلاق بحديثه حتى يبلغ مراده منه كما يسبب حصول المحبة او قوتها في نفسه له ــ اي للمستمع ــ مضافاً الى ما يسببه من الاحترام لشخصه ولذلك يطلب من المستمع التجمل بهذا الادب الاجتماعي الرفيع وهو الإصغاء الى المتحدث وعدم قطعه

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٣٤ .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٦ .

(٤) سورة طه ، الآية : ٤٣ ــ ٤٤ .

==========

حديثه حتى ولو كان مسبوقاً بمضمونه وقد اشار احد الشعراء الحكماء الى ذلك بقوله :

من لـــي بإنســـــان إذا أغضـــــبته * وجهلت كان الحلم رد جوابـــه

وإذا طربت الى المدام سكرت مـــن * أخلاقه وشـــربت من آدابـــــه

وتراه يصـــــغي للحـــــــديث بقلبه * وبسمعه ولـــــعله ادرى بـــــه

مدى اهتمام الإسلام في قضاء حوائج الإخوان :

والصفة الثالثة : التي وصف بها ذلك المتحدث الإمام الرضا عليه السلام هي انه ما رد احداً عن حاجة قدر عليها .

وهذه أنبل وافضل صفة يتصف بها الإنسان في هذه الحياة لما يترتب عليها من النفع العظيم لكل واحد من الطرفين صاحب الحاجة ومن قضاها له او سعى قدر في طاقته في سبيل قضائها واذا قارنا بين ما يحصل لصاحبها من فائدة ولقاضيها من منفعة فإنا نجد ان ما يحصل للثاني اكثر وابقى مما يحصل للأول من ذلك أما بلحاظ الحاضر فالمنافع الحاصلة له فيه معجلاً كثيرة اهمها وابرزها المحبة العميقة التي تحدث او تقوى وتتعمق في نفس من تقضى له الحاجة ويترتب

على ذلك غالباً وبشكل عفوي احترامه لمن اهتم بقضيته وذكره بالثناء حاضراً وغائبا ودعاؤه بتحصيله ما يحب وسلامته مما يكره واهتمامه بقضاء حاجته رداً على الإحسان بالمثل حتى وان لم يصدر منه طلب له وتكليف به ، قال الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعيد قلوبهم * فطالما استعبد الإنسان إحسانُ

==========

(٣١)

الثواب العظيم المترتب على قضاء حوائج الآخرين :

وأما الفوائد الحاصلة لقاضي حاجة الآخرين في الآخرة فهي كثيرة ايضاً واهم شيء فيها هو جانب الكيف والبقاء بقطع النظر عن الكم والكثرة وذلك لما يترتب على هذا العمل الإنساني النبيل من الثواب العظيم بلحاظ عناوين متعددة على ضوء ما يستفاد من الاحاديث الكثيرة الواردة في هذا المجال .

منها ما ورد لبيان الثواب المترتب على ادخال السرور مثل ما روي عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : « من سر مؤمناً فقد سرني ومن سرني فقد سر الله » . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أحب الأعمال إلى الله السرور الذي تدخله على المؤمن تطرد عنه جوعته او تكشف كربته » .

ومنها : ما ورد لبيان الثواب المترتب على إعانة المؤمن وتنفيس كربته من ذلك ما روي عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة » .

وقوله : صلى الله عليه وآله وسلم : « من أعان مؤمناً نفس الله عز وجل عنه ثلاثاً وسبعين كربةً واحدة في الدنيا واثنتين وسبعين كربة عند كربه العظمى حيث يتشاغل الناس بأنفسهم » .

ومنها ما هو وارد لبيان الثواب العظيم المترتب على السعي في سبيل قضاء حاجة الاخ في الله سبحانه .

من ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيراً له من اعتكاف شهرين » وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله : « من قضى حاجة لاخيه فكأنما خدم الله عمره » .

==========

ومن المعلوم ان الشخص الذي يسعى في سبيل حاجة اخيه ويتوفق لقضائها فهو يدخل السرور بذلك على قلبه ويكشف كربته وتتحقق بذلك ثلاثة اسباب لنيله الاجر العظيم وهي قضاء الحاجة وكشف الكربة وادخال السرور ، وقد مر معنا ذكر الثواب الجزيل المترتب على كل واحدة من هذه الخدمات النبيلة .

هذا ما سمحت به الفرصة وساعد الوقت على بيانه بمناسبة ذكرى ميلاد الإمام الرضا عليه السلام والخلاصة التي احببت ان اختم بها الحديث عنه بوحي هذه المناسبة المباركة هي ان حياة هذا الإمام العظيم كحياة اجداده وابنائه الطاهرين المعصومين تعتبر في واقعها تجسيداً حياً لما في الإسلام من عقائد حقه ومبادىء رفيعة ومثل سامية والاحتفال الحقيقي بمناسبة ولادة احدهم او شهادته انما يكون بترسم خطاهم والسير على ضوء هداهم بكل تصرف اختياري نمارسه على صعيد هذه الحياة لأن الاحتفال معناه الاحتفاء والاحترام وهذا لا يكون صادقاً وكاملاً الا اذا ترجم بالاقتداء والمتابعة لما يعبر عنه ذلك من تقدير شخصية المحتفى به والثقة القوية بانسجام سيرته مع المنهج الإلهي ليكون الاقتداء به محققاً للغاية الفضلى والهدف الاسمى الذي خلق الله سبحانه الإنسان من اجله وهي إطاعته وعبادته وحده لا شريك له .

بيان الاحتفال الحقيقي وتمييزه عن التقليدي :

وبذلك ندرك جيداً ان الاحتفال الذي يقتصر فيه على ذكر صاحب المناسبة بالمدح والثناء وسرد ما كان متجملاً به من مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات من دون استيحاء الدروس من سيرته والتأثر بسلوكه العملي ــ لا يكون احتفالاً حقيقياً وتكريماً واقعياً منسجماً مع إرادة الله

==========

سبحانه ودعوة رسوله وتطلع كل واحد من أهل البيت عليهم السلام والسائرين على نهجهم .

وقد اشرت الى هذا المعنى بالأبيات التالية التي نظمتها سابقاً بمناسبة ميلاد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

ما الاحتفالُ بــزينة ومـــــــدائح * نبوية وقصــائــد عـــــصمـــــاء
الاحــتفالُ الــحق إيمــان بـــــــه * نمضي على نهج الهدى الوضـــــاء
ونسير في درب التقى بتــضــامن * وتعاون ومـــــــودة وإخـــــــــاء

اللهُ قائدنا الوحـــيدُ وقصـــدنـــا * نصر الهدى والشرعة الـــغـــراء
وإزالة الطاغوت مـــن أوطـــاننـــا * وجميع من يحميه مـــن عـــمـــلاء
وإعادة الإسلام فينـــا حـــاكـــماً * بالعدل في الســـراء والـــــضراء

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم أيها الإخوان الأعزاء ورحمة الله .

==========

الخطبة الثالثة [١]

فلسفة العبادة بمعناها
العام وعبادة الحج خاصة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

والصلاة والسلام على اشرف الخلق وسيد المرسلين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين .

والسلام عليكم أيها الإخوة المؤمنون الأعزاء والابناء الاحباء ورحمة الله وبركاته .

وبعد : قال الله سبحانه في محكم كتابه المجيد :

(**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين**) [٢] .

حيث اننا على ابواب التوجه الى بيت الله الحرام لتأدية فريضة

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في مسجد الإمام المهدي (عج) في ١٩ ــ ٤ ــ ١٩٩٦ م .
(٢) سورة آل عمران ، الآية ٩٧ .

==========

الحج المقدسة ناسب ذلك ان اتحدث عن فلسفة هذه الفريضة وابين لكم ما يترتب عليها من الفوائد

العديدة والمنافع الكثيرة التي اشار الله سبحانه إليها إجمالاً بقوله : (**ليشهدوا منافع لهم**) [١] .

وهذا يقتضي بيان العبادة بمعناها العام ودورها التربوي في حياة الإنسان فرداً ومجتمعا نظرا لمساهمة ذلك في معرفة الدور الذي تؤديها فريضة الحج في هذا المجال فأقول : المراد من العبادة بمعناها العام الذي اعتبره الله سبحانه العلة الغائية الداعية لخلق الجن والإنس على ما صرح به سبحانه في كتابه الكريم :

بقوله عز وجل : (**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) [٢] .

الخضوع الكلي والانقياد المطلق لارادة الله سبحانه بكل عمل اختياري يصدر من المكلف بإرادته واختياره سواء كان هذا العمل باطنياً كالتفكر في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار من أجل التوصل به إلى تحصيل الإيمان الراسخ بوجود الله سبحانه ووحدانيته وعدله وضرورة إرساله للأنبياء وتعيينه للأوصياء وحشره الناس غداً للحساب يوم الجزاء ، أم كان عملاً ظاهرياً وموقفاً خارجياً منطلقاً من ذلك الإيمان من أجل أن يتوصل المكلف بهذه العبادة بكلا شقيها الباطني والظاهري ــ إلى ما أراد الله سبحانه له أن يصل إليه ويحصل عليه من السعادة في الدنيا والآخرة .

العبادة بمعناها العام ودورها في سعادة الإنسان :

وذلك لأن العبادة الظاهرية تتمثل بفعل ما أمر الله به من الواجبات

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٢٨ .

(٢) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

==========

والمستحبات وترك ما نهى عنه من المحرمات والمكروهات وحيث ان الله سبحانه حكيم رحيم لا يأمر إلا بما فيه المصلحة والمنفعة المادية والمعنوية ، ولا ينهى إلا عما فيه المضرة والمفسدة الجسمية والروحية فإذا حقق العبد ذلك واتقى الله حق تقاته حصل المنافع والفوائد وسلم من المضار والمفاسد فهو يدخل جنة الدنيا ومنها ينطلق الى جنة البقاء والخلود قال سبحانه .

(**ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**) [١] .

وقال سبحانه :

(**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لايحتسبُ**) [٢] .

والعبادة بهذا المعنى العام المتمثل بالاستقامة في طريق التقوى وعدم الانحراف عنه مهما كانت الضغوطات او المغريات المؤدية بطبيعتها الى التحلل من نظام العبودية ، حيث انها محتاجة الى قوة إيمانية وبطولة روحية تساعد المؤمن على الثبات في ساحة الجهاد الاكبر ــ لذلك شرعت العبادات الخاصة المعهودة بكيفيتها المرسومة واشترط في صحتها وترتب الاثر عليها الاتيان بها بقصد التقرب لله سبحانه ــ لأن ذلك يعمق الايمان في النفس ويقويه في القلب ليبقى صاحبه على صلة بالله سبحانه وانشداده اليه برابطة التقوى فيظل دائماً في اطار عبادته له بكل ما يصدر عنه من تصرفات اختيارية سواء كانت فعلاً لما امر به سبحانه او تركا لما نهى عنه ونتيجة ذلك هو بقاء هذا المؤمن العابد في نطاق مصلحته وسعادته كما اراد الله له على ضوء ما تقدم بيانه من فلسفة

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٩٦ .

(٢) سورة الطلاق ، الآيتان : ٢ ــ ٣ .

==========

العبادة وما يترتب عليها من معطيات إيمانية كثيرة ، وبعد ذكر هذه المقدمة التمهيدية يأتي دور الحديث عن فريضة الحج وبيان ما يترتب على تأديتها من الفوائد الجليلة والمنافع العديدة فأقول :

الفوائد المترتبة على هذه الفريضة المقدسة كثيرة وسأقتصر على ذكر أهمها وابرزها وهو الزهد في كل ما يبعد الانسان عن رحمة الله سبحانه ويشغله عن الاهتمام بما ينفعه في دنياه وآخرته من الواجبات والمستحبات وعن التجمل بما يرفعه من الفضائل والكمالات .

من فوائد فريضة الحج المقدسة الزهد في الدنيا المحرمة :

والوجه في ترتب فائدة الزهد على تأدية فريضة الحج هو ان الانسان المؤمن اذا عزم على تأدية هذه الفريضة يرتسم نصب عينيه شبح الموت بسبب ما يحصل له ويصيبه في الطريق وبعد وصوله الى اماكن تأدية المناسك الواجبة من المتاعب والحوادث الخطيرة التي ادت فيما سبق الى موت البعض من الحجاج .

وخوفه من ذلك يظهر له بصورة تفصيلية ــ طبيعة هذه الحياة الدنيا وانها دار ضيافة والانسان فيها ضيف يقيم فترة محدودة ثم يرحل عنها الى مقره الاخير وداره الاخرى التي خلق من اجلها وفيها يتقرر مصيره على ضوء اعماله التي كان يمارسها في هذه الدار العاجلة الزائلة ــ فإن كانت خيراً منسجمة مع الوظيفة الشرعية المحددة له من قبل الله سبحانه ــ كانت النتيجة

خيراً وجنة عرضها السماوات والارض ــ وان كانت شراً ومخالفة لتلك الوظيفة كانت النتيجة من جنسها .

==========

(٣٨)

قال سبحانه : (**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يرهُ * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**) [١] .

وخوفه من المصير الثاني المؤلم يجعله زاهداً في الممارسات اللاشرعية وراغبا فيما يؤدي به الى المصير الاول .

بيان المراد من الزهد الراجح في الإسلام :

ومما تقدم يظهر جليا ان المراد بالزهد المأمور به والمرغوب فيه اسلامياً ــ هو الزهد فيما يضر الانسان فرداً ومجتمعاً دنياً وآخرة وينحصر ذلك بالمحرمات وتلحق بها المكروهات على وجه الافضلية التي لا تمنع من الفعل كما هو معلوم وذلك باعتبار عدم الاستفادة منها في الآخرة بخلاف ما لو تركت امتثالاً للنهي الكراهتي فإن ذلك يعتبر عبادة يحصل بها الثواب في الآخرة والتوفيق في الدنيا والى ما ذكرناه في بيان المراد من الزهد اشار الإمام علي عليه السلام بقوله :

« ليس الزهد ان لا تملك شيئاً ولكن الزهد ان لا يملكك شيء » وعلى ضوء هذا المفهوم الواعي لمعنى الزهد في الإسلام ندرك أن الانسان المؤمن لو ساعدته ظروفه على ان يملك الثروة الطائلة من الحلال ودفعه التزامه الديني لان يخرج ما تعلق بها من الحق المعلوم للسائل والمحروم ــ فهذا الشخص يكون من الزاهدين المقدسين المقدرين عند الله سبحانه والمؤمنين الواعين .

---

(١) سورة الزلزلة ، الآيتان : ٧ ــ ٨ .

==========

(٣٩)

إشارة إلى فوائد الحج بحديث الشعر:

أما الفوائد الاخرى التي يمكن تحصليها من تأدية فريضة الحج فقد اشرت اليها بالقصيدة التالية التي يستطيع المتدبر المثقف ان يستفيدها منها بذوقه الادبي السليم وفهمه المستقيم وهي كما يلي :

الحج للأجيال افضـــــل مـــــــعهد * تجني به عفو الإله السرمــدي
وتسير في درب التقـــــى بتضـــامن * وتعارف وتعاطف وتـــــــودد
إحرامه نزع لثـــوب مـــــــطامع * وطوافه إجلال رب اوحـــــــد
وصلاته صـــــلة القلوب بخـــــالق * باري الوجود ونبع عيش أرغــد
والسعي ســـــعي للفضيلة والعـــــلى * وقضاء حاجات الفقير المجــهد
وكذلك التقصير رمـــــز تـــــــجرد * من كل خلق عن كمالك مـــــبعد
أما الوقوف فوقـــــفـــة لتـــــعارف * وتقارب رغم المكان الابـــــــعد
والإزدلاف لمشعر نـــــــرنو بـــــه * لرضا السما بتضرع وتعبـــــــد
والرمي رمـــــي للطغاة بـــموقف * حر ــ من الجمع الغفير ــ موحد
والذبح ذبح للهـــــوى وتـــــــأثر * بسخاء إبراهيم بالغض النـــــدي
أدى بمـــوقفه امتـــــحاناً نـــاجحاً * بخضوع عبد مـــــخلص للسيــد
والحلق زينة مؤمـــــن متـــــمسك * بعرى التقى رغم الزمان الانكــد
أما المبيت لـــــدى منى فضيـــافة * محمودة عند الإلـــه الاجـــــــود
هي تلك فلسفة المـــناسك اشرقـــت * وعيا يبدد حيـــرة المـــــــتـــردد
فالله لا يدعو الانـــام لغير مـــــــا * يجدي البرية في القريب وفي الغد
وكذاك إن ينهى فعن مرد [1] لنـــا * جسماً وروحاً دون اي تـــــــردد

---

(١) مرد اصلها مردي بمعنى مهلك .

==========

(٤٠)

هو عالم بمفاسد ومصـــالح * تعطي السعادة للتقي المهتدي
فمن اتقى يجني المنى بتعبد * وسواه يغرق في الشقا بتمرد

هذا ما سمحت به الفرصة واتسع له المجال من بيان بعض الفوائد المترتبة على تأدية فريضة الحج المقدسة تفصيلاً بالنثر واجمالا بالشعر وهناك فوائد كثيرة ذكرت على وجه التفصيل

والتحليل في الكتب الاسلامية المؤلفة حول موضوع العبادة فمن اراد الاطلاع التفصيلي فليرجع اليها .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ايها الإخوان الاعزاء اولاً وآخراً ورحمة الله .

==========

الخطبة الرابعة[١]

الإسلام دين السعادة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

السلام عليكم أيها الإخوان المؤمنون الأعزاء والأبناء الأحباء ورحمة الله وبركاته .

وبعد : قال الله سبحانه في محكم كتابه المجيد :

(**ولو ان اهل القرى ءامنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**) [٢] .

بين الله سبحانه بهذه الآية المباركة السبيل القويم الذي يؤدي بسالكه الى السعادة في الدنيا والآخرة حيث يكون سبباً لنزول البركات واحاطتها به من جميع الجهات وهي البركات الاقتصادية والاخلاقية والسياسية والامنية والتربوية ونحوها .

وهذا السبيل هو الإيمان الصادق والعمل الصالح والخلق الفاضل

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في مسجد الإمام المهدي (عج) في ١٣ ــ ٣ ــ ١٩٩٦ م .

(٢) سورة الاعراف ، الآية : ٩٦ .

==========

ــ وقد عبر الله سبحانه عما يترتب على الإيمان الصادق ويساهم معه في عملية فتح باب البركات

السماوية والارضية بعنوان عام يشمل كل ما ذكر بعده اي بعد الإيمان من العمل الصالح والخلق الفاضل وهذا العنوان هو التقوى حيث قال سبحانه : (**ولو ان اهل القرى ءامنوا واتقوا**) [1] إلخ .

وقد بينت في الحديث السابق الوجه في إيصال التقوى صاحبها الى الكمال والسعادة باعتبار ان المراد منها اي من التقوى نفس ما يراد من العبادة بمعناها العام المتمثل بفعل الواجبات وترك المحرمات .

وحاصل ما ذكرته في مقام بيان تأثير العبادة في نيل العابد التقي الكمال والسعادة هو ان الله سبحانه عليم وحكيم ورحيم فلا يأمر بشيء الا لمصلحة تعود الى المكلف ولا ينهى عن شيء الا لمفسدة تترتب عليه والله برحمته وحكمته يريد ابعاد الانسان عن هذه المفسدة ومن الواضح ان الإنسان الملتزم بالرسالة السماوية بالإيمان الواعي والتقوى والعمل الصالح اذا نفذ التزامه وفعل ما ينفعه ويرفعه وترك ما يضره ويحطمه مادياً ومعنوياً ــ فلا بد ان ينال ما اراد الله سبحانه ان يناله من الكمال والسعادة .

الإسلام دين السعادة والسلام:

هذا من الجانب الإيجابي الذي صرحت به هذه الآية المباركة واما الجانب السلبي الذي ذكرته بقوله سبحانه : (**ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**) [2] فيحتاج الى مقدار من التوضيح فأقول :

المراد بالتكذيب الذي يترتب عليه عكس ما ترتب على التصديق

---

(١) سورة الاعراف ، الآية : ٩٦ .

(٢) سورة الاعراف ، الآية : ٩٦ .

==========

الإيماني والتطبيق العملي ــ هو ما يشمل التكذيب العملي المتمثل بعدم العمل بمقتضى الإيمان لانه يشترك مع التكذيب الإيماني في النتيجة السلبية وهي عدم إدراك الإنسان الكافر او المؤمن بلا عمل ــ ما اراد الله سبحانه له ان يصل اليه ويحصل عليه من نزول الخيرات والبركات والتمتع بالرخاء والسعادة في جميع المجالات ــ وقد نص الله سبحانه على هذه النتيجة بقوله عز وجل : (**والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وتواصوا**

بالحق وتواصوا بالصبر) [1] .

وقد أشرت الى مضمون هذه السورة المباركة بالابيات التالية :

والعصر إن المرء في خـــسران * وشقاوة ومذلة وهـــــــوان

إلا الألى [2]عرفوا الإله وطبقوا * نهج الهدى وشريعـــة القرآن

وغدا يوصي بعضهم بعضاً هنا * بالحق والصبر الجميل الباني

وإذا اردنا ان ندرك بوضوح وجلاء مدى تأثير الرسالة السماوية في سعادة الانسان وتقدمه في مختلف المجالات والميادين فما علينا الا نلقي نظرة على الوضع العام في العالم والخاص في الجزيرة العربية وكيف كان قبل بزوغ شمس الرسالة الاسلامية وكيف اصبحت الامة بعد بزوغها وخروجها بها من الظلمات الى النور ؟ .

المقارنة بين الوضع الجاهلي الذي كانت الامة عليه والوضع الرسالي الذي وصلت اليه :

كل من اطلع على تاريخ الامم والشعوب يعرف الوضع الجاهلي

---

(١) سورة العصر ، الآيات : ١ ــ ٢ ــ ٣ .

(٢) الألى وهي بمعنى الذين .

==========

الذي كان مسيطراً عليها لتعيش حالة الشرذمة والانقسام ، والعداوة والخصام مع الشرك والعكوف على عبادة الاصنام وكان الجاهلي إذا اظلم الليل ركب فرسه وحمل سيفه ورمحه وانطلق ليسطو على القبائل الاخرى ويسلب منها ما يتمكن من سلبه ثم يعود مفتخراً بذلك وانه ابن الليل الذي يقتحم الاهوال بشجاعة وبطولة وإذا خانه الحظ ولم يتوفق لادراك امنيته المنشودة سطا على قبيلته ليدرك غايته منها .

وأما المرأة فقد كانت في ظل الوضع الجاهلي سلعة تباع وتشترى في سوق المتاع الرخيص بعد ان فقدت قيمتها وحرمت من حقوقها المادية والمعنوية فلا حق لها في الإرث ويشاركها في الحرمان منه الطفل لانهما ضعيفان لا يقدران على الحرب والتصدي للدفاع إذا تعرضت القبيلة للعدوان من قبل جهة خارجية معادية .

وقد تطور هذا الموقف السلبي تجاه الفتاة الوليدة بصورة خاصة عند بعض القبائل الى درجة الإعدام ودفنها حية اول ولادتها خوفاً من الفقر والعار والى هذه الظاهرة الجاهلية المقيتة اشار الله سبحاهه بقوله :

(**وإذا الموءدة سئلت * بأي ذنب قتلت**) [1] .

هذه صورة مختصرة عن الوضع الجاهلي الذي كان سائداً في الجزيرة العربية بين أفراد امتها حيث لم يكن هناك شرع عادل يمنع ولا ضمير انساني يردع وعلى هذا الوضع المتردي يقاس وضع بقية الشعوب والامم في العالم .

وقد اشرت الى ذلك بمقطوعة شعرية نظمت سابقاً والقيت في

---

(١) سورة التكوير ، الآيتان : ٨ ــ ٩ .

==========

بعض المناسبات الدينية وسأذكرها [1] بعد الحديث ولو موجزاً عن الوضع الإيجابي الرسالي الذي تحولت له الامة بعد استضاءتها بنور الدين الإسلامي الحنيف الذي بعث به رسوله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ليكون رحمة للعالمين .

بيان سبب خروج الامة من الحالة الجاهلية الى الحالة الرسالية :

وقد تحققت هذه الرحمة على يد هذا الرسول العظيم الرحيم الذي استطاع برحمته وحكمته وصبره وحلمه ان يجعل من تلك الامة الجاهلية التائهة في ظلمات الجهالة والضلالة خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف بعد فعله وتنهى عن المنكر بعد تركه .

ولم يكن هذا التحول في الوضع الخارجي إلا بعد حدوث التحول والتغير في الوضع الداخلي بتبدل المفاهيم والعقائد والتقاليد من الحالة الجاهلية التائهة الى الحالة الرسالية المهتدية فالشرك العقيدي والعبادي تحول الى التوحيد الخالص في الإيمان والعقيدة والإطاعة والعبادة ــ والظلم والعدوان تحول الى العدل والبر والإحسان حيث اصبح الإنسان في ظل رسالته العادلة الرحيمة يجول في الليل ليقدم صدقة السر ويوزع ويزرع العطف والامان بعد ان كان في ظل وضعه الجاهلي يوزع الرعب والعدوان .

كما تحول من حالة الشح والاستئثار الى حالة الجود والإيثار وقد مدحهم الله سبحانه واثنى على هذه الظاهرة الإنسانية النبيلة بقوله تعالى :

(١) قد عدلت عن ذلك ورجحت تأخير ذكرها الى حديث آخر وذلك بسبب ضيق المجال وطول المقال .

==========

(**ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**) [١] .

وكذلك تحولت المرأة في ظل الرسالة السماوية العادلة من الوضع الجاهلي المؤلم الى الوضع الرسالي الراحم حيث نالت جميع حقوقها المادية والمعنوية وشاركت اخاها الرجل في الحقوق والواجبات ولا فضل لاحدهما على الآخر الا بالتقوى والعمل الصالح والقيمومة ليست تفضيلاً للرجل على المرأة بل هي تكليف ومسؤولية اقتضتها طبيعته ودوره الخاص كما ان زيادة سهمه في الإرث ليس ترجيحاً وتفضيلا بل هو عدالة ومساواة بلحاظ النتيجة والنهاية التي تفسر وجه الزيادة في البداية لانه يدفع المهر وهي تأخذه ونفقتها مع نفقة الوالدين والاولاد واجبة عليه وحده حتى وان كانت غنية وكان فقيراً لان فقره لا يسقط عنه وجوب نفقتها بل تستقر دينا في ذمته يؤديه وقت التمكن وتفصيل الكلام في محله .

الاسلام دين العدالة والمساواة :

وهكذا تحولت البنت من عار يسبب لوالدها الانفعال واسوداد الوجه وربما تطور ذلك حتى يؤدي الى الدفن والاعدام كما تحدث القرآن الكريم ، الى ريحانة يشمها ويسر بشذاها العاطر في الدنيا والى حسنات يشتري بها نعيم الجنة في الآخرة ــ وقد وردت روايات عديدة حول هذا الموضوع ــ منها ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : « من كانت له ابنتان فرباهما واحسن تربيتهما ضمنت له على الله الجنة » .

وورد أيضاً ما يفيد هذا المضمون بالنسبة الى الاخت وهكذا اعطى

(١) سورة الحشر ، الآية : ٩ .

==========

الإسلام العناية الفائقة بالمرأة عندما تصبح زوجة حيث امر بمعاشرتها بالمعروف ومعاملتها

بالعطف والحنان والبر والإحسان وقوى درجة هذه العناية في حقها عندما تصبح أماً .

قال سبحانه : (**وعاشروهن بالمعروف**) [١] .

وقال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي وإن الرجل ليؤجر باللقمة يضعها في فم زوجته » .

وهناك روايات عديدة تحث الرجل على مساعدة زوجته في بعض الامور المنزلية ورتبت على ذلك الثواب العظيم .

وقال سبحانه في مقام بيان أهمية حق الوالدين حيث اعتبر الإحسان إليهما في الدرجة التالية لعبادته وحده سبحانه :

(*** وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً**) [٢] .

وفي الآية التالية ذكر الأم على حده بعد ان اوصى الولد بوالديه معاً وهي قوله تعالى :

(**ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن**) [٣] .

ويتجلى مدى اهتمام الإسلام بالمرأة الأم ــ من الرواية المشهورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحاصلها ان رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله من أبر ؟ ، قال صلى الله عليه وآله وسلم « **أمك** » قال ثم من ، قال : « **أمك** » قال : ثم

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٩ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٢٣ .

(٣) سورة لقمان ، الآية : ١٤ .

من ؟ قال : « **أمك** » قال ثم من ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : « **أباك** » .

ومن مجموع ما تقدم ظهر لنا مدى اهتمام الاسلام بالمرأة بنتاً وزوجة وأماً ومدى اهتمامه بشأن الوالدين وخصوصاً الأم .

ومن اجل إقامة بناء الاسرة على اساس وطيد من المحبة والاحترام المتبادل جعل لكل فرد منها حقاً على الآخر حيث جعل للوالدين حقاً على الاولاد كما جعل للأولاد حقا على الوالدين وجعل للزوجة حقوقا على الزوج وجعل له حقوقا عليها واوجب على كل فرد ان يؤدي ما عليه من الحق للآخر لان ذلك يقوي العلاقة ويعمق المودة وينشر الحب والحنان والبر والاحسان في اجواء الاسرة ويجعل منها وحدة متماسكة متضامنة كالجسم الواحد بحيث إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى كما ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مقام تشبيه المؤمنين المتعاطفين المتضامنين بالجسد الواحد ــ ومن المعلوم ان وحدة الاسرة وتضامنها يساهم مساهمة فعالة في وحدة الاسرة الكبيرة المجتمع لانه مؤلف من مجموعة الاسر الصغيرة ومن هنا يكون تابعاً لها ومتأثراً بها قوة وضعفا وحدة وتفرقا وكما جعل الاسلام حقوقا وواجبات بين افراد الاسرة من اجل تقويتها وايصالها الى خيرها وسعادتها في دنياها وآخرتها كذلك جعل حقوقا لافراد الاسرة الكبيرة المجتمع وطلب من كل واحد منهم ان يؤدي ما عليه من الحق نحو الآخرين .

نظام الحقوق والواجبات في الإسلام :

ويتمثل ذلك بما جعله من الحق للجار على جاره وللمؤمن على اخيه في الإيمان وللإنسان على اخيه في الإنسانية وحيث ان الإسلام دين

==========

الرحمة والفضيلة فقد وسع دائرة الحق الإنساني ليشمل الحيوان حيث جعل له حقا على الإنسان وسأشير باختصار الى هذه الحقوق ليعرف كل إنسان ما له وما عليه من حق فيؤدي ما عليه ويطالب بماله بالاسلوب الإسلامي القائم على اساس الحكمة والموعظة الحسنة .

ويترجح الابتداء بذكر الحقوق الثابتة لبعض افراد الاسرة على البعض الآخر .

فأقول : ذكر الفقهاء وعلماء الاخلاق ان لكل واحد من الزوجين حقوقاً على الآخر وذكروا من حقوق الزوجة ما يلي بلسان الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق :

وحق الزوجة ان تعلم ان الله عز وجل جعلها لك سكناً وأنساً وتعلم ان ذلك نعمة من الله تعالى عليك فتكرمها وترفق بها وان كان حقك عليها اوجب فإن لها عليك ان ترحمها لانها اسيرك وتطعمها وتكسوها فإذا جهلت عفوت عنها .

وقد ورد في كتاب مكارم الاخلاق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يفيد ويبين حق الزوج على الزوجة بكلا قسميه الواجب والمستحب كما يظهر من ذكر بعض الامور المستحبة له وليست واجبة عليها وذلك هو ما روي عنه من قوله صلى الله عليه وآله وسلم ، « حق الرجل على المرأة إنارة السراج وإصلاح الطعام وان تستقبله عند باب بيتها فترحب به وان لا تمنعه من نفسها الا من علة » .

حق الأبوين على الاولاد وحقهم على الوالدين :

وبين الإمام زين العابدين في رسالة الحقوق حق الأم

==========

(٥٠)

بقوله عليه السلام : فحق أمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحداً وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد أحداً الى ان يقول في آخر كلامه : فتشكرها على قدر ذلك ولا تقدر عليه الا بعون الله وتوفيقه .

فقد بين الإمام عليه السلام بكلامه هذا ان من حق الأم على ولدها ان يعرف فضلها ويعترف بحقها عليه ثم يشكرها على هذا الفضل بالبر والإحسان والإطاعة في غير معصية الله تعالى .

وحق أبيك ان تعلم انه اصلك وانه لولاه لم تكن فمهما رأيت في نفسك ما يعجبك فاعلم ان أباك أصل النعمة عليك فيه فاحمد الله واشكره على قدر ذلك ولا قوة إلا بالله .

ومقصود الإمام عليه السلام من بيان حق الأب على الولد بالأسلوب المذكور هو ان يندفع بعامل الدين والاخلاق والإنسانية لمكافأة أبيه على إحسانه بالبر والاحسان والعطف والحنان والاطاعة في غير معصية الله سبحانه وفي غير ما يوجب له الضرر او العسر والحرج ــ ونفس الشيء يقال بالنسبة الى الأم كما سبق .

وبين الإمام عليه السلام حق الولد على والده بقوله : وحق ولدك ان تعلم انه منك ومضاف اليك في عاجل الدنيا بخيره وشره وانك مسؤول عما وليته من حسن الادب والدلالة على ربه عز وجل والمعونة له على طاعته فاعمل في امره عمل من يعلم انه مثاب على الإحسان اليه معاقب على الاساءة اليه .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله في هذا المجال : حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويضعه موضعاً صالحاً .

==========

وأضيف في رواية أخرى عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، الى تحسين الاسم وتعليم الكتابة حق الولد في التزويج إذا بلغ [١] .

حق الجار على جاره والأخ على أخيه :

وبين الإمام عليه السلام حق الاخ على أخيه في رسالته ايضاً بقوله : وحق اخيك ان تعلم انه يدك التي تبسطها وظهرك الذي تلتجيء اليه وعزك الذي تعتمد عليه وقوتك التي تصول بها فلا تتخذه سلاحاً على معصية الله ولا عدة لظلم خلق الله ولا تدع نصرته على نفسه ومعونته على عدوه والحؤول بينه وبين شياطينه وتأدية النصيحة له والإقبال عليه في الله فإن انقاد لربه واحسن الإجابة له والا فليكن الله اثر عندك واكرم عليك منه .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق الجار انه قال : هل تدرون ما حق الجار ؟ ما تدرون حق الجار إلا قليلا الا لا يؤمن بالله واليوم الآخر من لا يأمن جاره بوائقه وإذا استقرضه ان يقرضه وإذا اصابه خير هنأه وإذا اصابه شر عزاه ولا يستطيل عليه في البناء يحجب عنه الريح الا بإذنه وإذا اشترى فاكهة فليهد له وان لم يهد له فليدخلها سراً ولا يعطي صبيانه منه الشيء يغايظون صبيانه [٢] .

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام بيان حق المسلم على اخيه المسلم مع حصره في سبعة حقوق حيث قال عليه السلام لعلي بن خنيس عندما سأله بقوله : ما حق المسلم على المسلم ، فأجابه بما حاصله : أيسر حق منها

---

(١) عن الحديقة الناشرية ص ٩٠ .

(٢) عن الحديقة الناشرية ص ١٩٩ .

==========

ــ أي من السبعة ــ أن تحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك .

والحق الثاني : أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته .

والحق الثالث : أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك .

والحق الرابع : أن تكون عينه ودليله ومرآته .

والحق الخامس : أن لا تشبع ويجوع ولا تروى ويظمأ ولا تلبس ويعرى .

والحق السادس : أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجب ان تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهد فراشه .

والحق السابع : أن تبر قسمه وتجيب دعوته وتعود مريضه وتشهد جنازته وإذا علمت ان له حاجة تبادر الى قضائها ولا تلجئه الى ان يسألها إلخ [1] .

وإذا نظرنا الى جوهر الدين الإسلامي وما يحفل به من السماح ، والرحمة والانفتاح ليعم ذلك الى سائر افراد المجتمع على ضوء نظرته الشاملة ورحمته الواسعة ندرك السر في شموله لكل الناس بعدله ومساواته بين افراد المجتمع بالبر والإحسان ومهد لذلك نظرياً باعتباره الإنسان أخا الإنسان في الخلق والإنسانية كما يوحي بذلك الحديث النبوي القائل :

الإنسان اخو الإنسان أحب أم كره ــ ويلتقي معه في المضمون ما ورد من قول الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الاشتر ما حاصله : الناس صنفان إما أخ لك في الدين او نظير لك في الخلق .

---

(١) عن الحديقة الناشرية ص ٨٣ و ٨٤ .

==========

حق المسلم على أخيه المسلم :

ويأتي التطبيق العملي من قبل أهل البيت عليهم السلام والسائرين على نهجهم لتلك الاخلاق السامية والتعاليم السمحاء شاهد صدق على مثالية الرسالة الإسلامية وسمو اخلاق الملتزمين بها ، من ذلك موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جاره اليهودي بالسماح والعفو الذي تمثل بسعيه لعيادته رغم اساءته المتكررة وإيذائه المثير وموقف الإمام علي عليه السلام من ذلك النصراني عندما وجده يستجدي ويطلب المعونة من الآخرين حيث استنكر هذه الظاهرة وأمر بأن يجعل له عطاء شهري من بيت مال المسلمين ، ومما سبق نعرف السر في تعميم الدين الدعوة الى الرحمة والرفق حتى بالحيوان حيث اوجب على مالكه ان يقدم له مايحتاج اليه من الطعام والشراب والعلاج وحرم عليه التقصير في حقه ان يرهقه بأي سبب من الأسباب المرهقة له ومن هذا المنطلق كان نهيه عن ان تجعل ظهور الحيوانات المركوبة كراسي ومجالس لأصحابها ــ

عندما وجد قوماً يتحدثون وهم راكبون وقد اوقفوا حيواناتهم في الطريق وطلب منهم النزول عنها او السير بها نحو غايتهم من أجل ان يخفف عن تلك الحيوانات ويرفع عنها المزيد من المشقة .

الإسلام دين الرفق حتى بالحيوان :

ومن ذلك يظهر الوجه في استحقاق امرأة العقاب بسبب حبسها هرة وعدم تقديم ما تحتاجه من الطعام والشراب ومنعها من الانطلاق لتحصل ذلك خارج نطاق هذا الحبس اللئيم كما يظهر الوجه في استحقاق رجل الثواب ودخوله الجنة بسبب سقيه كلباً وجده في صحراء

==========

(٥٤)

على حالة شديدة من العطش ــ على ما ورد في بعض الروايات المتضمنة لهاتين القصتين المتضادتين .

وبمجموع ما تقدم في هذا الحديث من اوله الى آخره يظهر لنا بجلاء ووضوح واقعية المضمون الذي يشير اليه موضوعه وهو (الإسلام سبيل السعادة والسلام) ، وذلك لانه مشرع من قبل خالق الإنسان العالم بما يصلحه ويصلح له من النظم العادلة الكاملة التي تحقق له أهدافه وتطلعاته في مختلف المجالات كما تعالج جميع مشكلاته الطارئة وتساير جميع التطورات الحادثة لتقدم لكل موضوع حكماً ولكل حاجة قضاء ولكل مشكلة حلاً .

وقد ذكرت في بداية هذا الحديث الوضع الجاهلي المتردي الذي كانت عليه الأمم والشعوب عامة والامة العربية خاصة قبل الإسلام وكيف تحولت وتطورت الامة العربية واصبحت خير أمة أخرجت للناس ببركة التزامها بالإسلام إيمانا وعملاً .

وأخيراً تركت هذا الدين العظيم وطبقت النظم المستوردة من الشرق والغرب فرجعت الى ما كانت عليه في ظل الجاهلية الاولى من التفرق بعد الوحدة والضعف بعد القوة والذل بعد العزة والهزيمة بعد النصرة ــ وتأتي مأساة فلسطين وسقوطها في ايدي الغاصبين المعتدين رغم قلة عددهم وكثرة عدد الامتين العربية والإسلامية لتكون شاهد صدق على واقعية هذه الحقيقة المرة التي اشرت اليها بأبيات قلت فيها :

هـــــذي الحقيقة مـــرة لكنها * جـــاءت نتيجة ما جنته يدانا

لم يـــنصر الله اليهود وإنـــما * خذل الألى قد أهملوا القرآنا

هذا الـــكتاب مهدد ومبـــــلغ * أياً تهز القلب والـــــوجدانا

إن تنصروا الله الجليل أثابكم * نصراً وإلا نلتم الخـــــذلانا

==========

(٥٥)

لا سعادة ولا سلام إلا في ظل الإسلام :

وعلى ضوء هذه الحقيقة الموضوعية ندرك جيداً ان الامة العربية لن تعود الى سابق قوتها وعزتها والامة الإسلامية لن ترجع الى سالف وحدتها واصالتها واستقلالها إلا بمصدر ذلك كله وهو الإسلام لأنه وحده سبيل السعادة والسلام فمن سلكه وصل إليهما ومن تركه وقع في ضدهما وضد السعادة الشقاء وضد السلام الحرب .

وبذلك يعرف السبب في شيوع الاضطراب والحروب ويظهر أيضاً تفسير قوله تعالى :

« **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكنهم كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون** »

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم أيها الإخوان الأعزاء أولاً وآخراً ورحمة الله وبركاته .

==========

(٥٦)

الخطبة الخامسة [١]

دور الجهاد والشهادة في صون الأمة والرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

السلام عليكم أيها الاخوان الأعزاء والأبناء الأحباء ورحمة الله وبركاته .

وبعد : حيث اننا نعيش في هذه الايام في اجواء الشهادة والشهداء نظراً لانتقال مجموعة من أبنائنا المجاهدين المقاومين الحسينيين الى جوار الله سبحانه راضين مرضيين اقتضى ذلك ان نقدم لكم اليوم حديثا من وحي الشهادة والشهداء لنعرف قيمة الشهادة ودورها في حفظ الرسالة من

الانهيار والامة من الانحلال والوطن من الاحتلال وتحريره منه بعد حصوله .

فأقول : إن للشهادة منزلتها السامية في الشريعة الإسلامية الغراء

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في مسجد الإمام المهدي (عج) في ٧ ــ ٤ ــ ١٩٩٦ م .

==========

وقد نبه الله سبحانه على ذلك بالعديد من آيات كتابه الكريم كما نبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليها بالكثير من روايات سنته المطهرة وروي عن الإمام علي عليه السلام ما يلتقي معه بالمضمون والمحتوى لأنهما نفس واحدة تنهل من منبع واحد .

من جملة ما ذكره الله سبحانه في مقام بيان عظمة الشهادة والشهداء قوله تعالى : (*** إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التورات والإنجيل والقران**) [١] .

ولا بد لنا من وقفة قصيرة أمام محتوى هذه الآية المباركة لنعرف الوجه في دلالتها على اهمية الجهاد والاستشهاد .

فأقول : قد بين الله سبحانه بهذه الآية الكريمة أنه وقع بينه وبين عباده المؤمنين عقدُ بيع وشراء تتوفر فيه كل العناصر الاساسية التي يجب ان تتوفر في عقد البيع وهي اربعة البائع والمشتري والثمن والمثمن ، والبائع في هذا العقد السماوي والتجارة الرابحة هو المؤمنون والمشتري هو الله سبحانه والمثمن هو الانفس والاموال والثمن هو الجنة ــ وقد شاءت الحكمة الإلهية ان يضم الله سبحانه الى تلك الاركان الاساسية المحققة لطبيعة عقد البيع ما جرت العادة على حصوله بين المتعاقدين من سند للعقد يثبت حصوله ويؤكد تحقيقه بينهما وهو ما صرح به تعالى بقوله : (**وعداً عليه حقاً في التورات والإنجيل والقران**) [٢] .

وهنا آية [٣] أخرى تلتقي مع الآية المذكورة بالمحتوى والمضمون

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١١ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١١١ .

(٣) عبرت بكلمة أية عن الآيتين ١٠ و ١١ ــ لأنهما بمنزلة الآية الواحدة ..

==========

وهي قوله تعالى : (**يأيها الذين ءامنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**) [1] .

أهمية الجهاد ودور الاستشهاد في صون الرسالة وتحرر الأمة :

والوجه في دلالة هاتين الآيتين المباركتين على أهمية الجهاد وما يترتب عليه من الشهادة والاستشهاد هو ان الله سبحانه نص عليه بالخصوص في مقابل سائر الاعمال القربية الواجبة او المستحبة كالصلاة والصيام والحج والزكاة وغيرها من الواجبات التي لها اهميتها في الإسلام حيث اعتبرت من اركانه التي بني عليها .

وتظهر أهمية فريضة الجهاد من خلال ملاحظة ما يترتب عليه من الفوائد العظيمة والمنافع الجسيمة التي اشرت اليها اجمالا في صدر هذا الحديث مبيناً دوره في صون الامة من الانحلال وتحرير الوطن من الاحتلال وحفظ الرسالة من الانهيار وتفصيل ذلك ان الله سبحانه وهو الحق قد أنزل الرسالة الحق على نبيه الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ليخرج بها الناس من الظلمات الى النور ويحققوا بذلك الهدف السامي الذي خلقهم من اجله وهو عبادته وحده لا شريك له من اجل ان يتوصلوا بهذه العبادة الى ما اراد لهم أن يصلوا إليه من الكمال والسعادة وحيث أن الحق المتمثل بكل ما انزله سبحانه على رسله كان ولا يزال محارباً من قبل انصار الباطل واتباعه في كل ادوار التاريخ لانه يقف في وجه اهوائهم ويمنعهم من الانطلاق في ميادين غرائزهم الجامحة الى تحقيق اطماعهم الطامحة فكان لا بد لصرح الدين الحق من سور يحجبه من العدوان واعداد حراس مبدئيين يقفون في وجه اعتداء المعتدين ويجاهدون في سبيل

---

(١) سورة الصف ، الآيتان ١٠ ــ ١١ .

==========

تطهيره وتحريره إذا قدر له ان يحتل من قبل الظالمين الغاصبين وجاءت فريضة الجهاد لتكون ذلك السور المانع كما جاء جهاد المؤمنين المناضلين ليحقق الحراسة الحافظة والصيانة المانعة .

سبب محاربة الكفار والمنافقين لشريعة رب العالمين :

وتظهر لنا هذه الحقيقة بصورة واضحة عندما نلقي نظرة موضوعية فاحصة على الفترة الصعبة التي خاضت فيها الطليعة الاسلامية الاولى اصعب مراحل الجهاد وادقها عندما هبت في

وجهها قوى الشرك والانحراف العقيدي والعملي لتضع حداً لزحف الإسلام المقدس فتمنع شمسه من الإشراق ونوره من التألق والانطلاق في آفاق الوجود الرحبة واجوائه الواسعة .

فولا ثبات الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم والذين آمنوا معه على صعيد الجهاد الاكبر وتحملهم كل انواع الاذى النفسي والجسدي من أجل نصرة المبدأ الحق والجهاد الجديد في سبيل انتشاره ــ لما استطاع هذا المبدأ العظيم ان يصمد في مرحلته الاولى المكية امام تلك التحديات الصعبة ويشق دربه بصعوبة تحت جنح الظلام حتى تحول بعد ذلك بعون الله سبحانه وتوفيقه من مرحلة الدعوة في مكة الى مرحلة الدولة في المدينة حيث بدأت مرحلة جديدة وصعبة من مراحل الجهاد من اجل صون هذه الدولة الفتية من اعتداء المشركين وطغيان الظالمين ــ وحيث كان الجهاد في سبيل الله ونصر دين الله سبحانه ــ فقد كلله تعالى بالنصر والتأييد وفاء بوعده الذي قطعه على نفسه حيث قال : (**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**) [1] .

---

(١) سورة محمد ، الآية : ٧ .

==========

وإذا لاحظنا الاسباب والعوامل التي انطلقت منها الحروب الرسالية بقيادة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم نجدها كلها كانت دفاعية من اجل وضع حد لعدوان المعتدين والانتصار لشريعة رب العالمين وهذا وذاك هو السبب في نصر الله سبحانه لعباده المجاهدين في كل تلك المعارك التاريخية التي خاضوها لنصرة الحق والعدل وانقاذ المستضعفين من استكبار الظالمين .

قوة الإيمان والإخلاص في النية مصدر النصرة وعكسه مصدر الهزيمة :

أما انتكاسة أُحد فقد جاءت نتيجة طبيعة لمخالفة أولئك المرابطين للتعاليم السماوية التي قدمها لهم الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم مؤكداً عليهم البقاء في مكانهم مهما كان سير المعركة ــ وقد طبقوا اول الامر هذه التعاليم ونصروا الله بذلك فنالوا النصر منه وعندما خالفوها وتركوا سبب النصر حرموا منه ووقعوا في عكسه .

وكذلك الهزيمة التي اصيب بها المسلمون اول الامر في معركة حنين كانت نتيجة لغرور بعضهم واعتداده بكثرة العدد جاهلاً بأن النصر يأتي بعناية الله سبحانه وتوفيقه عندما يتوكل المجاهدون عليه ويثقون بأن النصر من عنده يعطيه من يشاء متى يشاء عندما تتوفر مؤهلاته ومقدماته الخارجية بالاعداد والاستعداد مع مقدماته النفسية بالاخلاص في النية والتوكل عليه

سبحانه حيث قال :

« **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** » وقال تعالى :

==========

(**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيثُ لا يحتسبُ**) [١] .

وقد اعطانا الامام علي عليه السلام درساً رائعاً في الإخلاص لله في القصد والنية ــ وذلك في معركة الاحزاب يوم برز الايمان كله ممثلاً بشخصه الكريم الى الشرك كله ممثلاً بشخص عمرو عندما اراد علي هذا قطع رأسه بعد ان رد على ضربته الفاشلة بضربة إيمانية قاتلة ــ وفي هذه اللحظة الحاسمة شتمه عمرو فقام عن صدره واخذ يتمشى قليلاً ثم عاد اليه وقطع رأس الشرك منه وانطلق به نحو المسلمين وعندما سألوه عن سبب تأخره عن قطع رأسه أجابهم بقوله :

عندما شتمني غضبت فتوقفت عن قطع رأسه في حالة غضبي وانتظرت حتى زالت هذه الحالة مني ليكون قطعي رأسه خالصا لوجه الله سبحانه ولا يكون لحالة الغضب والانفعال الذاتي دخل في ذلك .

قوة الإيمان والإخلاص في النية مصدر النصرة :

ومن المعلوم ان هذه البطولة في الصدق والاخلاص لله سبحانه هي التي سددت هذه الضربة وسببت نصرة الاسلام وهزيمة أعدائه اللئام وحيث كانت السبب لبقاء هذا الدين العظيم عبر التاريخ منطلقاً لعبادة الله سبحانه بكل عمل يصدر من صاحبه على ضوء توجيهاته القيمة ــ اعتبرها الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم معادلة لعبادة الثقلين الى يوم القيامة .

وذلك لان حقيقة العبادة لله سبحانه تتمثل بتطبيق منهج الدين الذي انزله سبحانه ليكون نظام حياة ودستور عبادة وخضوع لإرادته في كل التصرفات الأختيارية التي يمارسها الانسان المكلف على صعيد هذه

---

(١) سورة الطلاق ، الآيتان : ٢ و ٣ .

==========

الحياة فلو قدر للشرك كله ان ينتصر على الإيمان والإسلام لكان معنى ذلك زوال الايمان واندراس الاسلام فلا يبقى هناك دين وشرع يتعبد الناس الله سبحانه بتطبيقه وبهذا الموقف البطولي الذي وقفه الإمام علي عليه السلام في هذه المعركة وما ترتب عليه من حفظ الاسلام والمسلمين وانقاذهما من الخطر الكبير الذي احدق بهما يومذاك نعرف قيمة الجهاد ودوره في صون الرسالة من الزوال والامة من الاضمحلال ويأتي بعد ذلك موقف علي في غزوة خيبر متمما لموقفه السابق في معركة الاحزاب ــ حيث كانت الامة والرسالة متعرضتين للخطر الفادح الذي احس الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بتوجهه من قبل اليهود فأراد ان يقوم بدور الوقاية منه بغزوهم في عقر دارهم والقضاء على الخطر في مهده قبل تسربه الى الجهة المستهدفة به .

مواقف الإمام علي عليه السلام البطولية وكلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حقه :

ويوجد تشابه واضح بين هذين الموقفين من حيث الأثر الإيجابي العظيم الذي ترتب عليهما وهو نصر الاسلام ووقايته من شر اعدائه اللئام ومن حيث ما قاله الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم في حق الامام علي عليه السلام مقدراً ومعجباً .

أما في الموقف الاول فللرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حقه كلمتان :

الاولى : تقدم ذكرها بالمناسبة اجمالاً والآن نذكرها تفصيلاً وهي قوله صلى الله عليه وآله وسلم : ضربة علي عمروا يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين الى يوم القيامة .

والكلمة الثانية : قالها في بداية المواجهة بين الطرفين عندما قال صلى الله عليه وآله وسلم : برز الإيمان كله الى الشرك كله والتعبير عنها بالثانية بلحاظ

==========

اقتضاء المناسبة ذكر الكلمة الاخرى اولا قبل ذكرها وإن كان الترتيب بلحاظ زمن صدور كل واحد منها يقتضي التعبير بالعكس .

وأما ما قاله في حقه بمناسبة الموقف الثاني فهو قوله المشهور : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه » .

والمراد من محبة الإمام عليه السلام لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم المحبة الموضوعية الواقعية المتمثلة بالإطاعة والانقياد في كل المواقف وبكل التصرفات وذلك هو السر في تلك القدرة الخارقة التي مكنته من اقتلاع باب خيبر رغم ضخامته وثقله الخارج عن الوزن الطبيعي

المتعارف في الابواب العادية وقد اشار ابن ابي الحديد الى ذلك بقوله مخاطباً الإمام علياً عليه السلام :

يا قالع الباب الذي عن هزه * عجزت أكف أربعون وأربع

وقد اعترف الإمام عليه السلام بمصدر قوته التي مكنته من ذلك بقوله :

« ما قلعت باب خيبر بقدرة جسمية ولكن بقدرة ربانية » .

وإذا انطلقنا في رحاب التاريخ ولاحظنا الخطر الذي احدق بالإسلام في عهد بني أمية بعد ان تحولت الخلافة الى ملك يتوارثه الابناء الظالمون المنحرفون عن خط الإسلام في العقيدة والسلوك عن الآباء المماثلين لهم في ذلك .

الثورة الحسينية منطلق الثورات العادلة والحسين رائد الاحرار المجاهدة :

ورأينا الدور الطليعي الرائد الذي مثله على صعيد الطف ابو الشهداء ورائد الاحرار في العالم الامام الحسين عليه السلام واستطاع بجهاده المرير

==========

واستشهاده مع الكوكبة الطليعية البطلة من ابنائه واقاربه واصحابه ان يدفع ذلك الخطر الجسيم عن شرع جده العظيم مردداً بلسان الحال :

إن كان دين محمد لم يستقم * إلا بقتلي يا سيوف خذيني

أجل : إذا لاحظنا ذلك ندرك جيداً اهمية دور الجهاد وقيمة الشهادة والاستشهاد وما ترتب على ذلك عبر التاريخ من حفظ الدين الحنيف من الاخطار المعنوية والمادية وصون الامة من الضياع والضلال المدمر الذي يعود بها الى سابق عهدها قبل بزوغ فجر الرسالة الاسلامية الخالدة .

ولم يقف دور الجهاد المقدس عند حدود التاريخ بل انطلق مع الزمن ليعلب دوره الطليعي على يد ابطال الحق وجنود الرسالة ليعطي لكل مرحلة حقها ويلبس في كل حرب لباسها المناسب لها وهذا هو سر تنوعه وتمثله مرة بالكفاح العسكري المسلح واخرى بالكلمة الابية الثائرة وهي التي اشار اليها الحديث القائل :

« أفضل الجهاد كلمة حق أمام سلطان جائر » .

دور المقاومة الحسينية في فلسطين ولبنان في دحر العدوان :

وهذا الاسلوب هو الذي انطلق به ائمة اهل البيت بعد الامام الحسين عليه السلام والسائرون على خطهم السليم وصراطهم المستقيم ولم يحصل اللجوء الى الكفاح المسلح الا عندما يشتد الضغط ويستفحل الخطر من قبل الجهة المعادية وتتوفر الشروط الموضوعية الموجبة للاطمئنان بنجاح الثورة وانتصار المقاومة العسكرية كما حصل للثورة الاسلامية في إيران الإسلام على يد البطل الحسيني الشجاع روح الله

==========

الخميني (قده) وجنوده الاحرار الابطال .

وعلى هداها سارت الثورة الحسينية في لبنان وفي افغانستان والشيشان وسائر الاقطار التي تفاعلت مع روح الجهاد وانطلقت شعوبها على درب الاستشهاد لنيل احدى الحسنيين .

وإذا لاحظنا مدى الخطورة المترتبة على استمرار الاحتلال الاسرائيلي لما احتلته إسرائيل سابقا ولاحقا من الاراضي العربية وادركنا على ضوء الواقع المحسوس والوضع المعاش ــ انحصار استئصال هذه الغدة السرطانية وإزالة هذا الشر المطلق بالمقاومة المسلحة لاحتلالها وعدم الركون للصلح الاستسلامي الذي لهث وراء سرابه البعض .

بيان دور الجهاد في صون الاسلام والمسلمين من الاضطهاد :

أجل : على ضوء تلك الملاحظة الواعية وهذا الادراك المنطقي المستوحى من الارقام الواقعية ندرك جيداً اهمية الجهاد المقدس والمقاومة الحسينية التي يخوضها ابطالنا الاشاوس داخل فلسطين السليبة الحبيبة وفي جنوب لبنان الابي وبقاعه الصامد ــ ووصف هذه المقاومة العادلة ــ بالارهاب من قبل الاعداء الظالمين لا يسلب عنها شرعيتها ولا يبدل حقيقتها وانها جهاد عادل في سبيل تحرير الارض واستعادة العزة والكرامة كما لا يبدل واقع احتلالهم وانه ظلم للآخرين وإرهاب آثم وغصب فاضح واضح لحقوق المستضعفين .

قال الشاعر :

ومهما تكن عند امرىء من خديعة [١] وإن خالها تخفى على الناس تعلم

---

(١) الوارد في البيت كلمة خليقة وبدلتها بكلمة خديعة لمناسبة المقام .

==========

ويسرني ان اختم هذه الخطبة بالمقطوعة الشعرية التي نظمتها سابقاً حول موضوع الجهاد موضع الحديث ومحل البحث .

لـــــولا الجهاد لـــحطم الاسلام * حتماً وعم العالمين ظـــلامُ
فـــهو المجن يصونه من كل ما * يبغيه من كيد بـــه الظلامُ
سيـــــظل رغم المعتدين منارةً * للحق مهـــما طالت الايامُ
ويظل رغم الحاقدين مـــــناهلاً * للخيرمهما صالت الاقزامُ
حتى يقود الثائرين محمدُ العصر * الأبي وتُـــــرفع الاعلامُ
وهناك ينهزم الطغاة وتزدهـــي * في العالمين مودة وسلامُ

والسلام عليكم أيها الاخوة الاعزاء والابناء الاحباء اولاً وآخراً ورحمة الله وبركاته .

الخطبة السادسة [1]

دور الزكاة والاحسان في سعادة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الصلاة والسلام على أشرف الانبياء وأعز المرسلين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آل الطاهرين وصحبه المنتجبين .

وبعد : قال الله سبحانه في محكم كتابه المجيد : (**وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين**) [2] .

قال تعالى : (**ومآ أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**) [3].

وقال سبحانه في مقام مدح المتقين ووصفهم بأنهم :

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في مسجد الإمام المهدي (عج) في ٢٢ ــ ٩ ــ ١٩٩٥ م .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٤٣ .

(٣) سورة البينة ، الآية : ٥ .

==========

(**الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**) [1] .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله عندما سأله رجل عن عمل يدخله الجنة : تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان .

والحديث حول موضوع الزكاة سيكون من جهتين :

الجهة الاولى : أبين فيها الوجه في قرن الزكاة بالصلاة وعطفها عليها في الكثير من الآيات والعديد من الروايات .

الجهة الثانية : أبين فيها الفوائد العديدة المترتبة على تأدية هذه الفريضة اي فريضة الزكاة مع الإشارة الى ما يترتب على التصدق والانفاق بوجه عام ــ من المنافع الجسيمة والفوائد الكثيرة من عدة جهات وفي مختلف المجالات .

وحاصل ما اريد ذكره في المقام وجها لذكر الزكاة مقترنة بالصلاة هو ان الله سبحانه انما

فرض الصلاة واوجب على المكلف ان يتعبد له بها من اجل ان تربطه بخالقه وتصله به فكرياً وروحياً لتصبح بذلك معراجاً له يسمو به الى سماء الكمال والفضيلة ومن لوازم ذلك ان ينتهي عن الفحشاء والرذيلة من الناحية السلبية وينطلق في ميادين الخير والبر والاحسان من الناحية الايجابية وحيث ان الزكاة تعود على مؤديها وعلى من تعطى له بالخير العميم والفضل الجسيم والثواب العظيم اعتبرت بذلك متممة للصلاة ومحققة لاهدافها السامية المتمثلة بتجسيم القرب المعنوي من الله سبحانه الحاصل بفعلها له بقصد التقرب منه ــ كما هو الشرط الاساس في صحتها وتحويله الى القرب المعنوي والمادي من

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣ .

==========

خلقه تعالى باعتبار عياله واحب الناس له واقربهم منه انفعهم لعياله كما هو مضمون الحديث وبذلك تتحقق إقامة الصلاة التي هي روحها وجوهرها الذي يعطيها قيمتها ويحقق لها غايتها .

الوجه في اقتران إيتاء الزكاة بإقامة الصلاة :

وهذا ما اراد الله سبحانه ان يشير اليه وينبه عليه بالتعبير باقامة الصلاة بدل التعبير بالإتيان والعمل الخارجي حيث قال سبحانه : (**ويقيمون الصلاة وأقيموا الصلاة**) ولم يقل يأتون بالصلاة وأتوا بها لأن التعبير الثاني يدل على أصل وجود صورة الصلاة وشكلها الخارجي ــ وهي ليست بظاهرها البارز وشكلها الماثل ولكن بروحها المقربة من الله بالتقوى وحيث ان دفع الزكاة لمستحقيها من الفقراء والمساكين من اوضح مصاديق الاخلاق السامية والاعمال الراجحة المحبوبة للخالق والمخلوق اعتبرت تأديتها إقامة للصلاة وترجمة عملية لغاياتها النبيلة .

وبذلك يعرف السر في عطف الله سبحانه العمل الصالح على الايمان في الكثير من آيات كتابه الكريم ومن اوضح مصاديق ذلك قوله تعالى : (**والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**) [١] .

هذا حاصل ما يناسب ذكره في الجهة الاولى .

بيان الفوائد المترتبة على إعطاء الزكاة :

وأما الفوائد التي وعدتُ ببيانها في الجهة الثانية فهي كثيرة وتفصيل

(١) سورة العصر ، الآيات ، ١ ، ٢ ، ٣ .

==========

ذلك فيما يلي :

إن الفوائد المترتبة على تأدية فريضة الزكاة عديدة منها ما هو راجع الى الفقير الآخذ ومنها ما هو عائد الى الغني الدافع .

أما القسم الأول : فيتمثل بوضوح بحل مشكلة الفقر وتوفير ما يضطر اليه الفقير من النفقة اللازمة له ولمن يعيله فلا يعاني من مأساة الحرمان والضغط الاقتصادي الذي يؤدي الى الكثير من المضاعفات السلبية .

وحيث ان حق الزكاة مفروض لمستحقه بتشريع إلهي على حد تشريع وجوب الصلاة فلا يكون هناك اي اثر سلبي بالنسبة الى آخذه لانه يكون بهذا الاعتبار بمنزلة الدين الذي يستحقه شخص على آخر .

وبذلك يُعرف ان الفائدة المترتبة على تأدية الزكاة لمستحقها هي مادية من جهة كما انها نفسية وروحية من جهة اخرى نظراً لما يترتب على دفعها له من الراحة النفسية والبهجة الروحية وحصول حالة الاستقرار الفكري بتوفر الحاجات المادية فلا يعيش حالة القلق والانفعال النفسي الذي يعاني منه الفقير عندما تضغط عليه الحاجة ولا يجد يداً بارة تمتد اليه بالبر والإحسان .

بيان الفوائد المترتبة على تأدية الزكاة :

وأما القسم الثاني : من فوائد الزكاة وهو الراجع منها الى الدافع فهو أكثر من القسم الاول كما سيتضح ذلك خلال الحديث ولشرح ذلك بشيء من التفصيل اقول :

إن الفوائد الراجعة الى الدافع المؤدي لها نوعان الاول دنيوي

==========

معجل والثاني أخروي مؤجل .

أما النوع الأول : الدنيوي المعجل فهو نوعان ايضاً الاول مادي بسبب ما يترتب على تأدية

هذه الفريضة من السعة في الرزق مع دوام النعمة والسلامة وطول العمر ونحو ذلك من المنافع المادية الدنيوية اما سعة الرزق فهي مستفادة من قوله تعالى .

(**لئن شكرتم لأزيدنكم**) [1] باعتبار ان دفع الزكاة يعتبر شكراً عملياً لله على نعمة الرزق والثراء .

ومثل هذه الآية في الوضوح قوله تعالى :

(**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**) [2] .

وهناك روايات عديدة تفيد هذا المضمون منها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام من قوله :

إن لكل شيء مفتاحاً ومفتاح الرزق الصدقة وإنها بسببها تقضي الدين وتخلف بالبركة وانها دواء المريض بل هي انفع من الادوية كلها .

وروي عن الإمام السجاد قوله عليه السلام : ما من رجل تصدق على رجل مسكين مستضعف فدعا له المسكين بشيء تلك الساعة الا استجيب له .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله في وصية لعلي عليه السلام : « يا علي الصدقة ترد القضاء الذي قد أُبرم إبراماً » .

والنوع الثاني : من الفوائد الدنيوية المعجلة هو معنوي نفسي يتمثل .

أولاً : بما يحس به الدافع لهذه الفريضة من البهجة والسرور الذي

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية ٧ .

(٢) سورة الانعام ، الآية : ١٦٠ .

==========

يخامره عندما يرى نفسه أنه قد توفق لادخال السرور على قلب اخيه في الايمان او الانسانية وهذا يعتبر غذاء للروح وتربية للنفس وهي كالجسم لها غذاؤها وداؤها ودواؤها أما غذاؤها فهو الاطعام واما داؤها فهو البخل والحرص والطمع والحقد والحسد واما دواؤها فهو الحكمة والموعظة الحسنة .

وثانياً : بالمحبة والاحترام الذي يحمله له آخذ الزكاة وغيرها من انواع البر وكذلك غير الآخذ لها من الاشخاص العقلاء الذين يقدرون الاحسان ويحترمون من يقوم به ولو كان لغيرهم ويترتب على هذه المحبة وذلك التقدير الذي يحصل من الآخذ للزكاة تأثره إيجابياً بفضل المعطي وحصول الاهتمام البالغ بشؤونه وقضاياه حيث يصبح جندياً من جنوده المتطوعين المستعدين لحفظ سلامته

إذا تعرضت للخطر ولصون ثروته إذا تعرضت للسلب والغصب وللدفاع عن شرفه وعرضه إذا تعرض للهتك من قبل بعض الحاسدين الحاقدين ونحوهم من سراق الكرامة وناهبي المال والأمن والسلامة .

بيان الفوائد الراجعة الى المكلف من إعطائه الزكاة :

ويمكن تلخيص هذه المواقف الإيجابية التي يقفها الآخذ للزكاة والمنتفع بإحسان المعطي بعنوان واحد شامل لها كلها وهو عنوان الدفاع عن النعمة التي يتمتع بها المحسن اليه سواء كانت نعمة مادية ام معنوية .

وإذا فرض زوال أية نعمة من النعم عن هذا الدافع المحسن إما بحكم القضاء والقدر السماوي او الظلم البشري فإنه يصبح موضع عطف واهتمام الآخرين المقدرين لاحسانه السابق وخصوصاً إذا كان حاصلاً لهم وبذلك يكون قيامه بالواجب الشرعي او الاخلاقي مثمراً له قيام الآخرين ومقابلتهم له بالمثل انطلاقاً من قوله تعالى :

==========

(**هل جزاءُ الإحسان إلا الإحسانُ**) [١] .

وهذا بخلاف ما إذا أعرض عن الآخرين وقت يسره وعسرهم فهو يرى منهم نفس هذا الموقف السلبي اذا تبدل يسره بالعسر وغناه بالفقر وقوته بالضعف كما هو شأن الحياة التي لا تستقر على حال ولذا قيل : دوام الحال من المحال وبذلك تعرف ان فائدة المحبة والاحترام المعنوية الراجعة الى من يحسن الى غيره تعود عليه بالفائدة المادية ايضا وبطريق غير مباشر والى تأثر اكثر افراد البشر ايجابياً بالإحسان وتحولهم الى جنود مدافعين ونافعين لمن احسن اليهم ، اشار الشاعر بقوله :

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم * فطالما استعبد الإنسان إحسانُ

وكما ان الصنع الجميل والإحسان العملي النبيل يأسر عواطف الآخرين كذلك القول الطيب والكلمة الحسنة الجميلة كما قال الشاعر الآخر :

عجبت لمن يشري العبيد بماله * ولا يشتري حراً بلين مقاله

وحيث ان الله سبحانه اراد للمحبة ان تسود وللتضامن والتعاطف ان ينتشرا بين افراد المجتمع نرى شرعه السمح قد امر وجوبا او استحباباً بما يؤدي الى ذلك ونهى تحريما عن كل ما يؤدي الى خلافه وقد جمع بين هذا الامر وذلك النهي في قوله تعالى :

(*** إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتائ ذي القربى وينهى عن**

---

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٦٠ .

==========

الفحشاء و المنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) [١] .

واذا نظرنا الى فلسفة تشريع الزكاة والغاية السامية المقصودة منها فإنا نجدها غير محصورة بالفريضة المالية المحددة بالقدر المعلوم بل هي تشمل وتمتد بروحها الواسعة لتشمل كل نعمة من الله سبحانه بها على الإنسان وهذا ما صرح الله سبحانه به ودل عليه بقوله في اول سورة البقرة :

(**الم * ذلك الكتاب لاريب فيه هُدى للمُتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**) [٢] .

حيث عمم الإنفاق الذي يقوم به المتقون وجوباً او استحباباً الى كل رزق يمن به الله سبحانه عليهم سواء كان مادياً ام معنوياً كالعلم والجاه ونحو ذلك .

وأما النفع الأخروي المؤجل فهو جنة عرضها السموات والارض ورضوان من الله اكبر .

وما أمس حاجة المستضعفين بصورة عامة والامتين العربية والاسلامية بصورة خاصة الى ان يتحلوا بهذه الروح الانسانية النبيلة وهي روح البر والاحسان والتعاطف والتعاون على البر والتقوى ويغضوا النظر عن الخلافات الطائفية والمذهبية والسياسية إما بتجميدها من اجل التوجه الى ما هو الاهم والانفع للجميع او بمسها برفق ولين وبأسلوب الحكمة الواعية والموعظة الحسنة من قبل المسؤولين الفضلاء الحكماء إذا اقتضت المصلحة العليا ذلك ليتعاونوا على تنفيذ ما يتفقون عليه وما يبقى

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٩٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآيتان : ١ ، ٣ .

==========

محل اختلاف في الرأي يجب ان لا يؤدي ذلك لان يفسد للود قضية ويتأكد ذلك في هذه الأيام اكثر من اي وقت مضى من اجل توحيد الصف والوقوف جبهة واحدة متحدة في وجه الاعداء المستكبرين والخصوم الغاصبين الذين اتفقوا على باطلهم من اجل ان يتعاونوا على الإثم والعدوان وهدر حقوق الشعوب المستضعفة وتكريس احتلال الارض وهتك المقدسات ويسرني ان اختم هذه الخطبة بالبيتين التاليين اللذين قدمهما والد محب عطوف لأبنائه في مقام توصيتهم بتوحيد صفهم وتحصيل قوتهم التي تمكنهم من تحقيق أهدافهم المرغوبة واتقاء او إزالة الاخطار المدمرة :

كونوا جميعاً يا بنيّ اذا اعــترى *خطب ولا تتفرقوا أحـــــادا
تأبى العصي إذا اجتمعن تكسراً *وإذا افترقن تكســرت أفرادا

وهذان البيتان مستوحيان من قوله تعالى :

(**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا**)[١] .

وقوله سبحانه :

(**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحُكم واصبروا إن الله مع الصابرين**) [٢] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣ .
(٢) سورة الانفال ، الآية : ٤٦ .

==========

الخطبة السابعة [١]

من وحي الهجرة النبوية والنصرة الحيدرية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

السلام عليكم أيها الإخوان المؤمنون الأحباء والأبناء الأعزاء ورحمة الله وبركاته .

وبعد : إن للهجرة النبوية المعهودة سببها المقتضي لها ووسيلتها المساعدة عليها ونتائجها الإيجابية الناشئة منها .

أما سببها فهو أمر الله النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بمغادرة مكة والانطلاق منها الى المدينة المنورة من اجل انقاذ حياته الشريفة من الخطر الكبير الذي اوشك ان يصيبها من قبل المشركين الذين عقدوا العزم وصمموا

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في مسجد الإمام المهدي (عج) يوم الجمعة بمناسبة هجرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم من مكة المكرمة الى المدينة المنورة في ٤ ــ ٣ ــ ١٤١٧ هـ الموافق ١٩ ــ ٧ ــ ١٩٩٦ م .

==========

على ان يقضوا على وجوده الشريف ودعوته المباركة ــ قبل ان تقوى وتنتشر ثم تنتصر عليهم بعد ذلك .

وقد رد الله سبحانه على مؤامرتهم ومكرهم الذي دبروه ضد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والرسالة بمكر عادل اراد به ابطال وافشال مؤمراتهم اللئيمة ومكرهم الظالم وذلك بإخبار رسوله بما عزموا عليه وأمره بأن يأمر الإمام علياً عليه السلام بالمبيت في فراشه ليكون مبيته فيه مغطيا انسحابه من بينهم فلا يشعروا به ولا يعرفوا بمغادرته الا بعد خروجه بالسلامة ووصوله الى المقر الآمن .

وعندما طلب من الإمام عليه السلام المبيت مكانه في فراشه لم يكن منه سوى التجاوب مع هذا الطلب السماوي وإبداء الاستعداد لتنفيذه حتى ولو ادى الى قتله في هذا السبيل مادام فيه رضا وللرسول سلامة .

وأخيراً : تجمع القوم حول المكان الذي كان محلا لمبيت الرسول منتظرين الوقت المحدد لتنفيذ المؤامرة وكانوا خلال فترة الانتظار ينظرون الى داخل ذلك المكان من خلال شقوق الباب فيرون شخصا نائما ويقوى اعتقادهم بأنه شخص الرسول المستهدف حتى إذا حضر الوقت المعين نفذوا عملية الهجوم الى الداخل وكانت المفأجاة المخيبة لآمالهم بظهور ان الراقد في ذلك الفراش هو شخص الإمام علي عليه السلام الذي انتفض امامهم كالاسد الضرغام غير مكترث بعددهم وعُدَدِهم المجهزة للفتك بأفضل شخصية عرفها التاريخ .

وعندما سألوه أين محمد ؟ قال : أجعلتموني عليه رقيباً ؟ ألستم قلتم نخرجه من بلادنا فقد خرج عنكم .

وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قبل هجومهم قد خرج من بينهم وهم محيطون

==========

(٧٨)

بالمنزل راشا على وجوههم الشوهاء قبضة من تراب مردداً قوله تعالى :

(**وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون**) [١] .

وانطلق في سيره الهادىء المطمئن للمصير الى المقر الآمن الذي شاءت العناية السماوية والرعاية الإلهية ان يكون ملجأ للرسول الصادق الامين تصان به ذاته الشريفة ورسالته المباركة الخالدة من الخطر .

وتقول كتب السيرة : إن القوم بعد ان فشل هجومهم انطلقوا متتبعين ومقتفين آثار قدمي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى انتهى بهم الاقتفاء الى باب الغار حيث اختفت هناك الآثار وقال ذلك الشخص الخبير بمهمة الاقتفاء والاطلاع على مكان وجود صاحب الأثر من أثره المشير اليه والدال عليه : ما حاصله الى هنا انتهت آثار قدمي محمد فإما ان يكون قد نزل في الارض او صعد الى السماء وعندما أثار بعضهم احتمال ان يكون موجودا داخل الغار دفع شخص آخر احتماله هذا بوجود بيت العنكبوت وعش الحمامة على بابه ــ ولو كان الرسول محمد داخله لما كان بيت العنكبوت سالماً وعش الحمامة قائماً وبذلك يكون الله سبحانه قد نصر عبده وحماه بأضعف الوسائل :

(**ورد اللهُ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً**) [٢] .

وقد اشار الله سبحانه الى مؤامرة القوم ومكرهم الغادر وما رد به عليهم بمكره العادل بقوله تعالى :

---

(١) سورة يس ، الآية : ٩ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٢٥ .

==========

(٧٩)

(**وإذ يمكرُ بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكرُ اللهُ واللهُ خيرُ الماكرين**) [١] .

كما أشار الى الموقف البطولي الذي وقفه الإمام علي عليه السلام في سبيل حفظ الرسول والرسالة من الخطر بقوله تعالى :

(**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله واللهُ رؤوف بالعباد**) [٢] .

وتحدث أخيراً عن قصة الهجرة والإخراج الذي ألجأه الى الغار مع صاحبه بقوله تعالى : (**إلا تنصروا فقد نصره اللهُ إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا فأنزل اللهُ سكينتهُ عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم**) [٣] .

هذا هو حاصل قصة الهجرة على ضوء ما ورد في تاريخ السيرة النبوية والتفسير الذي تناول شرح الآيات المذكورة مع بيان اسباب نزولها .

ولا بد لنا من الوقوف امام ما اشتملت عليه هذه القصة من الحوادث الغريبة والكرامات العجيبة من اجل ان نستوحي منها ما يتسع المجال لاستيحائه من الدروس النافعة والعبر المفيدة .

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٣٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٧ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٤٠ .

==========

الاول منها هو درس نستفيده من الإيمان القوي والعقيدة الراسخة التي تمتع بها الإمام علي عليه السلام وعبر عنها .

أولاً : بالقول المأثور المشهور عنه « لو كشف لي الغطاء لما ازددت يقيناً » .

وثانياً : بإقدامه على خوض المعارك واقتحام المهالك بدون تردد ولا تهيب . وإقدامه على المبيت في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتوطين نفسه على ان يقتل ويقدم نفسه المطمئنة فداء للرسول والرسالة اصدق شاهد على هذه الحقيقة الإيمانية التي استحق بها التقدير والاجلال من الله سبحانه ومدحه بالآية السابقة التي بين بها ان عليا عليه السلام بإقدامه على هذه التضحية الفدائية النادرة قد باع نفسه لله سبحانه مقابل ثمن مرضاته ورضوانه الاكبر .

والدرس العملي الذي يستلهم من هذا الموقف البطولي الذي وقفه بطل العقيدة في سبيل حفظ الرسالة ونصرتها هو ان نتخذ منه رائداً وقائداً نترسم خطاه ونسير على ضوء هداه في معركة العزة والكرامة التي نخوضها في هذه الأيام من اجل تحرير ارضنا من الاحتلال وشعبنا من الاستعباد والاستغلال .

وبذلك نكون قد اقدمنا على ان نسلم لله سبحانه ما اشتراه منا وبعناه له من الانفس والاموال لننال ثمنها الغالي وهو العزة والحرية والاستقلال في هذه الحياة مضافا الى الثمن الاثمن والاغلى

وهو جنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين ورضوان من الله اكبر .

الدرس الثاني : يثمر لنا قوة الثقة ورسوخ الإيمان بنصر الله سبحانه الذي وعد به عباده المؤمنين المجاهدين في سبيله المتوكلين عليه في

==========

(٨١)

تحقيق ما يحبون حصوله من الآمال المشروعة والاهداف السامية المحبوبة له سبحانه ــ وذلك بتمهيد السبيل أمامهم وإزالة الحواجز من طريقهم انسجاما مع القاعدة الإيمانية القائلة : إذا اراد الله أمراً هيأ اسبابه ويكون الامر عكس ذلك بالنسبة الى الكافرين والمنافقين .

وقد تجلى ذلك كله بوضوح في قصة الهجرة من بدايتها وفي وسطها الى نهايتها وبلوغها الهدف المرسوم لها والمقصود منها ففي البداية صدر الامر الإلهي بها والاخبار عن الضرورة الموجبة لها ليتحقق العزم والاقدام عليها من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما هيأ الله سبحانه للرسول والرسالة المؤازر والناصر في كل المواقف والمواقع وهو شخص الإمام علي عليه السلام الذي بدأ نصرته للدعوة منذ بدأ الرسول بها ــ ويأتي مبيتة في فراشه ليكون المصداق الواضح للسبب البارز المساهم في إنجاح الخطة وحصول الهجرة . هذا من الناحية الإيجابية وبالنسبة الى الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم حبيب الله وحامل لواء دعوته وسراج رسالته .

وأما بالنسبة الى اعدائه فالامر كان على العكس حيث أعمى الله ابصارهم كما عميت بصائرهم فلم يشاهدوا الرسول حين خروجه من بينهم وكذلك قدر للحمامة ان تبني عشها وللعنكبوت ان تبني بيتها وبسرعة خاطفة ليكون ذلك سبب سلامة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ومصدر فشل لمؤامرة أعدائه الذين قصدوه بسوء وارادوا به شراً فقلب سبحانه . السحر على الساحر وكان الانتصار للمؤمن الموحد على المشرك الكافر ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

الدرس الثالث : المستفاد من هذه القصة هو ما توحيه لنا من قوة الاطمئنان بحصول النصر والغلبة في معركة الجهاد والتضحية في سبيل

==========

(٨٢)

نصرة الحق مهما كان العدو كثير العدد وقوي العدد وكان المؤمنون على العكس من ذلك .

وذلك ما يوحي به قوله تعالى :

(**ولينصرن اللهُ من ينصره إن الله لقوى عزيز**) [١] .

وقوله تعالى :

(**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله**) [٢] .

وتأتي معركة بدر لتكون المصداق الواضح لهذه الحقيقة القرآنية ــ كما تأتي قصة اصحاب الفيل والحمامة والعنكبوت مع قصة النبي إبراهيم التي توحي بالاطمئنان بإمكانية تدخل عامل الغيب وسلاحه الفتاك ليقلب الموازين في ساحة المواجهة حينما يجعل الله سبحانه القوي ضعيفا والكثير بحكم القليل والنار برداً وسلاما إذا لزم الامر واقتضت المصلحة وقد اكد الله سبحانه هذه الحقيقة في العديد من الآيات منها قوله تعالى : (**وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم**) [٣] .

وقوله سبحانه : (**وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**) [٤] .

وأما النتائج الحميدة التي ترتبت على هذه الهجرة المباركة فهي واضحة لا تحتاج الى مزيد من البيان لانها تمثل في واقعها انطلاقة موفقة وخطوة مباركة في سبيل تحول الدعوة من مرحلة الضعف والدفاع الى مرحلة القوة والدولة التي اصبحت بعد ذلك بنصر الله وتأييده وثبات

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٩ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٦ .

(٤) سورة الروم ، الآية : ٤٧ .

==========

الرسول وحكمته قادرة على الابتداء بالهجوم لو ارادت وعلى الدفاع بقوة وصلابة إذا تعرضت لعدوان الكفر وابتداء الظلم كما حصل في معركة بدر وأُحد اولاً وفي حنين اخيراً ــ هذا مضافا الى وضع التشريع الكامل العادل ، وتطبيقه على صعيد الحياة وفي مختلف المجالات الامر الذي ساهم مساهمة فعالة في صنع الامة الرسالية وجعلها خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف بعد فعله وتنهى عن المنكر بعد تركه .

مسك الختام أبيات في مدح الإمام عليه السلام :

وحيث ان مبيت علي عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة هجرته المباركة كان الجسر الذي عبرت فوقه الرسالة وانتقلت من السجن والحصار الى التحرر والانطلاق كان من المناسب ان اختم هذه الخطبة بالابيات التالية التي نظمت في يوم القائها وتاريخه والخطاب فيها موجه الى شخص الإمام علي عليه السلام :

قدمت نفسك للرسول فـــــداء * لتنال عمراً خـــالداً وبـــــقاء
وظفرت بالهدف المقدس حينما * أصبحت درعاً للهدى ووقـــاء
وسموت قدراً وارتـــقيت مكانةً * وحباك رب العالمين ثـــــناء
قد بعت نفسك للإله ولم يـــرد * رب البرية من سواك شـــراء
وبذاك قد فقت الملائك رفـــعة * إذ لم ينالوا ما كســـبت علاء
لا غرو فالمختارُ نفسك مثـــلما * نطق الكتابُ وقـــدم الإطـــراء
وعليكما منا التحيةُ مـــــا بدت * شمس وأهدت للحياة ضـــياء

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم أيها الأخوة المؤمنون الأعزاء ورحمة الله .

==========

الخطبة الثامنة [١]

من وحي ميلاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
وحفيده الصادق عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

والسلام عليكم أيها الإخوان الأعزاء والأبناء والأحباء ورحمة الله وبركاته .

وبعد : إن الاحتفال بالمناسبات الدينية بصورة عامة وبالرموز الرسالية بصورة خاصة ــ يعتبر من اهم الموضوعات الإسلامية الجديرة بالاهتمام من اجل ان يحقق هدفه الرسالي المنشود

ومن هذا المنطلق سأتناول الحديث حول هذا الموضوع من عدة جهات .

الأولى : أبين فيها المراد من كلمة الاحتفال لغوياً وعرفيا من اجل التمييز بينهما ومعرفة ما هو الاولى بالرعاية والاهتمام في مقام إحياء

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة في مسجد الإمام المهدي (عج) بميلاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحفيده الصادق عليه السلام ، وذلك في ١٥ ــ ٣ ــ ١٤١٦ هـ الموافق ١١ ــ ٨ ــ ١٩٩٥ م .

==========

المناسبات الدينية بعنوان الاحتفال وتعظيم الشعائر .

الثانية : أبين فيها الباعث الموضوعي الذي يفرض كونه المحرك الداعي للقيام بمهمة الاحتفال والاحتفاء .

الثالثة : أبين فيها الاسلوب المطلوب اتباعه من أجل التوصل به الى الهدف الاساسي المقصود من إقامة الاحتفال وإحياء المناسبة .

أما الكلام في الجهة الاولى فحاصله :

أن المراد من كلمة الاحتفال لغويا هو نفس ما يراد من كلمة الاحتفاء وهو الاهتمام والاحترام ورد في المعجم الوسيط الجزء الاول ص ١٨٦ ما حاصله ومضمونه : يقال احتفل بالامر اذا عني به وبفلان اذا اكرمه واهتم به وقال في نفس الصفحة يقال : حفي بفلان حفاوة اذا احتفل به واحترمه .

وقد كثر اطلاق كلمة الاحتفال على الاسلوب العرفي التقليدي المتبع في مقام احياء مناسبة دينية او وطنية ونحوهما ويتمثل هذا الاسلوب بإعلان الزينة وتقديم التبريك والتهنئة ويضم الى ذلك غالباً اقامة مهرجان خطابي تلقى فيه الكلمات والقصائد المشتملة على المدح والثناء لصاحب المناسبة مع بيان ما كان يتجمل به من الفضائل والكمالات وهذا اذا كانت المناسبة مناسبة عيد ميلاد ونحوها من المناسبات المقتضية بطبعها للفرح والابتهاج .

وإذا كانت مناسبة وفاة تكون ظاهرة الاحتفال على العكس من ذلك حيث يرفع شعار الحزن والحداد ويقام الاحتفال للرثاء والتأبين بالقاء

==========

الكلمات والقصائد الرثائية المبينة لفضل صاحب المناسبة ومكانته السامية .

والاحتفال بكلتا المناسبتين المذكورتين كان ولا يزال في الغالب ان لم يكن في الدائم ــ مقصورا على اسلوبه التقليدي العرفي المذكور ــ ومن الواضح ان الاحتفال بهذا الاسلوب وهذه الطريقة وان كان افضل من العدم المطلق ــ ولكن المتوقع ان يحصل تطور في الاسلوب بعد الرجوع بكلمة الاحتفال الى معناها اللغوي الاصيل ومعرفة نوع الباعث الذي ينبغي ان يكون هو المحرك لإقامة الاحتفال وإحياء المناسبة وهذا ما وعدت ببيانه في الجهة الثانية فأقول :

إن الباعث الموضوعي المفروض في حق مقيم الاحتفال ان ينطلق منه هو إبراز العوامل والاسباب الذاتية والموضوعية التي ساهمت في بناء شخصيته من اجل رعاية وتنمية ما يكون موجودا منها فعلا وتحصيل ما يكون مفقودا .

وبذلك يعرف حاضر الاحتفال والمطلع على ما القي فيه الاسلوب الذي يساعده على بناء كيانه وجعله صورة اخرى عن شخصية المحتفى به او شبيها بها كما قال الشاعر :

وتشبهو إن لم تكونوا مثلهم * إن التشبه بالكرام فلاح

أما الجهة الثالثة : فحاصل ما أريد بيانه فيها هو أننا إذا عرفنا المعنى الاصلي لكلمة الاحتفال في اللغة وادركنا انه هو الذي يطلب تحقيقه من اجل ان يكون الاحتفال واقعيا وعمليا مستمرا لا يقف عند زمان المناسبة وتاريخها ، يتعين في حقنا بعد ذلك مراعاة الاسلوب الواقعي العملي للاحتفال والاحتفاء وهو يتمثل اولا بالتعرف على شخصية صاحب المناسبة والاسباب التي ساهمت في بنائها من اجل ان

==========

يصوغ كل شخص غير بالغ درجة شخصيته على مثالها من خلال بنائها على نفس الاسس والمنطلقات التي صنعت ذاته وبنت شخصيته وبعد هذا يتخذ من شخص صاحب المناسبة قدوة رائدة واسوة حسنة وذلك بترسم خطاه والسير على ضوء هداه في كل التصرفات وفي مختلف المجالات وبذلك يتحقق الاحتفال الحقيقي والاحتفاء الكامل العملي الذي يريده منا الله ورسوله والمؤمنون الواعون .

واما الاسلوب العرفي الذي كان ولا يزال متبعا في مقام احياء مناسبة الولادة او الشهادة ونحوهما وقد مرت الاشارة اليه فهو وان كان افضل من العدم المطلق كما تقدم ولكن يطلب منا

ان نتجاوزه ولا نقتصر عليه في عصرنا الحاضر بعد القاء الحجة واشراق نور الوعي والصحوة الى الاسلوب العملي الذي يستمر معنا ويحصل منا في كل زمان ومكان نقتدي فيه بصاحب الذكرى ليكون حاضراً بيننا بسيرته المتبعة القويمة وشخصيته القيادية العظيمة .

وهذا ما اراد الله سبحانه ان ينبهنا عليه ويلفت نظرنا اليه بقوله تعالى : (**لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الأخر وذكر الله كثيرا**) [1] .

وما يقال في حق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقال في كل واحد من أهل بيته الائمة المعصومين والقادة العدول السائرين على نهجهم لان كل واحد منهم يعتبر قرآنا ناطقا وإسلاماً عملياً متحركاً على صعيد الحياة والاحتفال الحقيقي المطلوب لله سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأولي الأمر

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

==========

المعصومين والتابعين لهم بإحسان إنما يكون بتطبيق تعاليم القرآن ومناهج الإسلام كما طبقوا وعملوا ولا يكون بمجرد إعلان الزينة المادية المعهودة إذا لم يقترن بإعلان زينة الاخلاق الفاضلة والتقوى والعمل الصالح كما لا يكون بمجرد المدح والثناء او التأبين والرثاء إذا تجرد ذلك عن المتابعة والاقتداء كما هو واضح .

بيان الاحتفال الحقيقي المحقق للهدف المقصود :

ولذلك أمرنا الله سبحانه بمودة أهل البيت عليهم السلام المتمثلة بالمحبة المقترنة بالإطاعة والمتابعة ولم يكتف منا بالمحبة المجردة عن ذلك لان هذه محبة ناقصة كما ان الاحتفال الذي لا يقترن فيه قول المدح والثناء او التأبين والرثاء ــ بعمل المتابعة والاقتداء يكون ناقصا والله الكامل لا يرضى منا الا بالعمل الصالح الكامل والى هذا المعنى اشرت بالمقطوعة الشعرية التالية التي نظمت بمناسبة ميلاد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم والقيت اكثر من مرة في اكثر من احتفال يتعلق بهذه المناسبة المباركة :

إن رمت تكريم الــنبي مــحمد * والاحتفال بيوم عيد المــولــد

فانهج سبيل الصالحات مــطبقاً * قانونه السامي بــدون تــردد

إن الرسول هو الرسالةُ قد أتت * من أجل إصلاح وهدي مرشد
فإذا أخذت بها ونلت عــطاءها * بتـــــدبر وتقــيد وتعـــــبـــــد
أحييت ذكرى المرسلين جميعهم * وبني الإمامة من سلالـــة أحمد
فالكل نـــور واحـــد متألـــــق * يجــلو دياجير الضلال المــفسد

وبعد أن عرفنا الاسلوب العملي للاحتفال الحقيقي بكل مناسبة

==========

تتعلق برموزنا الدينية وخصوصا المعصومين منهم يسهل علينا معرفة كيفية تطبيق هذا الاسلوب في حياتنا العملية .

وسأذكر مثالاً لذلك من شخصية الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم باعتبار كونها موضوع هذا الحديث بمناسبة ميلاده الشريف :

فأقول : إن الصفة البارزة التي لمعت في حياة هذا الشخص العظيم وعرف بها قبل بعثته هي كونه صادقا واميناً وهاتان الصفتان متلازمتان في حياة الشخص الرسالي . والظاهر من كلمة الصدق وان كان هو بعض اقسامه وهو الصدق في القول ولكن اذا نظرنا الى معناه بعين التدبر وادركنا انه عبارة عن المطابقة للحقيقة والواقع ندرك انه غير محصور ومقصور على ذلك المعنى الخاص المتبادر من كلمة الصدق عند اطلاقها بل يشمل انواعا اخرى هي افراد لذلك المعنى العام وهي الصدق في العقيدة والصدق في النظام والشريعته والصدق في العمل والممارسة .

بيان المراد من الصدق بمعناه العام :

أما الأول : فيتحقق عندما تكون العقيدة مطابقة للواقع على ضوء البرهان القاطع ومثاله الواضح الايمان بأصول الدين المعهودة .

وأما الثاني : فمثاله الجلي الشريعة الإسلامية المنبثقة من تلك الاصول والقائمة على اساسها وبذلك يعرف ان كل نظام لا يكون قائما على تلك الاسس الوطيدة وراجعا الى مصدر الكون والحياة وهو الله سبحانه لا يكون نظاما صادقا ومطابقا لمصلحة الشعب في الواقع ومحققا لاهدافه وتطلعاته كما يوحي بذلك قوله تعالى :

==========

(**إن الدين عند الله الإسلام**) [١] .

(**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين**) [٢] .

ومن المعلوم ان كل نظام يكون مسببا للخسران في الآخرة يكون مطبقه من الخاسرين في الدنيا ايضا .

واما الصدق في العمل والممارسة فيتمثل بمطابقة اعمال المكلف لاحكام شريعة الصادقة المنبثقة عن عقيدته الصحيحة وذلك عندما يتقيد بنظامها ويتحرك في فلكها فلا يصدر منه تصرف او موقف ايجابي او سلبي الا اذا كان مبررا في شريعته وهذا النوع من الصدق هو المكمل للنوعين الاولين كما انه مكمل لشخصية الإنسان الملتزم بخط السماء عقيدة ونظاما ــ وذلك لان الإيمان بأصول الدين والالتزام العقيدي بما يتفرع عنها من الاحكام والقوانين لا يحقق للإنسان الظفر بالسعادة والسلامة من الخسران الا اذا اقترن ايمانه بالاصول والفروع بالعمل بمقتضاها والسير على ضوء هداها ــ وقد نبه الله سبحانه على هذه الحقيقة الموضوعية بقوله تعالى : (**والعصر * إن الإنسان لفي خُسر * إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**) [٣] .

بيان الاحتفال الحقيقي المطلوب :

إذا أدركنا هذه الحقيقة وعرفنا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكل واحد من أهل بيته الائمة المعصومين عليهم السلام يمثل كل واحد منهم الإسلام العملي

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥ .

(٣) سورة العصر ، الآيات : ١ ، ٢ ، ٣ .

==========

بحيث يصح ان يقال في حقه إنه القرآن الناطق والاسلام المتحرك على صعيد الحياة وعرفنا ايضا على ضوء ما تقدم ان الاحتفال بمعناه اللغوي يراد به الاحترام والاهتمام ، ندرك جيدا على

ضوء ذلك كله ان الاحتفال الحقيقي والاحترام الواقعي لا يكون بالاحتفال بأسلوبه التقليدي المتعارف وإنما يكون بالاقتداء والمتابعة ليكون كل واحد منا صورة مصغرة عن كل واحد منهم بصورة عامة وفي حياة جدهم الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ــ بصورة خاصة هي صفة الصدق والامانة ، فإن الاحتفاء بهم والاحترام لهم حقيقة وواقعا يكون بالاتصاف بهذه الصفة بكلا عنوانيها المتلازمين ليصبحا بحكم الصفة الواحدة وبذلك ندرك ان كل شخص يحقق في نفسه صفة الصدق في العقيدة إيماناً وفي الشريعة التزاما وفي السلوك استقامة وتقوى .

ويضم الى ذلك بطبيعة حاله الإيمانية ان يكون امينا على نفسه وعلى كل واحد من افراد اسرته الواقعين تحت رعايته ورحمته وعلى كل ما يعتبر امانة لديه سواء كانت امانة مالكية او شرعية مادية او معنوية .

أجل : إن كل شخص يكون هكذا يكون محتفلا واقعا وفي كل زمان ومكان بكل شخصية رسالية تأثر بها فكريا وعاطفيا واقتدى بها في حياته عمليا وهذا النوع من الاحتفال هو الذي يطلب منا القيام به ليتحقق الهدف الاساسي من الاحتفال الذي يباركه الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون ويرونه بعين الرضا والقبول حيث يكون من اوضح مصاديق العمل الصالح الذي طلب من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأمرنا به بقوله تعالى :

(**وقل اعملوا فسيرى اللهُ عملكم ورسوله والمؤمنون**) [1] .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٥ .

==========

ختام الخطبة بأبيات من وحي المناسبة :

ويسرني أخيراً ان اجعل ختام المسك ومسك الختام الابيات التالية التي افتتحت بها هذه الخطبة في السنة المنصرمة وبوحي من مناسبة عيد ميلاد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم وحفيده الصادق عليه افضل الصلاة وازكى التسليم :

بدران قد سطعا بأفق المـــــولد * وتــألقا بسنا العلى والســؤدد

وهما الرسول المصطفى وحفيده * السامي مقاماً جعفر بن محمد

طلعا على أفق الوجود لــيكشفا * بسنا الرشاد ظلام غي مــفسد

والاحتفال بذاك ليس بـــــزينة * وبقول شعر بالثناء مـــــــردد

الاحتفال الحق إيـــــمان بـــــه * نمضي على نـــهج التقى بتوحد

ونطبق الشـــــرع المقدس بيننا * دوماً ونطرد جيش خصم معتدي

وبذاك يغدو كل يـــــوم مشرق * بهدى الرسالة ــ يوم عيد المولد

والسلام عليكم أيها الإخوان الأعزاء والأبناء الأحباء أولاً وآخراً ورحمة الله وبركاته .

الخطبة التاسعة [1]

ذكر الله سبحانه ودوره في
تقدم الإنسان وسلامة مسيرته

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

السلام عليكم أيها الإخوان الأعزاء والأبناء الأحباء ورحمة الله وبركاته .

وبعد : قال الله سبحانه في محكم كتابه المجيد : (**الذين ءامنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب**) [2] .

وقال سبحانه : (**والذاكرين الله كثيراً والذاكرات اعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما**) [3] .

المراد بالذكر الذي مدح الله به عباده المؤمنين وبين انه السبب في اطمئنان قلوبهم وتعلقها بربهم ــ هو التذكر لعظمة الله سبحانه وجلاله

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة في مسجد الإمام المهدي عليه السلام في ١٨ ــ ١٠ ــ ١٩٨٥ م .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٢٨ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٥ .

==========

واستحضار هذه العظمة في الذهن والاحساس الشعوري الباطني ليظل الذاكر له بهذا المعنى على ارتباط به واقبال عليه في كل احواله واوضاعه .

وهذا ما يوحي به قوله تعالى :

(**إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**) [1] .

فقد بين الله سبحانه ان المراد بذكر الله تعالى الذي يحصل من المؤمنين العقلاء في هذه الاحوال الثلاثة هو التفكر في خلق السماوات والارض بقرينة عطف قوله : ويتفكرون في خلق السماوات إلخ ، على قوله : (**يذكرون الله**) عطف تفسير كما هو الظاهر بدليل انه حصل لهم بهذا التفكر ايمانهم بحكمته تعالى وانه لم يخلق هذا الكون بما فيه ومن فيه عبثا وباطلا بلا هدف وحكمة ــ بل خلق الكون لخدمة الإنسان كما صرح بذلك في الكثير من آيات كتابه الكريم .

منها قوله تعالى : (**وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منهُ**) [٢] .

وقوله تعالى : (**ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض**) [٣] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٩٠ ــ ١٩١ .

(٢) سورة الجاثية ، الآية : ١٣ .

(٣) سورة لقمان ، الآية : ٢٠ .

==========

وخلق الإنسان لعبادته وحده لا شريك له كما صرح بذلك في قوله تعالى : (**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) [١] .

ومن الواضح ان الوصول الى هذه النتيجة لا يكون بمجرد الذكر اللساني الخالي من التفكر القلبي والتدبر العقلي .

وهذا ما ورد النص عليه في الكثير من الروايات وبيان الكثيرين من المفسرين .

وبعد معرفة هذه الحقيقة وان الذكر الذي مدح الله عباده المؤمنين به هو التفكر واستحضار عظمة الله سبحانه وجلاله وانه الكامل بالكمال المطلق الذي اوجد الكون بقدرته الجبارة وسيره لخدمة الإنسان بحكمته البالغة وانه مصدر الخير كله والملجأ الامين لدفع الشر والسلامة منه وانه لم يكلف عباده بالعبادة الا ليتوصلوا بها الى الكمال والسعادة .

أجل : بعد معرفة ذلك كله والاطلاع عليه بوعي وتدبر يأتي دور بيان الفوائد المترتبة على هذه العبادة الباطنية التي هي روح العبادة الظاهرية كما يوحي بذلك بعض الروايات القائلة ما حاصله : لا يكتب للإنسان من صلاته الا ما اقبل به على ربه .

فأقول : الذكر بالمعنى المذكور يكون حاضرا لدى الإنسان المؤمن الذاكر الملتفت إما تفصيلا او اجمالا وارتكازا في كل احواله واوضاعه وسأقتصر على ذكر فائدة حصوله عند اهم الاوضاع التي يكون لوجوده فيها أثر بالغ ودور بارز في حياة الإنسان وتصرفاته وهي ما يلي :

حالتا النعمة والمصيبة وحالتا الاطاعة والمعصية فعلا او الاقدام عليها وحالتا الرضا والغضب وهناك احوال اخرى لم اذكرها اما لرجوعها

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

==========

الى ما ذكر كحالتي الغنى والفقر ــ لانهما ترجعان الى حالتي النعمة والمصيبة ببعض الاعتبارات او لامكان الاستغناء عن ذكرها بالخصوص لامكانية معرفة دور الذكر فيها من معرفة فائدته فيما ذكر .

اما فائدة ذكر الله سبحانه حال النعمة فواضحة بسبب ما يوحي به تذكر الله سبحانه حال التمتع بنعمه التي لا تحصى من كونه المصدر الحقيقي لكل ما ظفر به وحصل له من النعم وقد نص على ذلك بقوله تعالى : (**ومابكم من نعمة فمن الله**) [١] .

واكد ذلك بقوله سبحانه : (**وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها**) [٢] .

مع الالتفات التفصيلي ببركة هذا التذكر الى انه سبحانه لم يتفضل عليه بهذه النعمة الا ليستعين بها على تحقيق الغاية الكبرى التي خلقه من اجلها وهي عبادته وحده لاشريك له وانه إذا صرفها في هذا السبيل كان شاكرا الله عليها بالشكر العملي الذي يقتضي بطبعه زيادة النعمة وبقاءها عند صاحبها الشاكر مع توفيقه لطول البقاء والسلامة من البلاء لما هو المعروف المشهور من ان الصدقة الواجبة او المستحبة تطول الاعمار وتعمر الديار وتدفع البلاء وقد أبرم إبراماً .

أجل : إن تذكر الله المنعم من قبل صاحب النعمة يؤدي الى صرفها في سبيل إطاعته سبحانه وذلك يؤدي الى هذه النتائج الايجابية المباركة والفوائد العديدة .

وقد اشار سبحانه الى ما يترتب على شكر النعمة الناشىء عن ذكر

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٥٣ .

(٢) سورة النحل ، الآية ١٨ .

==========

المنعم بها والتفكر فيما يستحقه من الشكر وما يترتب عليه من الزيادة والخير والبركة بقوله تعالى :

(**لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد**) [١] .

وإذا كان الذاكر لله سبحانه واعيا وملتفتا ببركة تذكره الواعي الى ان العذاب المترتب على الكفر بنعمة الله سبحانه ليس مقصورا على العذاب الاخروي بل هو شامل للعذاب الدنيوي المعجل الذي يتحقق بسلب النعمة عن الكافر بها الصارف لها في غير اطاعة الله سبحانه ، فإن تذكره هذا والتفاته الى هذه النتيجة السلبية الخطيرة يدفعه ويحتم عليه صرف نعمة الله في سبيل اطاعته

ليحصل تلك الفوائد العظيمة ويسلم من نتائج الكفر العقيمة الجسيمة .

وقد ذكر الله سبحانه في كتابه المجيد نموذجا للمؤمن الشاكر الذاكر وبين نتيجة شكره لله على نعمه الكثيرة والكبيرة وهي اعطاؤه ملكا واسعا لم يحصل لغيره من الحكام في هذه الدنيا .

وكان موضوع هذا الحديث السماوي القرآني هو النبي سليمان الذي ملك الدنيا بتوفيق الله وفضله ولكنها لم تملكه ولم تؤثر على موقعه العبودي من المنعم بها عليه ــ ولم يزده إقبالها عليه من جميع الجهات الا اقبالا على الله سبحانه بالشكر القلبي الذي ابرزه بالشكر اللساني عندما قال : (**هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر ام اكفر**) [٢] .

وتوج كلا الشكرين القلبي بمعرفة مصدر هذا الملك العظيم واللساني بالاعتراف بأنه من فضل الله .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٧ .

(٢) سورة النمل ، الآية : ٤٠ .

==========

أجل : توج هذين النوعين من الشكر بالشكر العملي الذي تمثل بصرف هذه النعمة الواسعة في سبيل مرضاته تعالى وحصل بذلك دوامها مع تحصيله حياة الخلود في هذه الدنيا ــ بالذكر العاطر الذي سجله الله له على صفحات كتابه الكريم بحروف من نور (والذكر للإنسان عمر ثاني) .

كما ذكر سبحانه نموذجا آخر هو على العكس من الاول وهو قارون الذي اعطاه الله سبحانه المال الكثير الذي عبر عن كثرته بقوله :

(**وءاتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة اولى القوة**) [١] .

حيث انه قابل نعمة الله سبحانه بالكفر القلبي بإنكاره وجود تدخل للإرادة الإلهية في حصول هذه النعمة له وترجم هذا الانكار بحصر سبب حصولها له بعلمه ومهارته حيث قال : (**إنما أُوتيته على علم عندي**) [٢] .

واذا دققنا النظر في مصدر هذا الانكار والكفر القلبي واللساني وما ترتب على ذلك من الكفر العملي حيث امتنع عن دفع الحق الشرعي الذي تعلق بثورته لمستحقه نرى ان مصدر ذلك هو الغفلة المطبقة وعدم تفكره وتذكره للمصدر الحقيقي لكل النعم التي تحصل للإنسان في هذه الحياة ــ ولذلك أخذه الغرور والطغيان الذي ادى به الى تلك النتيجة السلبية التي ترتبت على طغيانه هذا وهي خسف الله به وبداره الارض كما تحدث بذلك القرآن الكريم حيث قال سبحانه مبينا

مصيره المؤلم المظلم :

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٧٦ .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٧٨ .

==========

(**فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين**) [١] .

وقد ذكر الله سبحانه هذين النموذجين من الناس من اجل ان نستوحي الدرس والعبرة ونبقى دائما وابدا على حالة ذكر لله وتذكر والتفات الى كونه هو المصدر الحقيقي لجميع الآلاء والنعم التي يتمتع بها الإنسان في هذه الحياة وقد اكد هذه الحقيقة الفطرية بقوله سبحانه :

(**ومابكم من نعمة فمن الله**) [٢] .

وقوله تعالى : (**وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها**) [٣] .

كما بين لنا نتيجة ذكره وشكره وهي زيادة النعمة ودوامها ونتيجة الغفلة والتنكر لمصدر النعمة ــ وهي سلب هذه النعمة وما يترتب عليه من العذاب النفسي وذلك بقوله تعالى :

(**لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد**) [٤] .

وقد مر بيان ذلك مفصلا في أواخر صفحة ٦٥ .

فائدة ذكر الله سبحانه حال الابتلاء بالمصيبة :

وأما الفائدة المترتبة على ذكر الله سبحانه حال ابتلاء الانسان بالمصيبة فهي تختلف باختلاف مصدرها فإذا كانت حاصلة له بسبب معصيته ومخالفته لمناهج السماء تكون فائدة ذكره لله سبحانه والتفاته الى

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٨١ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٥٣ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ١٨ .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية : ٧ .

==========

(١٠٠)

أن معصيته له كانت السبب في إصابته بتلك المصيبة هي التوبة والرجوع الى منهج الاستقامة لينال ثواب التوبة ويسلم من تلك المصيبة وبذلك تكون الإصابة بالمصيبة على أثر حصول المعصية ، درسا تربويا وعقوبة معجلة من الله الرحيم ليردع بها الإنسان عن انحرافه ويعيده الى جادة عبوديته له ويسلمه من التمادي في الإنحراف وما يترتب عليه من المضاعفات السلبية الخطيرة كما يسلمه من العذاب الاكبر والاطول يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وسلوك مستقيم وقد اشار ذلك الشاعر الحكيم الى هذا المعنى بقوله :

وقسا ليزدجروا ومن يك راحما * فليقس احيانا على من يرحم

وإذا كانت المصيبة حاصلة له من ظلم الغير تكون فائدة ذكر الله سبحانه واللجوء اليه بالتضرع هي الاستعانة بالقوة العادلة من اجل دفع الظلم عنه وارجاع الحق اليه .

وإذا اقتضت الحكمة الإلهية تأخير الانتصار لهذا المظلوم الى المستقبل القريب في الدنيا او البعيد في الآخرة فإن ذكره سبحانه وتذكره عدله وانه لا بد ان يحكم بينه وبين ظالمه بالعدل عاجلا ام آجلا يجعله في حالة تطلع وترقب لإشراق فجر العدل عليه بنور الانتصار له ودفع الظلم عنه ــ فلا يغرق في ظلام ليل اليأس المظلم المؤلم ــ وهذه اعظم فائدة واطيب ثمرة يقطفها المؤمن من شجرة ذكره لله وتذكره عدله ورحمته بصورة تفصيلية تزيل عنه الم اليأس من الفرج .

وإذا كانت المصيبة حاصلة له بالقدر والقضاء بدون تدخل عامل اختياري بشري ذاتي أو غيري فإن فائدة التذكر لعدل الله سبحانه الشامل ورحمته الواسعة وانه لا يقدر لعبده المصيبة الا ليكفر سيئاته ويضاعف حسناته اذا رضي بها وصبر عليها ويدخله بعد ذلك الجنة بغير حساب .

==========

(١٠١)

أجل : إن فائدة ذكره الله سبحانه في هذه الحالة بالتذكر القلبي الواعي تتمثل بالصبر عليها وعدم التبرم والضجر منها وينال بذلك اولا ان يخف المها ويسهل تحملها حاضرا كما ينال ثانيا الجوائز الكبيرة التي وعد الله بها عباده المؤمنين الصابرين بقوله سبحانه :

(**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون * أُولئك عليهم صلوات**

من ربهم ورحمة وأُولئك هم المهتدون) [1] .

فائدة ذكر الله سبحانه حال الطاعة والمعصية :

واما فائدة ذكره لله سبحانه حال الطاعة فهي تتمثل بإعطاء الروح لها لان قيمة الاطاعة والعبادة لله سبحانه ودرجة ثوابها تكون بقدر ما يكون الإنسان العابد المطيع متذكرا لعظمته تعالى ومنشدا اليه بسلك الرجاء والطمع في ثوابه والخوف والخشية من عقابه واذا ترقت درجة التذكر والالتفات لعظمة الله ذاتا وحقا وانه اهل ان يطاع ويعبد لذاته لا لعامل الخوف والرجاء فتلك اعظم فائدة ينالها العابد المطيع واسمى مرتبة يرقى اليها على سلم العبودية الواعية الخالصة .

واما فائدة الذكر لله سبحانه حال المعصية فعلا او الاقدام عليها قبل وقوعها فهي تتمثل بالتوبة والرجوع اليه وبترك ذلك الاقدام والتحول منه الى موقف الإنابة الراجحة والتوبة الناجحة التي تعود عليه بالسلامة من مضاعفات الانحراف عن خط الاستقامة في هذه الحياة مع السلامة من الخطر الاكبر والمصاب الاخطر يوم الحساب مضافا الى ما يناله

---

(١) سورة البقرة ، الآيات ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

==========

بالرجوع الى جادة العبودية لله تعالى من المنافع العظيمة والمعنوية والمادية الدنيوية والاخروية .

فائدة ذكر الله سبحانه حال الرضا والغضب :

وأما فائدة الذكر لله سبحانه حال الرضا من الآخرين والتجاوب معهم فهي تظهر بالمحافظة على الاستقامته في خط مرضاة الله سبحانه ومنهج عبادته مهما كانت المغريات قوية والضغوطات شديدة لان رضا الله سبحانه وحده هو الذي ينفع ويرفع وسخطه هو الذي يحطم ويدمر كيان المغضوب عليه وبذلك تظهر وتعرف فائدة ذكر الله حال الغضب وهي الاستمرار على منهج العدالة وعدم الانحراف عنها يمينا او شمالا تحت تأثير العامل النفسي الثائر وذلك هو روح العدالة والتقوى التي تعود على صاحبها بالخير العميم والاجر الجسيم الذي ينسى معه الإنسان المؤمن التقي كل المتاعب والمصائب التي تطرأ عليه نتيجة استقامة في خط السماء وعدم تجاوبه مع ميول وأهواء الاعداء .

وقد ترجم الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بقوله مخاطبا الله سبحانه في مناجاة تبتل وانقطاع : ان لم يكن بك غضب عليّ فلا ابالي ، كما ترجمه سيد الشهداء على صعيد الطف

يوم عاشوراء عندما ذبح طفله الرضيع على يده بقوله : هون ما نزل بي أنه بعينك يا رب ، وترجمه ايضا بقوله بلسان المقال او الحال :

رضاك رضاك لا جنات عـــــــدن * وهل عدن تطيب بلا رضـــاك
ولـــو قـــطـــعـــتني في الحب إرباً * لما مال الفؤاد إلى ســـــــواكا

وينسجم مع هذا الجو الإيماني الثابت قول ذلك الشاعر مخاطبا الله تعالى :

==========

(١٠٣)

وليتك تحلو والحياة مـــريرة * وليتك ترضى والانام غضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامر * وبيني وبين العـــالمين خراب

وإلى نفس هذا المعنى اشرت بمقطوعة شعرية نظمتها سابقا في النجف الاشرف :

كن مع الله والتمس بـــرضاه * رحمة منه واستمد ثوابـــاً
أقبل الناسُ أم أشاحوا وراحوا * يُرسلون العتاب مراً وصابا
غضبُ الخلق لا يضير إذا ما * دنت للحق واتبعت الصوابا
إن هذي الحياة منجم كســـب * يحتوي الدر ضائعاً والترابا
كن مع الله إن اردت فلاحـــاً * واطرح القشر وأخذن اللبابا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم أيها الإخوان الأعزاء والأبناء الأحباء أولاً وآخراً ورحمة الله .

==========

(١٠٤)

الخطبة العاشرة [١]

من وحي عاشوراء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

السلام عليكم أيها الإخوان الأعزاء والأبناء الأحباء ورحمة الله وبركاته وبعد :

قد ادركنا على ضوء الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في شأن الشعائر الحسينية ودعوتهم الى الاهتمام بها مضافا الى احيائهم لها في عصرهم .

أجل : قد ادركنا على ضوء هذا وذاك ان لإحياء الشعائر الحسينية اهمية كبرى وفائدة عظمى وهذا اصبح واضحا لدى جماهير عاشوراء وانما الشيء الذي كان ولا يزال محاطا بشيء من الخفاء والضبابية هو مدى هذا الإحياء وهل هو محدود ومقصور على ايام العشر الاولى من محرم الحرام في كل عام او ان لذكرى عاشوراء امتدادا شاملا وواسعا بحيث يشمل حدود المكان والزمان والاذهان بصورة عامة ؟ ، والصحيح

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في مسجد الإمام المهدي (عج) يوم الجمعة في ٩ ــ ٦ ــ ١٩٩٥ م .

==========

هو الثاني ويتضح ذلك بعد ان ندرك ان الصراع الذي وقع في التاريخ لم يكن صراعا بين الاشخاص لتنتهي عاشوراء بانتهائهم وانما كان صراعا بين مبدأي الحق والباطل والصراع بينهما قد وقع بين افراد اول مجتمع وجد على صعيد هذه الحياة وبذلك ندرك ان لعاشوراء بهذا الاعتبار امتدادا وجذورا ضاربة في اعماق التاريخ ولم يكن حدوثها متأخرا ومقصورا على زمان الامام الحسين عليه السلام وخصومه . وقد ذكر لنا القرآن الكريم نموذجا لهذا الصراع المبدئي التاريخي وهو الذي وقع بين ابني آدم هابيل وقابيل وانطلق بعد ذلك في رحاب الزمن حتى وصل الى عصر الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، ودعوته المباركة وزحف بعده حتى وصل الى ذورته في عصر حفيده الامام الحسين عليه السلام وتابع زحفه حتى وصل الى زماننا هذا وسيستمر الى ان يبزغ فجر النصر النهائي لمبدأ الحق والعدل والفضيلة على اضدادها على يد المصلح الاكبر الامام المهدي المنتظر (عج) عندما يصدر الامر الإلهي بظهوره ليملأ الارض كلها قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

وبامتداد هذا الصراع الى عصرنا تتمثل لنا كربلاء جديدة في كل أرض يحصل فوقها كما

تتجدد عاشوراء وتتمثل في كل يوم يحصل فيه اي ذلك الصراع .

وقد ادرك الإمام الصادق عليه السلام هذه الحقيقة المبدئية التاريخية فترجمها بقوله عليه السلام كل يوم عاشوراء وكل ارض كربلاء .

وذلك لان طرفي هذا الصراع في الدرجة الاولى هما المبدآن المذكوران ويسري منهما الى كل من يحملهما من الافراد في كل زمان ومكان ومن الواضح ان الصراع الخارجي مسبوق بالصراع الداخلي الواقع بين هذين المبدأين في عالم الفكر والقلب والنفس .

==========

(١٠٦)

ويتمثل مبدأ الحق الثابت في هذا العالم بالإيمان بالعقائد الحقة وبما يتفرع منها من النظم العادلة التي تتحقق بتطبيقها عبادة واضعها وهو الله سبحانه وحده لا شريك له ونفع الإنسان فردا ومجتمعا كما اراد تعالى وحيث ان هذه النظم مشرعة من قبل الله تعالى تكون حقا كما ان العمل بها يكون كذلك .

ومن المعلوم ان كل حق في مورد يقابله باطل مناف له ومصطدم معه فالعقيدة الحقة تعارضها وتصادمها العقيدة الباطلة كالالحاد والشرك المنافيين للتوحيد ونظرية تجويز الظلم في حقه تعالى المنافية للإيمان بضرورة اتصافه بالعدل وهكذا سائر العقائد الباطلة مقابلة لما ثبت بالبرهان القاطع حقيته من العقائد الصحيحة المعهودة .

وكذلك القوانين الحقة والنظم العادلة الصادرة عن الله الحق تقابلها النظم الجائرة الصادرة عن غير الله سبحانه من واضعي قوانين البشر فهذه تكون مصداقا للباطل ما دامت صادرة عن غير الله الحق والعمل بالقانون الباطل يكون من مصاديق الباطل ايضا .

وحيث ان الحسين عليه السلام قد ذاب في الإسلام عقيدة وشريعة وعملا وفي مقابله خصومه الذين انحرفوا عنه اي عن الإسلام في هذه المجالات فكل من يحمل عقيدته الحقة ويؤمن ويلتزم بشريعته العادلة ويطبق ما تشتمل عليه من احكام وقوانين ــ يكون من أنصار الحسين واتباعه من حيث انه مع الحق والحق معه كأبيه علي عليه السلام وبذلك يكون كل واحد من هؤلاء الانصار قد قبل الحسين بقبول الحق كما اراد هو عليه السلام عندما قال : فمن قبلني بقبول الحق فالله اولى بالحق ــ وفي المقابل يعرف ان كل من ينحرف عن دين الله الحق بما يحمله من عقيدة باطلة وينتمي اليه ويلتزم به من قانون مناف لشرع الله سبحانه وبما

==========

يمارسه من سلوك منحرف عن خط السماء يكون من انصار خصوم الحسين في جبهة الباطل المحاربة لجبهة الحق في كربلاء المبدأ والنظام والسلوك .

وهذا كله على مستوى الطرح العام والبيان الكلي للمبادىء والنظم والممارسات الحقة العادلة وما يقابلها من ذلك كله مما هو منطلق في خط معاكس .

ومن أجل التوضيح والتصريح نخرج من إطار العموم الى حيز الخاص حيث تبرز لنا صورة الصراع بين الحق والباطل في كربلاء الخارج بعد ان تصورنا حصوله على عالم الفكر والنفس بين المبادىء وما ينشأ منها فنقول :

إذا خرجنا واخرجنا هذا الصراع من عالم الفكر الى حيز الواقع نجد ان اول ساحة تكون مسرحا له هي ساحة الاسرة المجتمع الصغير وبعدها ساحة المجتمع الواسعة ــ حيث توجد في كلتا الساحتين ولافراد كلا المجتمعين الصغير والكبير حقوق وواجبات كما هو معلوم من واقع شريعتنا الاسلامية العادلة الكاملة .

ففي إطار المجتمع الاول حقوق لكل واحد من الزوجين على الآخر ولكل واحد من الابوين حقوق على الاولاد كما ان للاولاد حقوقا عليهما ــ وفي مقابل كل حق واجب كما هو معلوم .

وإذا خرجنا من إطار المجتمع الصغير ــ الاسرة ــ وانطلقنا في رحاب المجتمع الكبير فهنا توجد ايضا حقوق وواجبات بين افراد هذا المجتمع وهي حق الجار على جاره وحق المسلم على أخيه المسلم وحق الإنسان على اخيه في الإنسانية ــ لأن الإنسان أخو الإنسان كما

==========

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وحيث ان الإسلام دين الرحمة والرفق قد شمل بذلك حتى الحيوان وجعل له حقا واجبا ومستحبا على صاحبه ــ وكذلك الحقوق الثابتة بين أفراد الاسرة والمجتمع ــ يراد بها ما هو اعم من الواجب والمستحب .

ومن المعلوم انه في اي مجال يوجد حق وعدل وفضيلة فهناك الاسلام الحق لان ذلك هو روح تشريعه وفلسفة نظمه وتعاليمه كما يوجد كل واحد من اهل البيت المعصومين عليهم السلام باعتبار انهم يمثلون بسلوكهم القرآن الناطق والاسلام العملي المتحرك ــ وحيث ان الحسين عليه السلام احد افراد هذه العترة الطاهرة فنحن نجده هناك ناصرا للدين الحق وطالبا منا ان نكون من

انصاره في معركة المواجهة بينه وبين خصومه .

ومن المعلوم ان نصرته في هذه المعركة انما تكون بنصرة الدين الحق بتعلم اصوله وفروعه والعمل بما توجبه علينا من إعطاء كل ذي حق حقه ابتداء بحق الله سبحانه الثابت له بحكم العقل والمنطق على عباده وهو ان يعبد وحده لا شريك له كما امر ومروراً بالنفس وافراد الاسرة والمجتمع وانتهاء بأي مخلوق مهما كان اذا كان له حق .

ويقابل نصر الدين بما ذكرنا خذلانه وترك نصرته واذا كان نصر الدين الحق نصرا للحسين بالاعتبار المتقدم فخذلانه يكون خذلاناً له اي للحسين ووقوفا الى جانب الباطل ودعما له بطريق غير مباشر لان خذلان الحق يسبب ضعفه من ناحية فاعليته وتأثيره في الساحة العملية ومن المعلوم ان إضعاف المبدأ الحق يؤدي الى نصرة الباطل وسيطرته على انصاره فيكون الخاذل له مشاركا لمحاربه في النتيجة

==========

ولذلك نسب الى الإمام علي عليه السلام قوله : في حق جماعة ولومه لهم [١] : إنهم لم ينصروا الباطل ولكنهم خذلوا الحق فأدى ذلك الى انتصار جبهة الباطل على جبهته في ساحة المواجهة .

وبذلك نستطيع ان نميز ونعرف من هو الناصر للحسين ومن هو المحارب او الخاذل له في كل معركة يتصارع فيها الحق والباطل العدل والظلم سواء كان ذلك في عالم الفكر والعقيدة او في عالم العمل والممارسة .

فكل شخص يحمل مبدأ الحق عقيدة في قلبه وينصره بالعمل بمقتضاه ويدافع عنه ويضحي في سبيل حقظه ، يكون من أنصار الحسين في كل زمان ومكان وإذا قتل في هذا السبيل يحشر مع الحسين عليه السلام ويحسب من الشهداء المقاتلين بين يديه .

وكل شخص يحمل مبدأ مضاداً لمبدأ الحسين الحق ويقاتل في سبيل نصرة مبدئه الباطل ــ يكون من اعداء الحق والحسين المحاربين له ــ ويلحق به من يؤمن بالحق وعقيدته الصحيحة ولكنه لا يعمل بإيمانه ولا ينصر عقيدته ومبدأه وربما زاد انحرافه السلوكي الى مرحلة يقف فيها ضدها متعاونا على الإثم والعدوان مع أعدائها كما كان وضع أولئك الجهلاء السفهاء الذين آمنوا بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم وولاية أهل بيته الا ان ضعف ايمانهم مع قوة طمعهم وحرصهم على الدنيا وزينتها الفانية ادى لان يكونوا محلاً لما وصفهم به الفرزدق من كون قلوبهم مع الحسين عليه السلام وسيوفهم عليه .

ومما تقدم نعرف ان الإحياء الحقيقي للشعائر الحسينية وباستمرار

(١) على موقفهم الحيادي السلبي تجاه الحق وأهله .

==========

إنما يكون بتحقيق الاهداف السامية التي جاهد في سبيلها واستشهد من اجلها وهي التي اعلن عنها بصريح قوله عليه السلام :

وانما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي اريد ان امر بالمعروف وانهى عن المنكر واسير بسيرة جدي وابي علي بن ابي طالب إلخ ، فالهدف الاولي الذي انطلق الامام الحسين عليه السلام بثروته من اجل تحقيقه هو الاصلاح في امة جده ومن المعلوم ان النهوض بهذه المهمة ليس مقصورا عليه ومختصا به بل هو مشترك بينه وبين سائر افراد الامة وفي كل ادوار التاريخ كفريضة الصلاة والصيام وسائر الفرائض الإسلامية .

وحيث ان القيام بدور الاصلاح في الامة وبين افرادها متوقف على اصلاح النفس في الدرجة الاولى تمهيدا للقيام بهذا الدور الكبير في إطار المجتمع كما هو واضح ، يتعين في حق كل مكلف يريد ان يقوم بهذا الواجب المقدس قيامه اولا بمقدمته وبما يتوقف عليه كما يجب على من يريد ان يأتي بالصلاة مثلا على الوجه المشروع الصحيح ان يأتي بمقدماتها المعهودة ويتجنب موانعها وقواطعها .

فإذا توفق لاصلاح نفسه اولا واستطاع بعد ذلك ان يقوم بدور الاصلاح العام في امة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ويأمر بالمعروف بعد فعله وينهى عن المنكر بعد تركه يكون بذلك محييا للشعائر الحسينية بالإحياء العملي المستمر كما يريد الله ورسوله وأئمة أهل البيت جميعهم عليهم وعلى جدهم الاكرم افضل التحية وازكى التسليم .

وإذا قامت الافراد بهذه المهمة المقدسة وفعلت اهم معروف امر الله به وهو الاعتصام بحبل الوحدة والتضامن وتركت اخطر منكر نهى عنه وهو التمزق والتفرق تكون الامة نفسها وهي الأم الطاهرة لأبنائها البارة

==========

قد نهضت بأقدس واجب وساهمت مساهمة فعالة بإحياء الشعائر الحسينية واعدت واستعدت

لاستعادة دور الشريعة الاسلامية والنظم السماوية لتقود الأمة المحمدية من جديد تحت راية الحق والعدل الى هدف السعادة والسلام والتضامن والوئام .

وبهذا وذاك يتحقق الاحياء العملي الحقيقي للذكرى الحسينية المجيدة وقد اشرت الى ذلك بمقطوعة شعرية مخاطبا بها الإمام الحسين عليه السلام :

ذكــراك لا تحيى بـــــقــول رثاء * كلا ولا بمدائح الشــعــراء
ذكراك فـــــوق المدح تــرقى بالذي * أُعطيته من رفعة وعـــــلاء
ذكراك تحيى يوم نــحيي وحـــــدة * نقضي بقوتها على الاعــداء
ونسير [1] في درب التقى بتضامن * وتـــــعاطف ومودة وإخــاء
الله قائـــــدنـــا الوحيد وقـــصدنا * نصر الهدى والشرعة الغراء
وإزالة الطاغـــــوت من اوطــاننا * وجميع من يحميه من عملاء
وإعادة الإسلام فـــــينـــا حاكمـــا * بالعدل في السراء والضــراء

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم أيها الإخوان الأعزاء والأبناء الأحباء أولاً وآخراً ورحمة الله .

---

(١) هذه الأبيات الاربعة المتممة لهذه المقطوعة حصل الاشتراك فيها بين هذه المقطوعة ومقطوعة اخرى نظمتها بمناسبة الاحتفال بعيد المولد النبوي .

==========

الخطبة الحادية عشر [١]

فلسفة الابتلاء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين .

والسلام عليكم ايها الاخوان الاعزاء والابناء الاحباء ورحمة الله وبركاته :

وبعد : قال الله سبحانه في محكم كتابه المجيد : (**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أُولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأُولئك هم المهتدون**) [٢] .

اذا كان المراد من البلاء الوارد في قوله تعالى : (**ولنبلونكم**) هو الابتلاء والامتحان يتوجه نحونا حينئذ سؤالان :

السؤال الأول : ما معنى ان يمتحن الله عباده وهو العالم بأوضاعهم

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة في مسجد الإمام المهدي (عج) في ٢٦ ــ ١٢ ــ ١٤١٥ هـ الموافق ٢٦ ــ ٥ ــ ١٩٩٤ م .

(٢) سورة البقرة ، الآيات : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

==========

واحوالهم قبل وجودهم في هذه الحياة وبعده الى ان يرث الارض ومن وما عليها وبذلك يرتفع موضوع الاختيار الذي يصدر من اجل معرفة حال الممتحن كالأستاذ يمتحن طلابه لمعرفة الناجح وغيره والاب ولده ليعرف بره وعدمه والصديق صديقه ليعرف إخلاصه والزوجة زوجها وبالعكس ليعرف كل واحد منهما وفاء الآخر وإخلاصه له وهكذا ؟ .

السؤال الثاني : ما معنى ان يبتلي الله عباده بهذه المحن والمصائب وهو ارحم الراحمين الذي سبقت رحمته غضبه ووسعت كل شيء ؟ .

وحاصل الجواب على السؤال الاول : ان الإمتحان مرة يكون للتعرف على حال الممتحن والإطلاع على وضعه واخرى يكون من اجل ان يعرف الانسان نفسه ويطلع الآخرون من الناس على واقع حاله من حيث قوة الايمان وضعفه والممتنع في حقه سبحانه هو الأول دون الثاني كما هو واضح وفلسفة هذا الامتحان بمعناه الثاني هي ان الكثيرين من الناس يكونون في حال الرخاء والسلام على حالة جيدة من الالتزام الديني والبروز بالمظهر الحسن الذي يوحي للآخرين بأنه قد بلغ المرتبة العالية في الالتزام الشرعي وربما طرأ عليه الاعجاب والغرور بحاله وحصل له الاطمئنان بأنه قد بلغ هذه الدرجة .

فلسفة الابتلاء في هذه الحياة :

وحيث ان الله سبحانه هو الحق فلا يرضى من الأنسان الا بالإيمان الحق القائم على اساس

ثابت وراسخ ولا يعرف واقع ذلك الا بعد مرور الشخص بتجربة صعبة ومحنة شديدة اشار الله سبحانه الى بعض انواعها بالآية المذكورة .

==========

وفي حال إصابته بشيء من ذلك اذا بقي على وضعه الاول من الالتزام بخط السماء بالايمان الصادق والاستقامة في خط التقوى يعرف انه قوي العقيدة وثابت الموقف لا تزيده المصيبة الا ثباتا على منهج الحق بعقيدته واستقامته وتسليمه لقدر الله سبحانه ورضاه به منتظرا احد امرين اما الفرج والسلامة ليقابل ذلك بشكر الله سبحانه على تفضله باستجابة دعائه وكشف بلائه او استمرار المصيبة وبقاءها الى اجل غير مسمى ليقابل ذلك بالاستمرار على الصبر والتسليم وينال ثواب الصابرين وجائزتهم التي اشار الله سبحانه اليها بقوله في آخر الآية المذكورة .

(**أُولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمةُ وأُولئك هم المهتدون**) [١] .

وإذا حصل منه تبدل وتغير في الوضع بتحوله من موقف الالتزام والاستقامة في العقيدة والسلوك الى موقف الانحراف عنه فإنه بذلك يظهر واقعه امام نفسه والآخرين وان التزامه الذي كان عليه لم يكن قائما على اساس ثابت بدليل اهتزاز موقفه وتغير تصرفه من الاستقامة الى الإنحراف ليكون مصداقا لقوله تعالى :

(**ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن اصابه خير اطمأن به وإن اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين**) [٢] .

وكما يكون الامتحان بالمصيبة كذلك يكون بالنعمة والتكليف الحقيقي الواقعي الذي صدر من المولى بقصد العمل والامتثال او الظاهري الذي لم يصدر منه لذلك بل لمجرد الاختبار والامتحان فقط .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٥٧ .

(٢) سورة الحج ، الآية : ١١ .

==========

ونجاح المؤمن في امتحان النعمة يكون :

أولاً : باعترافه بكونها من الله سبحانه وتوفيقه وليست لمجرد توفير الاسباب المادية العادية

المتعارفة فيكون ذلك منطلقا من إيمانه بمؤدى قوله تعالى : (**وما بكم من نعمة فمن الله**) [1] .

وثانياً : بصرف هذه النعمة في سبيل إطاعته تعالى انطلاقا من إيمانه بأنه سبحانه إنما وفقه لنيل هذه النعمة ومن بها عليه من اجل ان يستعين بها على اطاعته وعبادته التي خلقه من اجلها وبنجاحه في هذا الامتحان ينال من الله سبحانه جوائز معجلة في هذه الحياة ومؤجلة الى اليوم الموعود .

أما الأولى : فتتمثل بزيادة النعمة ودوامها وطول العمر ودفع البلاء وقد ابرم ابراما كما تقدم في خطبة سابقة .

والمصداق الواضح للمؤمن الناجح بهذا الامتحان هو النبي سليمان على نبينا وعليه فضل التحية والسلام كما تقدم مفصلا حيث اعترف بأن ملكه الواسع كان من فضل الله سبحانه وقد من به عليه ليبلوه ويمتحنه ايشكر الله عليه بصرفه في سبيل اطاعته ام يكفر بصرفه في غير هذا السبيل ؟ وحيث صرفه في السبيل الاول وحقق بذلك واجب الشكر كان ناجحا في إمتحان النعمة ونال الجوائز العظمى والفوائد الكبرى في الدنيا والآخرة وذلك هو الفوز العظيم .

ويأتي قارون في المقابل ليكون المثال الواضح للإنسان الراسب في إمتحان النعمة حيث انكر كونها من الله سبحانه وادعى انها إنما حصلت

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٥٣ .

==========

له لعمله وقدرته الذاتية البشرية وذلك هو الكفر القلبي الباطني وترتب عليه الكفر الظاهري العملي بامتناعه عن دفع الحق الشرعي الذي امره الله به بواسطة النبي موسى عليه السلام ونال بذلك جزاءه العادل وخسارته الكبرى عندما خسف الله به وبداره الارض وخسر بذلك الدنيا والآخرة وهذا هو الخسران المبين .

نجاح المؤمن في امتحان التكليف :

وأما النجاح في امتحان التكليف الواقعي فهو يكون بالالتزام به إيمانا وعملا مهما كانت الصعوبات ما لم تصل الى درجة الضرر او الحرج لان الشارع يرفع عنه الالزام في احد هذين الفرضين الا مع فريضة الجهاد المقدس الذي يتوقف عليه حفظ الدين من الزوال وتحرير الوطن من الاحتلال وانقاذ الشعب من الاذلال والاستغلال حيث يبقي على وجوبه والالزام به مهما كانت التضحية جسيمة لان الهدف اسمى والغاية أعلى وأغلى .

والناجح في هذا الامتحان ينال جائزته المعجلة بتحصليه مصلحة الواجبات بفعلها وسلامته من مفسدة المحرمات بتركها واذا اراد ان يضيف مصلحة المستحبات الضعيفة بفعلها مع الواجبات مع اضافته ترك المكروهات الى ترك المحرمات ليسلم من مفسدتها الخفيفة فذلك نور على نور وبذلك يعرف مصدر الرسوب والفشل في هذا الامتحان لأنه بضدها تتميز الاشياء وتكون نتيجة رسوبه هي حرمانه من المصلحة ووقوعه في المفسدة وهذه عقوبة معجلة .

وأما عقوبته المؤجلة فهي واضحة ومعلومة .

وقد نال الحسين عليه السلام الدرجة العالية من النجاح في امتحان

==========

النعمة بما من الله به عليه من نعمة منصب الإمامة والجاه العريض والمال الكثير والذرية الصالحة المعصومة وغير ذلك من النعم والآلاء الجسيمة وذلك لأنه سخر ذلك كله وصرفه في سبيل مرضاة الله سبحانه وصون شريعته الغراء من الزوال والفناء كما نجح في امتحان التكليف الصعب الذي توجه نحوه من اجل حفظ الدين وصونه من التحريف والتزييف .

بلوغ الإمام الحسين عليه السلام قمة النجاح في امتحان البلاء والتكليف :

وقد نهض بمسؤولية هذا التكليف وضحى في سبيل امتثاله بنفسه النفيسة واولاده الاحباء واخوته الاعزاء واصحابه الاوفياء كما عرض عياله ومن بقي من ابنائه لاقسى الوان المشقة والعناء ايام سبيهم والانتقال بهم من بلد الى بلد ونال الإمام زين العابدين عليه السلام النصيب الاوفر من الالم النفسي والعذاب الجسمي في هذا السبيل .

أجل : لقد نال الامام الحسين عليه السلام الدرجة السامية بل الاسمى والاعلى من النجاح في امتحان التكليف الشاق والصعب حيث امتثله بصبر وتجلد وهو يقول بلسان الحال او المقال :

إن كان دين محمد لم يستقم * إلا بقتلي يا سيوف خذيني

ويقول أيضا بهذا اللسان الصادق والإيمان الواثق :

رضاك رضاك لا جنات عدن * وهل عدن تطيب بلا رضاك

ولو قطعتني في الحب إربـــاً * لما مال الفؤاد إلى سواكـــــا

وكذلك نال هذه الدرجة الارقى من النجاح في امتحان البلاء حيث واجه تلك المحن والخطوب التي نزلت عليه واحاطت به من كل جانب

==========

بقوة صبر ورحابة صدر مناجيا ربه بقوله عليه السلام : هون ما نزل بي أنه بعينك يا رب .

وتبعه كل من كان معه بنيل الدرجة العالية من النجاح في هذا الامتحان العسير حيث قدموا المثل الاعلى في التضحية والفداء والاخلاص والوفاء لقائدهم ورسالتهم مستبشرين بما سينالونه من النعيم الخالد والسعادة الابدية في ظل جوار الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المعصومين والتابعين لهم بإحسان وحسن أولئك رفيقاً .

وعلى العكس من هؤلاء أولئك الاعداء الذين سقطوا في اصعب امتحان ونالوا الذل والهوان وفي الآخرة اعظم الخسران .

نجاح إبراهيم وابنه إسماعيل في امتحان التكليف الظاهري :

وأما الامتحان بالتكليف الظاهري فقد وقع بوضوح مع النبي إبراهيم وابنه إسماعيل عندما رأى في المنام انه مأمور بذبح ولده هذا ورؤيا النبي حق ولذلك اعتقد بأنه مكلف بذبحه بالتكليف الواقعي كالصلاة والصيام والحج ونشأ عن هذا الاعتقاد اقدامه على الامتثال بالذبح فعلا وكذلك حصل للولد اعتقاد بأنه مأمور واقعا بتقديم نفسه قربانا لله وتقربا منه فأقدم على التنفيذ معبرا عن رضاه به وتسليمه لأمر ربه بقوله :

(**يأبتي افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء اللهُ من الصابرين**) [١] .

ومن المعلوم أن النجاح في هذا الامتحان يكون بنفس الإقدام على

---

(١) سورة الصافات ، الآية : ١٠٢ .

==========

العمل والامتثال ولا يتوقف على حصوله خارجا لعدم كونه مطلوبا للمولى ومقصودا له من هذا

التكليف الظاهري .

وقد بلغ هذان النبيان العظيمان قمة النجاح في هذا الامتحان الصعب عندما اسلما امرهما لله سبحانه واقدم الوالد على تقديم ولده الصغير الوحيد الذي من الله به عليه حال الشيخوخة والكبر واقدم الولد على تقديم نفسه النفيسة قربانا له سبحانه .

وبعد حصول النجاح في هذا الامتحان الإلهي وتحقق ما اراد الله سبحانه تحققه بواسطته من ظهور مقام هذين النبيين الرفيع ومنزلتهما الايمانية السامية .

أجل بعد حصول ذلك كشف الله سبحانه لهما عن واقع الرؤيا وان المقصود المطلوب منهما واقعا هو الاقدام على الذبح لا نفسه وذلك بقوله تعالى :

(**ونـــديناه أن يا براهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين**) [1] .

وتكرر هذا النوع من الامتحان بالتكليف الظاهري مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وولده الروحي علي بن ابي طالب عليه السلام وذلك عندما طلب منه بأمر من الله سبحانه ان ينام في فراشه ليلة هجرته ليكون ذلك مغطيا لانسحابه من بين المشركين المحيطين بالمكان بانتظار مجيء الوقت المحدد للهجوم على شخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليقضوا على حياته الشريفة وكانت الدلائل والامارات الظاهرية توحي بأن القتل الذي كان سيصيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لو بقي في فراشه يفرض اصابته لعلي عليه السلام ووقوعه عليه ومع هذا اقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ان يقدم شخص علي وهو ولده الروحي فداء

---

(١) سورة الصافات ، الآيتان ١٠٤ ــ ١٠٥ .

==========

للرسول والرسالة كما أقدم علي على أن يقدم نفسه المطمئنة فداء لهما .

نجاح الرسول وعلي عليه السلام في امتحان التكليف الظاهري :

وقد نال النجاح الباهر في هذا١ الامتحان الصعب وبالدرجة التي نالها النبيان المذكوران واذا كان فداء اسماعيل وصونه من الذبح بذبح عظيم فإن فداء الإمام علي عليه السلام وحفظه من القتل كان بتخطيط سماوي سليم وتقدير حكيم من اجل ان يقوم بدوره البارز بعد ذلك مع الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم في ميدان الجهاد والتضحية في سبيل نصر الدين ونشره في الآفاق ليعرفه الناس على حقيقته وواقعه فيدخلوا فيه أفواجا بعد حصول النصر العظيم والفتح المبين كما تحقق ذلك بحول الله وقوته .

وحاصل الجواب على السؤال الثاني : ان المصيبة مرة يحصل للإنسان بإرادته وسوء اختياره واخرى تحصل له بسبب ظلم الآخرين له وثالثة تحصل بقدر وقضاء من السماء .

أما النوع الاول : من المصيبة فلا تصح نسبته الى الله سبحانه لنحتاج الى السؤال عن الوجه في حصوله لهذا الشخص بعد البناء على ما هو الصحيح من ان الإنسان مخير في اعماله وليس مجبورا عليها وبذلك يندفع الاشكال ولا يبقى موضوع للسؤال ويكون هذا الإنسان مصداقا لقوله تعالى : (**وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون**) [1] .

وبذلك يعرف الجواب بالنسبة الى النوع الثاني من المصيبة : وهو الحاصل للشخص بسبب ظلم غيره له لان الله سبحانه وان اقتضت حكمته ان يخلق الإنسان حراً مختاراً في افعاله من الناحية التكوينية ولكنه

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١١٨ .

==========

قيد حريته بالنظام التشريعي فلم يسمح له بظلم الآخرين والاعتداء عليهم فإذا التزم بذلك سلم وسلم غيره من الظلم كما اراد الله سبحانه ، وكتب الله له الثواب على التزامه وامتثاله واذا خالف حكم الله تعالى وظلم بذلك نفسه وغيره استحق العقوبة العادلة يوم الحساب وربما عجلت له في الدنيا اذا اقتضت الحكمة الإلهية ذلك .

عدالة السماء تقف مع المظلوم في وجه الاعتداء :

واما المظلوم فسوف لا تذهب مظلوميته هدرا بل لا بد ان ينظر اليها بعين العدل التشريعي معجلا وذلك بإعطاء وليه الحق في القصاص اذا كانت الجناية على حياته او اخذ الدية اذا تنازل الولي عن الاخذ بحق القصاص ووافق على اخذ الدية وكذلك اذا كان الاعتداء على احد اعضائه عمدا فالشرع يعطي هذا المظلوم المعتدى عليه الحق بالقصاص او الدية اذا تنازل عن الاول ورضي بها واذا لم يكن الاعتداء جناية على النفس او على احد الاعضاء على وجه توجب القصاص او الدية بل كان مسببا ما هو اقل من ذلك فقد اعطاه الشرع المقدس حق الرد بالمثل لقوله تعالى : (**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا بمثل ما اعتدى عليكم**) [1] .

واذا كان الاعتداء مسببا لإتلاف المال فالشرع يوجب على هذا المعتدي ضمان ما اتلفه لصاحبه بمثله او بقيمته وهكذا فالله العادل بقضائه وشرعه لا يظلم احدا ولا يسمح لغيره بظلمه واذا اعتدي عليه وقف الى جانبه في هذه الحياة بالتشريع العادل كما يأخذ له بحقه في الآخرة

بالقضاء والفصل العادل ايضا حتى لا يذهب حق المظلوم هدراً

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٩٤ .

==========

وربما ادت مظلومية بعض الاشخاص لان يدخله بها الجنة اذا سببت له استحقاق مقدار من حسنات الظالم مقابل حقه المادي او المعنوي الذي غصب منه في الدنيا .

وادت نقيصة حسنات الظالم لان يدخل بها النار حيث تغلب سيئاته حسناته بسبب هذه النقيصة على تفصيل وتوضيح مذكور في محله وبذلك يظهر ان ظلم شخص لآخر قد يكون رحمة للمظلوم في الآخرة على ضوء النتيجة المذكورة ويكون ظلما حقيقيا لنفس هذا الظالم قال سبحانه :

(**من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد**) [١] .

فلسفة الابتلاء بالحوادث الطبيعية :

ويبقى النوع الثالث من المصيبة : هو الذي يحتاج الى الإجابة الواضحة المبينة لحقيقة العدل الإلهي فأقول :

ان كل الحوادث التي تجري في الحياة خارج نطاق اختيار الإنسان وارادته انما تحدث لاسباب تكوينية اودعها الله سبحانه في الكون لمصلحة نوعية تخدم نوع البشر واكثر افراده فأصل وجود الريح وهبوبها قوية او خفيفة لمصلحة عامة وخلق الماء سائلا بطبعه لحكمة كما ان خلق النار محرقة لمصلحة وهكذا .

وقد يتفق في بعض الاحيان ان تحمل الريح النار الى زرع شخص وتحرقه كما قد يتفق ان يكون هبوب الريح بدرجة قوية ولمصلحة نوعية لا يعلمها تفصيلا الا الله سبحانه مؤديا لغرق السفينة وهلاك من فيها ففي

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٤٦ .

==========

هذه الموارد التي تتصادم فيها مصالح نوع المجتمع واكثرية افراده مع مصلحة بعض الاشخاص قد تقتضي المصلحة النوعية والحكمة الإلهية ان تبقي القانون الطبيعي جاريا على مجراه التكويني ليؤدي الخدمة النوعية الكبرى ولو ادى ذلك الى حدوث الضرر لبعض الافراد من باب تقديم الاهم على المهم في عالم المصالح عندما تتزاحم وتتصادم ولا يتنافى ذلك مع العدالة الإلهية لان الاضرار الطارئة على الإنسان في هذه الحياة بالقدر والقضاء اذا رضى بقدر الله سبحانه وصبر عليه تعوض عليه في الآخرة بما يعطيه سبحانه للمؤمن الصابر من الثواب العظيم والاجر الجسيم .

وإبطال مفعول القانون الطبيعي بجعل النار بردا وسلاما مثلا كما حصل مع النبي إبراهيم ــ لا يكون الا على وجه المعجزة ومع النبي او الإمام والقريب منهما من الاولياء الصلحاء كما هو واضح .

فلسفة الابتلاء بالمحن والحوادث الطبيعية :

واما الحوادث الطبيعة التي يقدرها الله سبحانه في بعض الاحيان لتكون عقوبة للمجرمين المتمردين على إرادته تعالى فهذه ايضا لا تنافي العدل الإلهي بالنسبة الى مستحقي العقوبة .

أولاً : لاستحقاقهم لها وثانيا لان العقوبة المعجلة تخفف من المؤجلة ليوم الحشر الموعود .

واما بالنسبة الى المؤمنين الصابرين فالافراد الطارئة عليهم في هذه الحياة تعوض عليهم بالنعيم الخالد والسعادة الابدية جزاء عادلا ومكافأة لهم على تسليمهم لقضاء الله سبحانه وصبرهم عليه حيث يدخلون الجنة

==========

بغير حساب لقوله تعالى : (**إنما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب**)[١] .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ايها الإخوان الاعزاء اولا وآخرا ورحمة الله .

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ١٠ .

الخطبة الثانية عشر [1]

دور الايمان في سعادة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين .

والسلام عليكم أيها الإخوان الأعزاء والأبناء الأحباء ورحمة الله وبركاته :

وبعد : قال الله سبحانه في محكم كتابه المجيد : (**والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**) [2] .

بين الله سبحانه بهذه السورة المختصرة لفظا والموسعة معنى ان طبيعي الإنسان واقع في الخسر المطلق المادي والمعنوي الفردي

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في مسجد الإمام المهدي (عج) يوم الجمعة في ٢٧ ــ ١٢ ــ ١٩٨٢ م .

(٢) سورة العصر ، الآيات : ١ ، ٢ ، ٣ .

==========

والاجتماعي الدنيوي والاخروي ولا يسلم من هذا الخسر ويربح السعادة في الدنيا والآخرة الا الاشخاص الذين تتوفر فيهم اربع صفات وهي اولا الايمان الصادق وثانيا العمل الصالح وثالثا التواصي بالحق ورابعا التواصي بالصبر ولا بد من الوقوف بتدبر وتأمل امام آيات هذه السورة المباركة وعباراتها الموحية لنستلهم منها الدروس السامية في العقيدة الراسخة والاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة .

فأقول : المراد بالإيمان الذي يثمر للإنسان ما دلت السورة عليه من العمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر هو العقيدة الراسخة التي يستلهمها الإنسان على ضوء ما اودع الله فيه من الفطرة السليمة والاستعداد لتحصيل الإيمان الجازم بأن لهذا الكون خالقا عظيما متصفا بكل الصفات الكمالية وانه وحده لا شريك له لاستحالة وجود الشريك لذاته المقدسة لمنافاته مع كماله المطلق وقدرته الشاملة وسلطانه الواسع الذي لا يحده معارض ولا يزاحمه طرف مقابل ومن المعلوم ان وجود الشريك المماثل له في ذلك يؤدي الى عكس ما وصفناه به من الكمال المطلق ولوازمه .

هذا كله من ناحية ذاتية ومن ناحية موضوعية خارجية نستفيد وحدانية الخالق لهذا الكون من وحدة النظام والتدبير المسيطر عليه بالارادة التكوينية ليسير على نهج واحد مستمر ومستقر بدون حصول اختلاف ولا اختلال في النظام العام وهذا يوحي على ضوء العقل السليم والوجدان المستقيم بوحدة الخالق المنظم اذ لو كان له شريك مماثل وطرف مقابل لما استقام هذا النظام العام واستمر على نسق واحد كما هو المعلوم بالوجدان الفطري الذي فطر الله الإنسان عليه .

وقد نبه سبحانه على هذه الحقيقة الموضوعية الفطرية بقوله :

==========

(**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**) [١] .

وبذلك يجزم المؤمن بالاصل الاول من اصول الدين وهو التوحيد وكذلك يستوحي العقل ضرورة اتصافه سبحانه بالعدل باعتبار كونه من لوازم اتصافه بالكمال المطلق ومن المعلوم ان العدل من ابرز الصفات الكمالية وهذا هو مصدر الايمان بالاصل .

الثاني من اصول الدين وهو العدل . ومن الصفات الكمالية الحكمة ومعناها ان المتصف بها لا يصدر منه قولا بلا معنى جاد ولا عمل بلا غاية وهدف ــ واقواله كلها نور وحكمة لا يأتيها الباطل من اية جهة كما ان اعماله ومخلوقاته كانت لغاية وحكمة وهي خدمة الإنسان وقد صرح بذلك في الكثير من آيات كتابه الكريم واجمعها الآيتان التاليتان :

الأولى قوله تعالى :

(**ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض**) [٢] .

والثانية قوله سبحانه :

(**وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منهُ**) [٣] .

كما خلق الإنسان لعبادته وحده لا شريك له وصرح بذلك في قوله تعالى :

(**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) [٤] .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٢ .

(٢) سورة لقمان ، الآية : ٢٠ .

(٣) سورة الجاثية ، الآية : ١٣ .

(٤) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

==========

والمراد بالعبادة التي جعلها الله سبحانه العلة الغائية لخلق الجن والإنس الخضوع المطلق لإرادته تعالى بكل عمل اختياري يصدر عن المكلف بإرادته وفق إرادة الله تعالى سواء كان هذا العمل باطنيا كالتفكر في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والتدبر في الآيات الكونية المنتشرة في صفحات الآفاق والانفس كما اراد تعالى من اجل ان يتوصل المتفكر المتدبر في هذه الآيات البينات ــ الى الإيمان بوجود الله ووحدانيته وعدله وضرورة إرساله الانبياء وتعيينه للأوصياء وحشره للناس غدا يوم الجزاء .

ام كان هذا العمل الاختياري الخاضع لإرادة الله ظاهريا متمثلا بكل الافعال والتصرفات الخارجية التي يمارسها المكلف وفق ارادته تعالى وفي اطار شريعته ويراد بها في المقام ما يشمل التصرفات السلبية المتمثلة بترك المحرمات .

وعلى ضوء ما تقدم يعرف ان العبادة قسمان باطنية وظاهرية كما بينا وحيث ان العبادة الظاهرية تتحقق بامتثال الاحكام الشرعية الثابتة في الشريعة المقدسة وهي تابعة لما يوجد في متعلقاتها من المصالح والمفاسد كما هو مقتضى الحكمة الإلهية ــ وهي تختلف قوة وضعفا باختلاف مواردها وذلك هو سر اختلاف الاحكام التكليفية الناشئة منها وانقسامها الى خمسة اقسام .

وذلك لان المصلحة اذا كانت قوية بحيث لا يرضي المولى بتفويتها اقتضت الوجوب واذا كانت ضعيفة لا تمنع من الترك والتفويت اقتضت الاستحباب ــ وفي المقابل يقال ايضا في المفسدة الداعية للنهي اذا كانت قوية لا يسمح المولى بالوقوع فيها اقتضت التحريم واذا كانت ضعيفة لا تمنع من الفعل اقتضت الكراهة ــ واذا كانت صفحة العمل

==========

خالية من المصلحة والمفسدة في علم الله سبحانه ففي هذا الفرض يحكم المولى بالاباحة بالمعنى الخاص وهي التي يتساوى الطرفان فيها ولا يترجح طرف الفعل على طرف الترك كما لا يترجح الثاني على الاول .

وحيث ان المكلف لا يعرف بعقله القاصر اصل وجود الملاك [١] المقتضي للحكم كما لا يعرف درجته من حيث القوة والضعف فلا يستطيع تشخيص وظيفته الشرعية ليعرف نوع العبادة المطلوبة منه في كل مورد وهل هي الفعل الزاما او مع الترخيص بالترك او هي الترك الزاما او

مع الترخيص بالفعل او هي التخيير بين الفعل والترك بدون ترجيح لأحدهما على الآخر .

لذلك : كان المتعين بحكم العقل ــ في حق الله سبحانه ان يبعث لكل امة رسولا ويبعث لهم معه رسالة تشرح لهم الوظيفة العملية المطلوبة من المكلف في كل مورد ليعرف نوع العبادة الثابتة في حقه ويأتي بها على الوجه المطلوب منه .

وهذا هو الدليل العقلي السليم على ضرورة ان يرسل الله الانبياء مبشرين ومنذرين وبذلك يثبت الاصل .

الثالث من اصول الدين وهو النبوة وقد ادى الله سبحانه هذه المهمة الإلهية حيث ارسل اربعة وعشرين الف نبي اولهم آدم وآخرهم افضلهم نبينا محمد بن عبد الله عليه وعليهم افضل التحية والتسليم .

وبنفس الدليل العقلي المذكور يبرهن على ضرورة ان يعين الله الخلفاء لرسوله لانه اعلم حيث يجعل رسالته وبه يثبت الاصل .

الرابع من اصول الدين وهو الإمامة .

---

(١) المراد بالملاك سبب تشريع الحكم وهو المصلحة او المفسدة .

==========

واما الخامس وهو المعاد : فالايمان به من لوازم الايمان بعدل الله (الاصل الثاني) كما هو واضح وقد شرح مفصلا في محله من كتب العقائد الإسلامية .

فالإنسان اذا حصل الإيمان الصادق المتمثل بالاعتقاد بأصول الدين المذكورة وعمل بمقتضاها بفعل ما أمره الله به وحصل مصلحته مع ترك ما نهاه عنه ليسلم من مفسدته ــ وبذلك الفعل وهذا الترك يتجمل بالفضيلة ويتجنب الرذيلة .

أجل : اذا حصل الإنسان الإيمان الصادق وترجمه على الصعيد الخارجي بالتقوى والعمل الصالح يتوفق بذلك لنيل السعادة والسلامة من الخسارة في الدنيا والآخر .

وقد نص الله سبحانه على ذلك بقوله : ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض .

وقد تقدم شرحها مفصلا في الخطبة الرابعة صفحة ٢٢ .

هذا حاصل ما ينبغي ان يذكر في المقام من وحي الصفتين الاوليين [١] من الصفات الاربع المساهمة في سلامة الإنسان المؤمن من الخسارة الشاملة وظفره بربح السعادة الكاملة .

وبقي عليَّ ان اتابع الحديث حول الصفتين الاخريين وهما التواصي بالحق والتواصي بالصبر

ليعرف الوجه في ترتب السلامة من الخسر عليهما وربح السعادة بواسطتهما فأقول :

حيث ان الفرد يشكل اللبنة في بناء صرح المجتمع وخصوصا

---

(١) وهما صفتا الإيمان الصادق والعمل الصالح .

==========

المجتمع الإسلامي الذي بناه الإسلام على اساس المحبة والتضامن ليصبح بمنزلة الجسد الواحد الذي اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى كما هو مضمون الحديث الشريف لذلك لا يحصل لهذا الفرد ما اراد الله سبحانه حصوله له من السلامة من الخسر الشامل مع الظفر بالربح الكامل الا اذا اشاع بين افراد المجتمع ــ الحق في العقيدة والشريعة والسلوك والممارسة على تفصيل مضى في بعض الخطب السابقة .

وهذا يتوقف على ان يقوم الشخص اولا بوظيفته الفردية الواجبة عليه في حق نفسه بأن ينور عقله بالعلم والعرفان وقلبه بالعقيدة الصادقة ويجمل شخصه ويزكي نفسه بترجمة عقيدته هذه على الصعيد الخارجي بالتقوى والعمل الصالح ثم يقوم بعد ذلك بالوظيفة الاجتماعية المطلوبة منه نحو افراد مجتمعه بأن يوصيهم بالحق في مجالاته الثلاثة المذكورة بعد ان قام بوظيفته في حق نفسه .

وحيث ان إيمانه الصادق هو الذي يدفعه للقيام بوظيفته الاجتماعية المذكورة يعرف بذلك الوجه في ترتب هذه الوظيفة على الإيمان ويأتي الحديث النبوي المشهور القائل لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه مؤكداً لذلك وقريب منه الحديث الآخر المشهور القائل :

من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم .

وهناك آيات كثيرة تشير الى هذا المضمون منها قوله تعالى :

(**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**) [١] .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٧١ .

==========

وقوله تعالى : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها**

كذلك يبين الله لكم أياته لعلكم تهتدون) [1] .

وحيث ان الالتزام بالحق عقيدة ونظاما وسلوكا وعدم الانحراف عن خطه القويم وصراطه المستقيم رغم الصعوبات والضغوطات التي يتعرض لها المؤمن الملتزم ، صعب جدا فلا بد له من التجمل بالصبر والثبات على صعيد المبدأ لينال الغاية المنشودة والسعادة الخالدة المترتبة على الصبر الذي هو مفتاح الفرج واساس النجاح في كل الاهداف الحياتية والاخروية .

وبعد تجمل الفرد بهذه الصفة الجميلة النبيلة يطلب منه ان يوصي غيره بها ليصبح المجتمع بتعاونه وثباته صفا واحدا منطلقا بقوة وصلابة نحو اهدافه وتطلعاته النافعة للمخلوق والمشروعة من قبل الخالق .

ويأتي صبر الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم والذين آمنوا معه على ما تعرضوا له من الإيذاء والمعاناة في مطلع فجر الدعوة المباركة في مكة المكرمة مع صبرهم على خوض معارك الشرف والجهاد المقدس من اجل الدفاع عن المبدأ الحق في المدينة المنورة بعد الهجرة المظفرة .

أجل : يأتي هذا الصبر الجميل ليكون شاهدا صادقا على واقعية وفاعلية القيام بالوظيفة الاجتماعية بعد تأدية الوظيفة الفردية حيث كان لتجمل كل فرد من المهاجرين والانصار بالالتزام بالحق عقيدة وشريعة وسلوكا مع تضامنهم وتعاونهم على البر والتقوى وتواصيهم بالحق والصبر ــ أبلغ الاثر في قوة المجتمع الإسلامي وقدرته على التصدي لكل

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣ .

==========

الهجمات الظالمة من قبل اعدائهم .

وتأتي قوة الإيمان بالله سبحانه والثقة بنصره لعباده المؤمنين المجاهدين في سبيله والمتوكلين عليه لتعلب دورا بارزا في دعم الصف الإسلامي ونصره على خصومه قال سبحانه :

(**وكان حقا علينا نصر المؤمنين**) [1] .

وقال تعالى : (**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**) [2] .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم أيها الاخوان الاعزاء والابناء الاحباء اولاً وآخراً ورحمة الله .

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٤٧ .
(٢) سورة الطلاق ، الآية : ٣ .

==========

الخطبة الثالثة عشر [١]

الصبر وأسبابه وأقسامه وفوائده

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين .
والسلام عليكم أيها الإخوان الأعزاء والأبناء الأحباء ورحمة الله وبركاته .
وبعد : قال الله سبحانه في محكم كتابه المجيد : (**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجُوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أُولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأُولئك هم المهتدون**) [٢] .
وقال سبحانه : (**واصبروا إن الله مع الصابرين**) [٣] .

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في مسجد الإمام المهدي (عج) يوم الجمعة في ٢٧ ــ ١٢ ــ ١٩٨٢ م .
(٢) سورة البقرة ، الآيات : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .
(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٤٦ .

==========

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله : « الصبر نصف الإيمان » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « الصبر كنز من كنوز الجنة » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولاجسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له » ونقل عن الإمام علي عليه السلام حديث بهذا المضمون .
صدق الله العلي العظيم ورسوله الكريم وأهل بيته الطيبون الطاهرون .

ليس غريبا ان يرد في الإسلام كتابا وسنة ــ مدح للصبر والصابرين بهذا الاسلوب اللافت الى اهميته وسمو درجته لانه ارفع وانفع صفة يتجمل بها الإنسان المسلم في هذه الحياة ويعرف دوره في تربية النفس والسمو بها الى اعلى مراتب الفضل والكمال من تعريفه بأنه عبارة عن الملكة الراسخة والقوة الإرادية الثابتة التي تساعد على ضبط النفس وحفظ توازنها واستقامتها في المنهج الحق عقيدة وشريعة وعملا وعدم الانحراف عنه تحت تأثير أي عامل ذاتي داخلي او موضوعي خارجي .

وذلك لان الحياة ميدان صراع وجهاد في سبيل تحقيق الاهداف والتطلعات المرغوبة ودفع او اتقاء الاضرار المرهوبة كما قال ذلك الشاعر :

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً * إن الحياة عقيدة وجهاد

ولذلك كان لا بد للإنسان الرسالي المجاهد فيها من ارتداء ثوب الصبر والتجمل به ليكون السلاح الذي يدافع به ويدفع عنه كل الحوادث التي تعترض سبيل تقدمه ونجاحه في حياته كما يكون الدرع الذي يتلقى به الصدمات الطارئة والضربات المؤلمة ويتابع مسيرته الجهادية بثبات وعزيمة حتى يدرك هدفه المرسوم المشروع او يسقط شهيدا في ساحة

==========

النضال من اجله وهذا ما اعلن عنه سيد المرسلين وقدوة المجاهدين الصابرين نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم بما روي عنه من قوله :

« والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر لما تركته حتى يظهره الله او اهلك دونه » .

أقسام الصبر ومراتبه :

وقد بين الله سبحانه دور الصبر والتقوى في انتزاع النصر على الاعداء في معركة الجهاد والتحدي بقوله تعالى .

(**بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الآف من الملائكة مسومين**) [١] .

كما بين أثره البالغ في الآخرة وان الله سبحانه يضاعف لهم اجرهم هناك حيث قال :

(**ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون**) [٢] .

وقال تعالى : (**أُولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا**) [٣] .

وقال أيضاً : (**إنما يُوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**) [٤] .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « في الصبر على ما تكره خير كثير » .

وروي ان المسيح قال للحواريين إنكم لا تدركون ما تحبون الا

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٥ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٩٦ .

(٣) سورة القصص ، الآية : ٥٤ .

(٤) سورة الزمر ، الآية : ١٠ .

==========

بالصبر على ما تكرهون .

هذا وقد قسم الصبر عدة تقسيمات بعدة اعتبارات .

الأول : تقسيمه بلحاظ نفسه الى قسمين :

أ ــ الممدوح وهو الذي ورد مدحه ومدح الصابرين المتجملين به في الكثير من الآيات والروايات وقد مر بعضها .

ب ــ المذموم وهو الصبر على الضيم والرضا بالذل والهوان مع القدرة على رفعه والصبر على المرض والمه مع التمكن من علاجه والصبر على الفقر والاحتياج للآخرين مع التمكن من إزالته بالكد والعمل وقد قال بعضهم في ذم الصابرين على الضيم مع تمكنهم من دفعه :

ولا يقيم على ضيم يراد بـــــه * إلا الأذلال عيُر الحي والوتدُ

هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثي له أحــدُ

الثاني : تقسيمه بلحاظ مرتبته ودرجته في الفضل الى ثلاثة اقسام :

أ ــ منها يراد به معنى سلبي وهو عدم اظهار الجزع والضجر من المصيبة .

ب ــ يراد به معنى إيجابي وهو الرضا بما حصل من فقد محبوب او وقوع مكروه وهذا افضل من الاول وارقى درجة كما هو واضح .

جـــ ــ الميل النفسي لما حصل من ذلك والرغبة فيه لما يترتب عليه من الاجر العظيم والثواب الجزيل وهذا افضل من الثاني وهو صبر الانبياء والاوصياء والتابعين لهم بإحسان من

الاولياء والمؤمنين الاصفياء ويأتي صبر ايوب ونبينا محمد عليهما الصلاة والسلام من بين الانبياء وصبر الحسين عليه السلام من بين الاوصياء ليكون المثل الاعلى والنموذج

==========

(١٣٨)

الامثل للصبر العظيم على الخطب العظيم والبلاء الجسيم وقد اقتدت به اخته بطلة كربلاء زينب الجلد والتحمل ــ في الصبر على الشدائد والثبات في المواقف الصعبة وكلاهما ــ أعني الحسين وشقيقته البطلة سلام الله عليهما ورثا ذلك من ابويهما مع ما ورثاه منهما من انواع الفضائل والكمالات والى ذلك اشار الشاعر بقوله في حقها :

بأبي التي ورثت مصائب أمها * فغدت تقابلها بصبر أبيها

وهناك تقسيم ثالث للصبر بلحاظ ما يتعلق به ــ الى ثلاثة اقسام :

الأول ــ الصبر على الطاعة .

الثاني ــ الصبر عن المعصية .

الثالث ــ الصبر على المكروه وذلك لان الالتزام بفعل الواجب وترك الحرام بالسير في خط التقوى المستقيم رغم تعرض المكلف الملتزم لكثير من الضغوطات والاغراءات التي تقتضي بطبعها الانحراف عن خط الاستقامة اذا تجرد عن ملكة الصبر وقوة الارادة .

أجل : إن الثبات على نهج الاستقامة رغم وجود ما يدعو الى الانحراف عنه من العوامل الضاغطة ، يعتبر من اصعب الامور التي لا يتحملها الا المؤمن المتمسك بعروة الصبر الوثقى ــ وحيث اني عطفت ترك الحرام وهو مورد الصبر عن المعصية على فعل الواجب وهو مورد الصبر على الطاعة يكون الحديث قد شمل كلا القسمين الاولين وبقي القسم الثالث وهو الصبر على المكروه وهو قريب من سابقيه وقد يكون اشد صعوبة في بعض الموارد التي تعظم فيها المصيبة ويشتد المكروه .

==========

(١٣٩)

مدى ارتباط الصبر بالإيمان :

وبقليل من التأمل ندرك مدى ارتباط الصبر بالايمان وتفرعه عنه وتبعيته له بالقوة والضعف

وذلك لان إيمان المؤمن بترتب الثواب العظيم والاجر الجسيم على إتيانه بالواجبات مضافا الى ما يستفيده من فعلها في هذه الحياة يدفعه الى الاتيان بها بقوة صبر ورحابة صدر مهما كانت تكلفه من المشقة والمعاناة كالصوم في ايام الحر الشديد والاتيان بمناسك الحج في الجو الحار ومع الازدحام المجهد وخصوصا وقت الرمي والطواف .

واوضح من ذلك القيام بواجب الجهاد المقدس ومحاربة الاعداء وخصوصا في هذه الايام التي تعاون فيها اعداء الاسلام والمسلمين على الإثم والعدوان لمحاربتهم بشتى الاساليب ومختلف الوسائل الكثيرة والمتطورة ورغم ذلك كله فإن المؤمنين المخلصين يثبتون في ساحة الجهاد الاكبر والاصغر مترقبين ادراك الثواب العظيم على صبرهم وتحملهم الصعوبات الناشئة من التزامهم بواجب الاطاعة وترك المعصية كما يترقبون احدى الحسنيين حال تأديتهم فريضة الجهاد المقدس النصر او الشهاده .

وكذلك : إيمان المؤمن الملتزم بترك المعصية والانحراف عن خط العبودية واعتقاده بما سيناله من الثواب الجزيل يوم الجزاء مضافا الى ما يترتب على ترك المعصية من السلامة والخلاص من أثارها السلبية في هذه الحياة .

أجل : إن إيمان المؤمن بذلك كله يخفف عنه صعوبة الالتزام بترك

==========

المعصية كما ان إيمانه بنيل الاجر العظيم بصبره على البلاء ورضاه بالقدر والقضاء يسهل عليه امر الصبر عليه [١] وتحمل نتائجه الصعبة ــ كما يصبر المريض على تجرع الدواء المر وعلى الم العملية الجراحية لثقته بالطبيب واخلاصه له وانه لم يصف له هذا الدواء او تلك العملية الا لينقله بمرارة الدواء الى حلاوة الشفاء ومن الالم القليل الى الشفاء الطويل .

أسباب الصبر المؤدية له :

وبذلك يتضح مدى تأثير الايمان في الصبر بكل اقسامه ولذلك عبر عنه بأنه من الصبر بمنزلة الرأس من الجسد كما تقدم .

وقد ذكروا أمورا اخرى مساعدة على التجمل بفضيلة الصبر وهي كثيرة اهمها ما يلي :

الأول : التفكر في النتائج الايجابية الحميدة المترتبة على الصبر في هذه الحياة مضافا الى ما يناله غدا يوم القيامة من الثواب العظيم والاجر الجسيم .

الثاني : التأمل في الاثار السلبية المترتبة على الجزع في الحاضر مضافا الى ما قد يترتب

عليه من الإثم واستحقاق العقوبة اذا كان متضمنا الاعتراض على قضاء الله وعدم الرضا بقدره .

الثالث : ملاحظة ان الابتلاء بالمصائب في هذه الحياة امر عام لا يسلم منه إنسان كما قال الشاعر في شأن الدنيا :

طبعت على كدر وأنت تريدها * صفوا من الاقذاء والاقذار

ومكلف الايـــام ضد طـــباعها * متطلب في الماء جذوة نار

---

(١) أي على البلاء .

==========

الرابع : الالتفات الى ان دار الدنيا هي دار ابتلاء وامتحان لتظهر به حقيقة الايمان ويتميز الحقيقي منه عن السطحي الذي لا يثبت امام النوائب قال سبحانه :

(**الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن اللهُ الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**) [١] .

الخامس : توقع حصول الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر كما يوحي بذلك قوله تعالى : (**فإن مع العسر يُسراً * إن مع العسر يسراً**) [٢] .

حيث اقتضت الرحمة الإلهية والحكمة السماوية ان لا تستقر المصيبة وتستمر الشدة بدون حد تقف عنده في الغالب وتفضل الله سبحانه على ايوب بالفرج بعد الشدة والشفاء بعد العلة والرخاء بعد الشقاء يقوي الثقة بتبدل الوضع من الصعب الى السهل وخصوصا اذا حصل التوكل على الله سبحانه والتضرع اليه بالدعاء والانقطاع قال سبحانه :

(**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**) [٣] .

وقال تعالى : (**ادعوني أستجب لكم**) [٤] .

ويقوى الامل بالفرج بعد الشدة اذا اقترن الدعاء والتوكل بالتصدق لما هو المشهور من ان الصدقة تدفع البلاء وقد أبرم إبراما كما تقدم .

---

(١) سورة العنكبوت ، الآيات : ١ ، ٢ ، ٣ .

(٢) سورة الشرح ، الآيتان : ٥ ، ٦ .

(٣) سورة الطلاق ، الآية : ٣ .
(٤) سورة غافر ، الآية : ٦٠ .

==========

السادس : التأسي والاقتداء بالعظماء الذين تلقوا المصائب بالتصبر والاحتساب وفي طليعتهم من ذكرنا منهم سابقا وهم النبي أيوب ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والامام علي وابنه الحسين سيد الشهداء ومن النساء بطلة كربلاء بنت سيد الاوصياء وأمها سيدة النساء الزهراء البتول عليهم السلام .

السابع : ملاحظة عدم ترتب اي اثر ايجابي على الحزن والانفعال لوقوع المصيبة وربما ادى الانسياق مع العاطفة واستمرار التفكير فيها الى زيادتها والحرمان من ثواب الصبر عليها واذا تحول الوضع الانفعالي الى الجزع والاعتراض على الله سبحانه ادى ذلك الى استحقاق العقاب مع الحرمان من الثواب وقد اشرت الى مضمون هذا الحديث الاخير بالابيات التالية التي نظمتها في النجف الاشرف في الستينات .

أبيات من وحي الحكمة لها علاقة بالصبر :

لا يدفع الحزن ما يجري به القدر * ولا يصونك من سلطانه الحذر
عمت حوادثه الآفاق وانتشرت * فكل حي لما يمضيه منتظر
فلا الغني بما يحويه منتفع * ولا القوي على الايام مقتدر
ولا النسيب تذود الموت نسبته * للماجدين ولا يثنيه مفتخر
ولا العليم يصد العلم نكبته * بالحادثات اذا حلت به الغير
وكل مجد سوى مجد العلى كذب * وكل جاه سوى جاه السما صور
وكل فعل سوى فعل التقى عبث * وكل قول سوى قول الهدى هذر
وكل حي وإن طالت سلامته * فسائق الموت لا يبقي ولا يذر

==========

فينطوي الناس لا الاولاد تحفظهم * من الفناء ولا اموالهم تفر[1]

كذلك المرء أمـــال تبـــــــــددها * يد المـــــنية أشلاء فينـــــدثر

إلا التقي الذي أضـــحى بفــطنته * من الشريعة يستوحي ويــعتبر

فهو المــقيم ولا تفــنى مـــــآثره * مهما تعاقبت الاجيال والعصـــر

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم أيها الاخوان الاعزاء ورحمة الله .

---

(١) تفر بالفاء بعد التاء معناها تصون وتحفظ .

==========

الخطبة الرابعة عشر [١]

حول صفة الكرم والسخاء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين .

والسلام عليكم أيها الإخوان الأعزاء والأبناء الأحباء ورحمة الله وبركاته وبعد :

إن موضوع حديثنا اليوم هو صفة الكرم النبيلة ولهذه الصفة سببها المؤدي اليها وفائدتها المترتبة عليها وحيث انها تحتل المنزلة العالية بين صفات المؤمنين ــ كانت الصفة المشرقة والسمة البارزة في حياة اهل البيت عليهم السلام ابتداء من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانتهاء بالمهدي (عج) . أما سبب هذه الصفة فهو الايمان بالله سبحانه باعتبار انه يمثل الشجرة المباركة التي تغرس في حقل النفس وتروى بماء المعرفة

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في مسجد الإمام المهدي (عج) يوم الجمعة في ٦ ــ ٢ ــ ١٩٨٧ م .

==========

الصحيحة وتنمى بغذاء التربية الصالحة .

ولهذه الشجرة ثمرات كثيرة طيبة وهي كل الاعمال الصالحة والصفات النبيلة والمكارم السامية كالشجاعة والكرم والحلم والصبر ونحوها .

أما إنتاج شجرة الايمان لثمرة الكرم فالوجه فيه هو ان المؤمن يعتقد ان كل ما ينفقه من مال او علم او جاه في سبيل الله فإن الله سبحانه يزيد منه في الدنيا لقوله تعالى :

(**لئن شكرتم لأزيدنكم**) [١] مضافا الى الجزاء الاخروي .

والمراد بالشكر المؤدي لزيادة النعمة هو الشكر العملي المتمثل بصرفها في سبيل مرضاته تعالى ونفع خلقه لانهم عياله واحب خلقه اليه انفعهم لعياله فشكر نعمة العلم يكون بتعليم الجاهلين وارشاد الضالين والاصلاح بين المتخاصمين وهكذا .

وشكر نعمة الجاه يكون بالتصدي لقضاء حوائج الآخرين بجلب النفع لهم ودفع المكروه عنهم ــ وشكر نعمة المال يكون ببذله في سبيل تأدية الواجب كإخراج الحق الشرعي المتعلق به والقيام بالنفقة الواجبة عليه لنفسه ولمن تجب نفقته عليه كأبويه وزوجته واولاده او في سبيل تأدية المستحب وهو كل ما عدا الواجب من الصدقات المقربة من الله سبحانه والنافعة للمجتمع .

ولا يراد بالشكر مجرد الشكر القولي المتمثل بحمد الله سبحانه والثناء عليه لتفضله وإحسانه بالنعمة لأن هذا النوع من الشكر وإن كان افضل من العدم ولكنه لا يكون غالباً مصدرا لزيادة النعمة التي وعد الله

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٧ .

==========

بها عباده الشاكرين ويؤكد ذلك قوله تعالى : (**اعملوا آل داود شكراً**) [١] .

دور الشكر العملي في زيادة النعمة ودوامها :

فالمؤمن حيث يعتقد بمكأفاة الله له على صرف نعمته في سبيل إطاعته ــ بزيادتها له ودوامها عنده مع دفع البلاء عنه في هذه الدنيا مضافا الى ما سيجازيه به غدا يوم القيامة من النعيم الخالد والسعادة الابدية .

أجل : إن المؤمن حيث انه يعتقد بحصول عملية التعويض هذه المعجلة والمؤجلة فهو يقدم

على البذل بكرم وسخاء بدون اي تردد وهذا معنى قول الإمام علي عليه السلام : (من أيقن بالخلف جاد بالعطية) .

ومن فوائد الكرم المعجلة حصول المحبة والتقدير للكريم الباذل من قبل من يحسن اليهم ويتفضل بجوده وعطائه عليهم من افراد اسرته وابناء عشيرته وسائر افراد المجتمع ويترتب على فائدة هذه المحبة وذلك التقدير منفعة اخرى وهي مقابلته بالمثل عندما يتبدل يسره بالعسر وغناه بالفقر كما هو طبع الدهر ــ فيقدمون له المساعدة وقت عسره كما قدم لهم ذلك يوم يسره وعسرهم انطلاقا من قوله تعالى :

(**هل جزاءُ الإحسان إلا الإحسانُ**) [٢] .

وقال الشاعر مشيرا الى هذا المضمون :

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم * فطالما استعبد الإنسان إحسانُ

وحصول المفاجآت السلبية وان كان متوقعا في كل مكان وزمان الا

---

(١) سورة سبأ ، الآية : ١٣ .

(٢) سورة الرحمن ، الآية : ٦٠ .

==========

ان عدم استقرار الوضع الامني والاقتصادي في هذا البلد يجعل احتمال حصولها اقوى وهذا يقتضي قوة اهتمام بعضهم ببعض وخصوصا المؤمنين منهم ليحصلوا بذلك فائدة هذا الاهتمام معجلا في هذه الدنيا ومؤجلا هناك :

(**يوم لاينفع مالُ ولابنون * إلا من أتى الله بقلب سليم**) [١] .

مدح الجود والسخاء وذم البخل والبخلاء :

وحيث ان صفة الكرم اجمل وانبل الصفات الانسانية التي ترفع وتنفع صاحبها في الدنيا والآخرة فقد ورد مدحها والثناء على المتصف بها في العديد من الآيات الكريمة والروايات المباركة .

من الآيات قوله تعالى :

(**ومن يُوق شُح نفسه فأُولئك هم المفلحون**) [٢] .

ومن الروايات ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : « السخاء شجرة من شجر الجنة متدلية الى الارض من اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما جبل الله أولياءه الا على الكرم وحسن الخلق » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد عن النار ــ والبخيل بعيد عن الله بعيد عن الناس بعيد عن الجنة قريب من النار » .

وحيث ان البخل ضد الكرم فقد ورد ذمه وذم المتصفين به في العديد من الآيات والروايات ــ من الاول قوله تعالى :

---

(١) سورة الشعراء ، الآيتان : ٨٨ ــ ٨٩ .

(٢) سورة الحشر ، الآية : ٩ .

==========

(ولا يحسبن الذين يبخلون بمآ اتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة) [١] .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله : « إياكم والشح انه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم » .

وقد ذكرت في بداية الحديث ان اهل البيت عليهم السلام كانوا مجلين في ميدان الكرم والسخاء وان هذه الصفة كانت السمة البارزة في حياتهم ولذلك يكون حثهم على الكرم ونهيهم عن البخل ــ قوي التأثير بسبب اقترانه بالعمل والتطبيق وقد اشتهر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ونفس الشيء يقال في حق الإمام علي عليه السلام لانه نفسه بنص آية المباهلة ولذلك كان متجملا بكل الصفات الحميدة التي كان الرسول متجملا بها وكذلك ابناؤه كان كل واحد منهم المثل الاعلى والقدوة المثلى في كل الصفات الكمالية وخصوصا صفة الكرم ــ ويؤكد ذلك ما روي عن الإمام الحسن عليه السلام من انه جاءه اعرابي ليسأله فقال عليه السلام اعطوه ما في الخزانة وكان بقدر عشرين الف درهم فدفعت له فقال : يا مولاي الا تركتني ابوح بحاجتي وانشر مدحتي فأجابه الامام عليه السلام بقوله :

نحن أناس نوالنا خضل * يرتع فيه الرجاء والامـــــــل

تجود قبل السؤال انفسنا * حرصا على ماء وجه من يسل

ما ورد في كرم الإمام الحسن عليه السلام :

وقال أنس بن مالك : حيت الحسن جاريته بطاقة ريحان فقال لها : أنت حرة لوجه الله فقلت له : حيتك جاريتك بطاقة ريحان فأعتقتها ؟

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٠ .

==========

فقال عليه السلام هكذا أدبنا ربنا اذ قال تعالى :

(**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا**) [١] .

وكان أحسن منها عتقها .

وروي عنه قوله عليه السلام :

إن السخاء على العباد فريضة * لله تقرأُ في كتاب محكم

وعد العباد الاسخياء جنانه * وأعد للبخلاء نار جهنم

من كان لا تندى يداه بنائل * للراغبين فليس ذاك بمسلم

وروي عنه ايضا انه اشترى بستانا من قوم من الانصار بأربعمائة الف درهم ثم بلغه انهم احتاجوا الى ما في ايدي الناس فرده عليهم .

كما روي عنه انه سمع رجلا يسأل الله ان يرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف عليه السلام الى منزله وبعث بها اليه .

ما ورد في كرم الإمام الحسين عليه السلام :

ورويت القصة التالية في كرم الإمام الحسين عليه السلام وحاصلها انه وفد اعرابي الى المدينة فسأل عن اكرم الناس فيها فدل على الإمام الحسين عليه السلام وعندما وصل الى منزله وجده قائما يصلي فقام بإزائه وانشأ يقول :

لم يخب الان من رجاك ومن * حرك من دون بابك الحلقة

أنت جـــــواد وأنت معتمـــد * أبوك قد كان قاتل الفســـقة

لولا الذي كان من أوائلكم * أمست علينا الجحيم منطبقة

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٦ .

==========

فسلم الحسين عليه السلام وقال يا قنبر هل بقي من مال الحجاز شيء ؟ .

قال نعم أربعة آلاف دينار فقال هاتها فقد جاء من هو احق بها منا ثم نزع برده ولف الدنانير بها واخرج يده من شق الباب حياء من الاعرابي وانشأ يقول :

خـــــــذها فـــإنـــي إليـــك معتذر * واعلم بأني عليك ذو شفقة

لو كان في سيرنا [1] الغداة عصا * كانت سمانا عليك منـــدفقة

لكن ريب الزمـــان ذو غـــــــير * والكف مني قليلة النفـــــقة

فأخذها الاعرابي وبكى فقال له الحسين عليه السلام : لعلك استقللت ما اعطيناك ؟ قال : لا ولكن كيف يأكل التراب جودك ؟ .

أهل البيت هم القدوة المثلى في الكرم وغيره :

والبذل العظيم والسخاء المثالي الجسيم الذي قدمه الإمام الحسين عليه السلام ، على صعيد التضحية والفداء في سبيل نصرة الحق والدفاع عنه هو جوده بنفسه النفيسة واولاده الاحباء واخوانه الاعزاء واصحابه الاوفياء حتى اصبح مضرب المثل والقدوة المثلى في هذا المجال ومصداقا لقول الشاعر :

يجود بالنفس إن ضن الجبان بها * والجود بالنفس اقصى غاية الجود

وما ذكرته ونسبته اليه والى البعض الآخر من أهل البيت عليهم السلام يعتبر لمحة خاطفة ونفحة عاطرة من نفحات الكرم والعطاء الذي تجمل

(١) السير من الجلد ونحوه ــ ما يقد منه مستطيلا (من المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٦٧) .

==========

به أهل بيت العصمة وما ينسب الى بعضهم من الصفات الكمالية يوجد في الباقين منهم لانهم كلهم نور واحد ولان مصدر صفاتهم النبيلة مشترك بينهم وهو الذوبان في حب الله سبحانه وارادته وذلك يؤدي بطبعه الى الذوبان في دينه وشريعته بحيث يصبح كل واحد منهم قرآناً ناطقا وإسلاما عمليا متحركا .

ونحن عندما ننسب هذه الفضائل السامية اليهم ونتحدث بها عنهم لا نقصد بذلك مجرد التبرك كما لا نقصد ابداء الاعتزاز والافتخار بأن أئمتنا الذين نواليهم وننتمي اليهم ــ قد بلغوا القمة في الكمال والفضيلة .

أجل : إن التحدث عن هؤلاء العظماء لا ينبغي ان يكون بدافع من هذه الدوافع الذاتية العاطفية بل ينبغي ان يكون بقصد التنبه والتنبيه على ما تجملوا به من الصفات الحميدة والاخلاق المجيدة من اجل ان نقتدي بهم ونترسم خطاهم بالايمان الصادق والعمل الصالح والخلق الفاضل وبذلك نحقق ما امرنا الله به من مودتهم على لسان رسوله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى : (**قل لا اسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى**) [١] .

كما نمتثل أمره سبحانه لنا باطاعتهم بقوله :

(**يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم**) [٢] .

ومن المعلوم من حكمته تعالى ورحمته انه لم يأمرنا بمودتهم وباطاعتهم الا باعتبار رجوع ذلك الى اطاعته وعبادته وحده لا شريك له وقد ذكرت اكثر من مرة وفي اكثر من حديث ان الله سبحانه لم يخلقنا ويأمرنا بالعبادة الا من اجل ان نتوصل بها الى الكمال والسعادة وقد

(١) سورة الشورى ، الآية : ٢٣ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٥٩ .

==========

شرحت ذلك بصورة مفصلة في بعض الخطب السابقة .

ويسرني ان اذكر في ختام هذا الحديث خلاصته فأقول :

حيث ان الله سبحانه اوجدنا في هذه الدنيا من اجل ان نزرع في حقلها التقوى والعمل الصالح وننال بذلك ما نحتاج اليه فيها من الامور التي يتوقف عليها نظام حياتنا ومعاشنا كما ننال بعد ذلك النعيم الخالد والسعادة الابدية في جوار الله سبحانه بعد مغادرة هذه الحياة .

أجل : حيث ان الله سبحانه برحمته وحكمته اراد لنا ذلك فقد امرنا بتوفير ما يوصل اليه من الايمان الصادق والعمل الصالح ومن الواضح ان اطاعته سبحانه غير مقصورة على امتثال الاحكام الالزامية ــ وهي الواجبات والمحرمات ــ بل تشمل المستحب مع الواجب والمكروه مع الحرام ــ ومن المعلوم ان الانسان المؤمن الملتزم بخط السماء بإيمانه الصادق وخلقه الفاضل وعمله الصالح يحقق بذلك ما اراد الله سبحانه له ان يصل اليه ويحصل عليه من السعادة والرفعة في الدنيا والآخرة .

وقد اشار الله سبحانه الى ذلك بقوله تعالى :

(**ولو ان أهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض**) [1] .

بالإيمان الصادق والخلق الفاضل والعمل الصالح

تنال السعادة في الدنيا والآخرة :

ومن الواضح لدى المؤمن الرسالي ان كل ما ينفعه ويرفعه من

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٩٦ .

==========

الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة ــ في هذه الحياة ــ يمضي معه لينفعه ويرفعه هناك في دار الخلود وان كل ما يضره ويخفض مقامه هنا من الاعمال المنحرفة عن خط السماء والصفات الذميمة يضره هناك ايضا وقد صرح الله سبحانه بذلك بقوله تعالى :

(**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يرهُ**) [1] .

وقوله تعالى : (**إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أُولئك هم شر البرية * إن الذين امنوا وعملوا الصالحات أُولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربهُ**) [2] .

وقد صرح الله سبحانه بالمضمون الاخير في سورة العصر ومنها استوحيت الابيات التالية وقد مر ذكرها في بعض الخطب السابقة وهي :

والعصر إن المرء في خســـــران * وشقاوة ومــذلة وهـــــوان
إلا الألى عــرفوا الإله وطبــقوا * نهج الهدى وشريعة الــقرآن
وغداً يوصي بعضهم بعضا هنـــا * بالحق والصبر الجميل الباني

والسلام عليكم أيها الإخوان الاعزاء والابناء الاحباء اولا وآخراً ورحمة الله وبركاته .

---

(١) سورة الزلزلة ، الآيتان : ٧ ــ ٨ .
(٢) سورة البينة ، الآيات : ٦ ، ٧ ، ٨ .

الخطبة الخامسة عشر [1]

من وحي ميلاد الرسالة والرسول

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين .

والسلام عليكم ايها الاخوان الاعزاء والابناء الاحباء ورحمة الله وبركاته وبعد :

قد تحدثت إليكم في الاسبوع الماضي بوحي من مناسبة ميلاد نبينا الامين الصادق وحفيده جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام .

وحاصل ما ذكرته في هذا الحديث ان الاحتفال بمناسبة ميلاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعتبر في الواقع احتفالا بمناسبة ميلاد الرسالة ولهذا الاحتفال اسلوبان احدهما تقليدي عادي ظاهري والآخر احتفال عملي حقيقي .

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في مسجد الإمام المهدي (عج) يوم الجمعة لإكمال حديث سابق حول مولد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم وحفيده جعفر الصادق عليه السلام في ٩ ــ ٨ ــ ١٩٩٦ م .

==========

أما الأول : فهو ما جرت العادة عليه سابقا ولا يزال يكرر لاحقا من قبل المحتفلين بهذه المناسبة الكريمة ويتمثل بإعلان الزينة وتقديم التهنئة مع إقامة الاحتفال الخطابي لإلقاء الكلمات والقصائد المشتملة على المدح والاطراء لصاحب الذكرى ــ ثم ينتهي الاحتفال وينطوي زمانه من دون ان يترتب اي اثر عملي في سلوكنا بحيث يكون وضعنا العام والخاص ــ بعد الاحتفال على ما كان عليه قبله .

والاحتفال بهذا المقدار وبهذا الاسلوب وان كان ناقصا لا يفي بالغرض المطلوب والهدف المنشود من إقامة مثل هذه الاحتفالات الا انه يبقى افضل من العدم المطلق . ويظل المطلوب والمتوقع منا ونحن نعيش في ظل ثقافة عصرية شاملة وصحوة اسلامية مباركة ــ ان نطور هذا الاحتفال ونتجاوز به الاسلوب التقليدي الناقص الى الاسلوب العملي الكامل وهو الذي يتمثل بتعلم

احكام الرسالة والعمل بقوانينها في مختلف مجالات حياتنا مع الدفاع عنها باللسان والقلم فكريا وبالسلاح المادي اذا لزم الامر عسكريا .

وأهم وسيلة للدفاع عن رسالتنا المقدسة وازالة العقبات من طريق انتشارها وانتصارها فكريا وماديا هي دراستها بوعي وعمق مع العمل بتعاليمها العادلة الكاملة وتطبيقها على الصعيد الخارجي تطبيقا مقترنا بالتجمل والاتصاف بما تحمله من مثُل سامية ومكارم عالية تتمثل بالسماح والانفتاح والعدالة والمساواة في كل المجالات ومع جميع الفئات والطبقات بلا فرق بين المسلمين وغيرهم وبهذا الاسلوب يتحقق الاحتفال العملي الحقيقي باعتبار ان الاحتفال معناه التقدير والاحترام

==========

والإيمان بالرسالة والعمل بأحكامها من اوضح مصاديق الاحترام لها والاحتفاء بها .

ويتحقق بذلك ايضا تمهيد السبيل امامها لتشق طريقها الى سائر الافكار والاقطار متألقة بصورتها الحقيقية ــ لأن هذا الاسلوب من الاحتفال ــ يمثل في واقعه دعوة صامتة الى الرسالة الاسلامية والالتزام بنهجها القويم ــ منطلقة من قول الامام الصادق عليه السلام : ما حاصله : كونوا لنا دعاة صامتين وقوله عليه السلام : كونوا زينا لنا ولا تكونوا شيناً علينا ، وبكل ما تقدم يتحقق هدف الدفاع عن الرسالة بأسلوب وقائي يدفع عنها شبهات الرجعية والقصور وعدم القدرة على تحقيق اهداف الحياة للجيل المعاصر ومن المعلوم ان الوقاية خير من العلاج .

وإذا نظرنا بدقة الى مصدر تلك الشبهات التي اثيرت حول الاسلام وتعاليمه العادلة الخالدة ــ من قبل اعدائه الشرقيين والغربيين نجد ان سبب إثارتها هو انحراف اكثر المسلمين عن نهجه القويم وصراطه المستقيم الامر الذي ادى الى تفرقهم بعد الوحدة وضعفهم بعد القوة وتخلفهم بعد التقدم وقد سبب ذلك سريان الشبهة الى ابناء الامة الاسلامية وتأثرهم بها وخصوصا من سافر منهم الى الخارج لتلقي دراسته هناك في اجوائه المحمومة وافكاره المسمومة مع ان الاسلام بريء من كل تلك الشبهات واذا كانت هناك مسؤولية عن التخلف الذي اصاب الامة مؤخرا فهي تناط وتربط بالامة نفسها لانها ابتعدت عن رسالتها فكرا وعملا فابتعدت عن تقدمها وحضارتها الاصيلة واصبحت بذلك مصداقا لقوله تعالى :

(**وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**) [١] .

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١٨٨ .

==========

والى ما ذكرنا أشار الشاعر بقوله :

يقولون في الإسلام نقص لأنه * يعوق ذويه عن ضروب التقدم
فإن كان ذا حقاً لماذا تقــدمت * أوائلنا في عصرها الـــــمــتقدم
إذا كان ذنب المسلم اليوم جهله * فماذا على الإسلام من ذنب مسلم

دعوة الأمة الإسلامية الى الحوار الهادىء مع أهل الكتاب :

وبعد معرفة نوع الاحتفال الحقيقي والاحتفاء الواقعي المناسب لشخصية الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعظمة رسالته ــ يطلب منا القيام به لنثبت بذلك واقعية انتمائنا لها وتمسكنا بها .

واهم امر يطلب منا ان نقوم به في هذا المجال لنكون محتفلين عمليا بعيد ميلاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو خروج الامة الاسلامية من حدود الطائفية الضيقة المقيتة ــ بالانفتاح على كل الطوائف في مجال الفكر والعقيدة وابداء الاستعداد للتفاهم بالحوار الهادىء الهادف وبأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة انطلاقا من قوله تعالى :

(*** ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**) [١] .

وقوله تعالى : (**قل ياهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله**) [٢] .

وبعد الحوار بالاسلوب الاسلامي الحكيم يبقى المسلم على انفتاحه وسماحه حتى مع عدم اقتناع الطرف المقابل بما يحمله من عقيدة

---

(١) سورة العنكبوت : الآية : ٤٦ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٦٤ .

==========

وما ينتمي اليه من شريعة لان الاختلاف في الرأي والمعتقد والاتجاه لا يقتضي ان يفسد للود

وحسن التعامل ــ قضية بل يعمل كل على شاكلته في مجال العمل والتعبد لله سبحانه ــ ويلتقي الجميع بعد ذلك على صعيد الحياة الاجتماعية التقاء الإنسان بأخيه الإنسان بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان إيجابية مشرقة تدعو للصدق والامانة والتعاون على المصلحة العامة العليا للوطن والمواطنين كلهم بلا استثناء وهذا ما دعا القرآن الكريم اليه ورغب فيه بقوله تعالى :

(**لا ينهاكم اللهُ عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأُولئك هم الظالمون**) [1] .

دعوة الأمة الإسلامية الى الانفتاح وترك التعصب المذهبي :

كما يطلب من الأمة الإسلامية وبطريق اولى ان تخرج من حدود المذهبية والتعصب الاعمى المفرق وذلك بانفتاح اصحاب المذاهب بعضهم على بعض في مجال الفكر والمذهب بالحوار الهادي وبأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة وبعد ذلك ان حصل اتفاق واقتناع من قبل احد الطرفين بما يذهب اليه ويقتنع به الاخر فهذا توفيق من الله سبحانه يستحق الشكر عليه .

وإذا بقي خلاف كلي او جزئي يطلب من الجميع بقاؤهم على احترامهم لبعضهم وتعاونهم على تحقيق ما يعود على الجميع بالخير

---

(١) سورة الممتحنة ، الآيتان : ٨ ، ٩ .

==========

والمصلحة العامة مؤكدين ذلك بالالتفات والتنبه الواعي الى الاخوة الايمانية الشاملة للكل لتجعل منهم أسرة واحدة ابوها الاسلام وأمها الشريعة وهدفها رضا الله سبحانه وعبادته وحده لا شريك له بما يراه كل مكلف وظيفته الشرعية المطلوبة منه .

واختلاف الافراد بالوظيفة الشرعية وطريقة العمل وليس بدعة ولا بدعا في التاريخ بل هو موجود حتى بين ابناء المذهب الواحد فمراجع الشيعة يختلفون في فتاواهم كما ان أئمة المذاهب مختلفون في ذلك والكل متفقون على ان المطلوب من كل شخص مكلف ان يتعبد لله سبحانه بما يراه وظيفته الشرعية على ضوء اجتهاده او تقليده .

ومن المعلوم ان الاختلاف في الفروع وطريقة الاداء في مقام الامتثال لا يؤثر على جوهر الوحدة الاسلامية المطلوبة والمنطلقة من إيمان الكل بأن الرب المعبود بحق واحد والرسول واحد والكتاب واحد وهذا هو مقصود الداعين الى الوحدة الاسلامية فهم يقصدون لفت النظر الى وجود

جذورها المبدئية المتمثلة بالاصول الاسلامية الاساسية وهي وحدة الخالق المعبود والرسول والرسالة والمرجع والمصير فتكون الدعوة الى الوحدة بهذا المعنى دعوة الى الالتفات اليها والمحافظة عليها من التمزق بسبب الفتن والنعرات المذهبية التي يثيرها اعداء الامة بين افراد وابناء مذاهبها من اجل ان يضعفوهم بالتفرق والتناحر ويساعدهم ذلك على تحقيق اهدافهم الاستعمارية .

دعوة الأمة الإسلامية الى الاعتصام بحبل الوحدة :

وحيث ان إلتقاء الامة تحت راية الوحدة من أبرز عوامل قوتها التي تمكنها من تحقيق اهدافها الرسالية في مختلف مجالات حياتها كما

==========

تمكنها من الدفاع عن وجودها ومصيرها ومصالحها عندما تتعرض للخطر من قبل اعدائها الظالمين .

بيان حرص الإسلام على وحدة المسلمين :

أجل : حيث ان لوحدة الامة أبلغ الأثر في تحقيق ما يفيدها واتقاء ما يضرها نرى الإسلام قد حث على الاعتصام بها كتابا وسنة وممارسة .

أما الكتاب فآياته الآمرة بالاعتصام بحبل الوحدة عديدة أبرزها قوله تعالى :

(**واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا**) [١] .

ويأتي قوله تعالى :

(**ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين**) [٢] .

مؤكداً لمضمون الآية الاولى الداعية الى الاتحاد والتعاون .

وانطلاقا من حرص الاسلام على تحقق الوحدة والاتحاد بالمعنى السابق وصونهما من التعرض للاهتزاز بسبب الصراعات الطارئة فقد أمر الله سبحانه المتنازعين في أي أمر من الامور ــ بالرجوع الى الله ورسوله ورد النزاع الى شرعهما العادل ليقدم الحل المناسب للجميع وذلك بقوله تعالى :

(**يايها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الامر منكم فإن تنازعتم في شيء**

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣ .
(٢) سورة الانفال ، الآية : ٤٦ .

==========

فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) [١] .

أما السنة القولية الداعية الى الاعتصام بحبل الوحدة والوئام بين افراد الامة الاسلامية فكثيرة وان اختلف الاسلوب الداعي الى ذلك بالصورة والشكل الا انه متحد ومتفق في المضمون والمحتوى ــ فتشبيه الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم المجتمع الاسلامي المتعاون المتعاطف بالجسد الواحد الذي اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى ، يعتبر بيانا لما يجب ان يكون عليه المجتمع في ظل تعاليم الاسلام وهذا نوع من الدعوة الى الوحدة والتضامن بطريق غير مباشر .

وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم : من اصبح وامسى لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم يعطي نفس المعنى لانه يفيد ان كل مسلم يفرض فيه ان يهتم بأمور إخوانه المسلمين ويسعى في سبيل تحصيل ما ينفعهم ودفع ما يضرهم وهذا كناية عن التفاعل الذي يتوقع حصوله بين افراد الامة نتيجة اتحادها وتضامنها .

والآيات والروايات الناهية عن حصول ما يؤدي الى تصدع الصف الاسلامي كثيرة منتشرة على صفحات الكتاب الكريم وسنة النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم واوضح مصاديق ذلك الآيات الناهية عن الغيبة والنميمة والسخرية والتنابز بالالقاب والتجسس .

وأوضح مصاديق السنة الناهية عما يسبب الخصام والشرذمة والانقسام الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشهرة وهو قوله :

ولا تحاسدوا ولا تقاطوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٥٩ .

==========

وخلاصة الحديث : ان الامة اذا ارادت ان تحيي ذكرى ولادة الرسول الاعظم بالاحياء العملي الحقيقي الذي يستمر معها ليصل الى كل زمان ومكان ولا يختص بزمان الولادة ومكان اقامة

الاحتفال بمناسبتها ــ أجل اذا ارادت الامة ذلك بالاسلوب الذي يتحقق معه معنى الاحتفال بمعناه اللغوي وهو الاحترام والتكريم ــ فما عليها الا ان تتجاوز الاسلوب التقليدي الموقت ــ الى الاسلوب العملي الدائم وهو لا يحصل الا بدراسة الرسالة الاسلامية بوعي وعمق يمكنها من تحصيل الايمان الصادق الجازم بأصول الدين المعهودة وبأحقية الشريعة المتفرعة عليها ــ من كل النظم المستوردة ــ بالرعاية والتطبيق لانها شرع الله العادل الكامل العالم بما يصلح للإنسان ويصلحه في كل المجالات ومن جميع الجهات مع الاطلاع على الاحكام الفرعية الواقعة محل ابتلائه عمليا ــ بالاجتهاد او التقليد ثم العمل بها وامتثالها بالطريقة المبرئة للذمة .

دعوة الإسلام المسلمين لإعداد القوة التي ترهب الأعداء :

واهم تكليف يتوجه نحو الامة وخصوصا في هذه الايام ــ هو الاعتصام بحبل وحدتها التي تثمر لها قوتها وتحقق لها اهدافها في مختلف المجالات ــ كما تمكنها من الدفاع عنها اذا تعرضت للعدوان السياسي او الاقتصادي او الامني او نحو ذلك ، كما هو الواقع في هذه الايام .

وهذا ما عناه الله سبحانه بإرهاب العدو الناشىء من إعداء القوة ولو في نطاق المستطاع وذلك بقوله تعالى : (**وأعدوا لهم ما استطعتم من**

==========

قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) [١] .

أجل : بتحصيل العلم بالرسالة الاسلامية اصولها وفروعها ولو بالقدر الواجب تعلمه ــ مع العمل بمقتضاها والسير على ضوء هداها في مختلف المجالات كما اراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأهل بيته عليهم السلام . يتحقق الاحتفال الحقيقي والاحترام الواقعي المستمر والمستوعب لكل تصرفاتنا المتحركة في إطار الرسالة ولكل زمان يتحقق فيه هذا التصرف والامتثال ولكل مكان يبرز فوقه ذلك وعلى ضوء هذا المعنى نظمت المقطوعة التالية .

مقطوعات شعرية تبين أن الاحتفال العملي بالرسالة مستمر وأن الوحدة مصدر القوة :

في كل يوم للرسالة مــولد * يزهو به أمل ويشرق مقــصد

إن الرسالة موقف وعــقيدة * وإطاعة وتـــــمسك وتعـــــبد

والاحتفال بها جهـــاد دائـــم * يحمى به شرع الهـــدى ويؤيد
ليظل للإنسان نهج تـــــقدم * يرقى به نحو الكمال ويـــصعد
وينال في دنياه مجداً شامخاً * وغداً ينال به النعيم ويســـــعد

واشرت الى نوع الاحتفال الحقيقي بمناسبة ميلاد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالمقطوعة التالية وقد مر ذكرها في بعض الخطب السابقة وهي :

إن رمت تكريم النبي محمد * والاحتفال بيوم عيد المولد

---

(١) سورة الانفال ، الآية : ٦٠ .

==========

فاسلك سبيل الصالحات مطبقا * قانونه السامي بـــــدون تـــــردد
إن الرسول هو الرسالة قد أتت * من أجل إصلاح وهـــدي مـــرشد
فإذا أخذت بها ونـــلت عطاءها * بتـــدبر وتـــــــــقيد وتعـــــــبد
أحييت ذكرى المرسلين جميعهم * وبني الإمامة من سلالة أحـــمـــد
فالكل نور واحد متـــــــــألق * يجلو دياجير الضلال المـــــــفسد

كما اشرت الى اهمية الوحدة ودورها الطليعي في قوة الامة وقدرتها على تحقيق اهدافها والدفاع عن وجودها ومصيرها بالمقطوعة التالية :

بالوحدة العصماء يبتسم الغدُ * وننال ما نصبوا اليه وننشـــد
في ظلها الطاقات تحشد كلها * ويقوم صرح بالوفاق مشـــيدُ
الجمع يدرك بالتضامن دائماً * ما يبتغيه وليس ينجح مفـــرد
كلتا اليدين تصفقان لمـــأرب يجنى ولا تستطيع تصفيقا يد

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم أيها الإخوان الأعزاء والأبناء الأحباء أولاً وآخراً ــ ورحمة الله وبركاته.

==========

الخطبة السادسة عشر[١]

فلسفة العبادة في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين والسلام عليكم أيها الاخوان الاعزاء والابناء الاحباء ورحمة الله وبركاته .

وبعد : قال الله سبحانه في محكم كتابه المجيد : (**إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**) [٢] .

حيث ان الله سبحانه خلق الانسان لعبادته وحده لا شريك له من أجل ان يتوصل بها الى ما اراد الله سبحانه ان يصل اليه ويحصل عليه من الكمال والسعادة ، في الدنيا والآخرة .

وكان ذلك متوقفا على الإيمان الصادق الكامل المتمثل بالاعتقاد

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة في مسجد الإمام المهدي (عج) وذلك في ٨ ــ ٥ ــ ١٩٨٧ م الموافق ١٠ ــ ٩ ــ ١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٩٠ ، ١٩١ .

==========

بأصول الدين المعهودة وبما ينبثق منها ويتفرع عليها من الشريعة المنظمة لحركته العبادية بالمعنى العام للعبادة المستوعب لكل تصرفاته الاختيارية المنسجمة مع ارادته تعالى مع العمل

فعلا بموجب احكام هذه الشريعة بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه وبالتخيير في موارد عدم الالزام بأحد الطرفين الفعل او الترك .

أجل : حيث ان الله سبحانه خلق الإنسان للغاية المذكورة وأراد منه تشريعا ان يحققها على الصعيد العملي وإذا اراد الله أمرا هيأ اسبابه او دعا لتوفير اسبابه ــ ومن أبرز اسباب تحصيل الإيمان الراسخ هو التفكر في هذا الكون الفسيح وما يشتمل عليه ويحفل به من عجائب المخلوقات الناطقة بحكمته البالغة والمعبرة عن قدرته الفائقة كما تعبر بلسان نظامها التكويني الحكيم المسير لها على نهج واحد مستمر ومستقر ــ عن وحدانيته تعالى بل وعن كماله المطلق بعد إدراك الإنسان بفطرته السليمة ضرورة اتصافه تعالى بالكمال المطلق ــ أي بجميع الصفات الكمالية ــ وامتناع تجرده منه ومن ابرز الصفات الكمالية التوحيد وهو الاصل الاول من اصول الدين ــ ومنها العدل وهو الاصل الثاني منها :

الأدلة القاطعة لإثبات أصول الدين الخمسة :

ومن الصفات الكمالية الحكمة ومعناها ان المتصف بها لا يصدر منه قولا بلا معنى ولا فعل بلا غاية وهدف وقد خلق الكون وما فيه لخدمة الإنسان كما صرح بذلك في الكثير من آيات كتابه الكريم وخلق الإنسان لعبادته وحده لا شريك له كما هو صريح قوله سبحانه :

(**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) [1] .

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

==========

والمراد بالعبادة التي جعلها الله سبحانه العلة الغائية والسبب الداعي لخلق الجن والإنس ــ الانقياد الكلي والخضوع المطلق بكل عمل اختياري يمارسه الإنسان في هذه الحياة لإرادته سبحانه وهي تختلف من حيث الالزام وعدمه باختلاف الموارد تبعا لاختلاف المصالح والمفاسد الداعية للتشريع ــ ففي المورد الذي يكون الفعل مشتملا على مصلحة ملزمة قوية لا يرضى المولى من المكلف ان يفوتها على نفسه ــ يكون الحكم المجعول هو الوجوب واذا كانت المصلحة ضعيفة لا تقتضي الالزام بالفعل ــ يكون هو الاستحباب وفي المورد الذي يكون الفعل مشتملا على مفسدة قوية لا يرضى المولى من المكلف ان يوقع نفسه فيها ــ يكون الحكم المجعول هو الحرمة واذا كانت المفسدة ضعيفة لا تمنع من الفعل ــ يكون هو الكراهة وفي المورد الذي لا يكون الفعل مشتملا على مصلحة او مفسدة تقتضي ما تقدم من الاحكام ــ بمعنى أنه يكون خاليا

من ذلك كله بحيث لا يترجح فيه الفعل على الترك ولا العكس يكون الحكم هو الإباحة والتخيير بين الامرين .

وحيث ان المكلف لا يدرك بعقله القاصر اصل وجود المصلحة او المفسدة في أفعاله ولا مرتبة كل واحدة منهما من حيث القوة والضعف فلا بد ان ينزل الله سبحانه رسالة تبين ذلك ويبعث رسولا بها يكون افضل واكمل أهل زمانه ومؤيداً بالمعجزة الدالة على صدقه لتتم الحجة على الخلق ويجب عليهم التصديق به وبما أتى به من رسالة وشريعة متضمنة لجميع ما يحتاجونه في حياتهم من النظم والقوانين لتتحقق العبادة المقصودة والغاية المنشودة بتطبيقها والعمل بها .

وبذلك يثبت الاصل الثالث من اصول الدين وهو النبوة وحيث ان الرسالة الإسلامية خالدة وعبادة الله سبحانه بتطبيقها مستمرة ودائمة بدوام

==========

وجود المكلفين على صعيد هذه الحياة وحياة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم محدودة فلا بد للأمة من وجود شخص يكون مثله في الافضلية المطلقة من جميع الجهات ومن جميع المعاصرين مع الاتصاف بالعصمة مثل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتتم الحجة لأن الإمامة امتداد للنبوة فيشترط فيمن يتصدى لحمل مسؤوليتها ان يكون متصفا بها ــ أي بالعصمة كالرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وحيث ان الله سبحانه اعلم حيث يجعل رسالته أولاً للتبليغ كذلك هو اعلم حيث يجعلها ويضعها للحفظ والصون من التغيير ومن هذا المنطلق اقتضت الحكمة الإلهية ان يعين الله لهذا المنصب اي منصب الإمامة ــ اثني عشر إماماً أولهم الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام وآخرهم الإمام المهدي عجل الله فرجه .

وقد استفيد ذلك مضافا الى حكم العقل واستقلاله من بعض الآيات والعديد من الروايات من الأول آية الولاية الواردة في شأن الإمام علي عليه السلام بمناسبة تصدقه بخاتمه حال ركوعه في الصلاة على ذلك الفقير ــ وهي قوله تعالى :

(**إنما وليكم اللهُ ورسولهُ والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**) [١] .

ومن الآيات الواردة في هذا المجال قوله تعالى :

(**يايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الامر منكم**) [٢] .

بقرينة التفسير الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكلمة أولى الأمر ــ بالأئمة الاثني

عشر المعصومين في جواب السؤال الذي قدمه جابر بن عبد الله

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٥ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٥٩ .

==========

الانصاري عن المراد بهذه الكلمة ، ويؤيد ذلك حكم العقل واستقلاله بأن القابل لأن يأتي في المرتبة التالية للرسول في المنزلة والحجية ــ هم أهل بيته المعصومون عليهم السلام والروايات الدالة على ذلك كثيرة اشهرها وأظهرها حديث الغدير وحديثا السفينة والثقلين وهي موجودة في كتب الطرفين وبالغة حد التواتر ــ وللتفصيل محله وموضعه من الكتب المؤلفة حول هذا الموضوع ــ وبذلك يثبت الاصل الرابع من اصول الدين وهو الإمامة .

الإيمان بالمعاد من لوازم الإيمان بالعدل الإلهي :

والاصل الخامس وهو المعاد ــ من لوازم الاصل الثاني اي العدل ــ كما هو واضح لان الله سبحانه هو الحاكم العادل وفي هذه الحياة الدنيا يوجد الظالم والمظلوم والمطيع والعاصي والمحسن والمسيء فلو كان الخلق بعد الموت يعودون الى التراب كما خلقوا منه ولا يعودون للحياة من جديد للحساب الحاسم والجزاء العادل لينال كل مكلف ما يستحقه على عمله من الثواب إن كان خيرا كما وعد سبحانه والعقاب إن كان شراً كما أوعد وكلاهما مصرح به في قوله تعالى : (**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يرهُ * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يرهَ**) [١] .

أجل : لولا الإيمان بالمعاد للزم من ذلك ما هو مخالف لعدله تعالى حيث يستوي الجميع في النهاية والبداية بدون فرق بين مكلف وآخر كما ان ذلك مناقض لقوله تعالى :

---

(١) سورة الزلزلة ، الآيتان : ٧ ــ ٨ .

==========

(**أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستون**) [١] .

وقوله تعالى : (**ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه**

الابصار) [٢] .

مع الاخذ بعين الاعتبار الاعتقاد الجازم بأن القرآن الكريم هو وحي الله سبحانه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ــ ولذلك يكون كل ما ورد فيه من أمور الرسالة ، حقا لا شك فيه ومن أبرزها أمور العقيدة الحقة المتمثلة بأصول الدين الخمسة التي مر بيانها .

بيان المراد بالعبادة العامة ودور العبادة الخاصة في ترسيخ العقيدة :

وبالإيمان بهذه الاصول يتحقق العنصر الاول والاساس الوطيد في بناء صرح الرسالة الاسلامية والعنصر الثاني متفرع عليه ويعبر عنه بالشريعة وهي عبارة عن مجموعة النظم والقوانين التي تنظم علاقة الإنسان بربه وعلاقته بأخيه المسلم وعلاقته بأخيه الإنسان وعلاقته بالكون والحياة .

والعبادة يراد بها في المنظور الاسلامي معنيان احدهما عام ويراد به الخضوع المطلق لإرادة الله سبحانه بكل عمل اختياري يمارسه المكلف بإرادته على صعيد هذه الحياة وبهذا المعنى اعتبرت العلة الغائية والسبب الداعي لخلق الله سبحانه الإنسان حيث قال :

(**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) [٣] .

---

(١) سورة السجدة ، الآية : ١٨ .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ٤٢ .

(٣) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

==========

والثاني : هو العبادة بمعناها الخاص وهي تطلق في مقابل المعاملات في الشريعة ويراد بها كل عمل يشترط في صحته قصد القربة لله سبحانه كالصوم والصلاة والحج والزكاة والخمس ونحوها مما اشترط في صحته ذلك ويلحق بالصلاة بعض مقدماتها كالطهارات الثلاث المعهودة وهي الغسل والوضوء والتيمم حيث يشترط في صحتها قصد التقرب بها لله تعالى كالصلاة نفسها .

ودور العبادة بهذا المعنى هو ترسيخ العقيدة وتقوية الإيمان في قلب المتعبد لله بها وبقدر ما يقوى الإيمان في نفس المكلف يقوى التزامه بخط الشريعة وتطبيق احكامها مهما كان صعبا وشاقا ــ والسر في ذلك هو كون العبادة بمعناها الخاص اتصالا بالله سبحانه وتقربا منه فهي بذلك تشبه الزيارة التي تتكرر من صديق لآخر حتى تعمق علاقة الصداقة بينهما ليصبحا دائما وأبداً على

حالة صلة وتواصل حميم ونتيجة ذلك هي ان تبقى حركة كل واحد منهما في إطار الوفاء والاخلاص للآخر في كل التصرفات التي تصدر منه كما هو مقتضى المودة الثابتة والصداقة الراسخة ــ وهكذا اذا تعمقت علاقة الايمان في نفس المؤمن نتيجة استمراره على الاتصال بالله سبحانه فكريا وروحيا ونفسيا عبر تلك العبادات المعهودة وخصوصا الصلاة منها فإنه يبقى على صلة به وصلاة له بكل تصرفاته الاختيارية وهذا هو روح العبادة بمعناها العام .

دور العبادة الخاصة في ترسيخ العقيدة :

ويستفاد من مجموع ما تقدم ان دور العبادة بمعناها الخاص هو تقوية العلاقة الايمانية بالله سبحانه وهي تقتضي بطبعها رسوخ صفة

==========

العبودية في نفس العبد المؤمن ليبقى دائما وأبداً متحركا في فلك عبادته لله سبحانه بفعله ما أمر به وتركه ما نهى عنه ــ وبذلك يتضح ان العبادة بمعناها الخاص لها دوران ويترتب عليها أثران الاول ذاتي بلحاظ ما يترتب عليها في نفسها من المنافع والفوائد المعنوية والمادية ــ كالمنافع المترتبة على كل واحدة من فريضة الصلاة والصوم والحج والزكاة وهي مذكورة في محلها من الابحاث المحررة لبيان فلسفة العبادة في الاسلام بصورة عامة مع بيان الفوائد الخاصة المترتبة على كل واحدة منها بالخصوص وهي كثيرة ولعلي اتوفق لبيان ذلك مفصلا في دراسة خاصة اتناول بها كل واحدة من العبادات المذكورة وأبين ما يترتب عليها من الفوائد الهامة والعامة ــ والله ولي التوفيق .

فلسفة العبادة العامة ودور الخاصة في ترسيخ العقيدة :

الأثر الثاني : للعبادة بمعناها الخاص هو ما أشرت اليه من مساهمتها مساهمة فعالة في ترسيخ العقيدة وتقوية الايمان بالله سبحانه وهذا يؤثر وبطريق غير مباشر على تحقق العبادة بمعناها العام لان قوة الارتباط بالذات الإلهية المقدسة عبر العلاقة الإيمانية الوثيقة ــ تقتضي بطبيعتها استمرارية الاتصال بها وعدم الانفصال عنها باطنيا وظاهريا في اية حركة تصدر من الإنسان المؤمن المكلف على صعيد هذه الحياة ولا يراد بالعبادة العامة سوى ذلك فهي تمثل الجاذبية التكوينية التي تربط المجموعة الشمسية وتجذبها الى الشمس لتبقى منشدة اليها ومرتبطة بها ومتحركة في فلكها من دون ان تتجاوزه الى خارجه ولو قدر حصول ذلك لحصلت كارثة

كونية تنذر وتهدد الكون بالفناء .

وهكذا أراد الله سبحانه للإنسان المكلف ان يبقى منشدا الى الذات

==========

الإلهية بسلك الإيمان ومتحركا في إطار الإرادة السماوية وفلك الشريعة المحمدية ليظل بهذا الارتباط وذلك التحرك المنظم محصورا في محور مصلحته وسعادته وبعيدا عما يؤدي به الى مضرته ومفسدته من التصرفات الخارجة عن نطاق المنهج السماوي .

وقد تحصل من مجموع ما تقدم ان العبادة بكلا معنييها العام والخاص تمثل الحركة الاختيارية للبشرية الحكيمة في إطار الإرادة الإلهية الرحيمة التي لم تضع الشريعة الا لتكون المحور الذي تدور حوله وتتحرك في فلكه تصرفات الإنسان لتنتهي به الى ما اراد الله سبحانه وصوله اليه وحصوله عليه من الخير والكمال والسعادة والفضيلة في الدنيا والآخرة وقد اشار الله سبحانه الى ذلك بقوله :

(**من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون**) [١] .

لا سعادة ولا سلام الا في ظل الاسلام :

ولم تصب البشرية بما أصيبت به في كل ادوار التاريخ من التفسخ الاجتماعي والانيهار الخلقي والتأخر الاقتصادي والتدهور الامني وغير ذلك من المآسي والنوائب الا بسبب بعدها عن منهج السماء لانه وحده سبيل السعادة والسلام فمن سلكه وصل اليهما ومن تركه وقع في ضدهما وضد السعادة الشقاء وضد السلام الحرب .

وبذلك يعرف السر في انتشار هذين الوباءين في العالم واذا ظهر السبب بطل العجب .

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٩٧ .

==========

قال الله سبحانه : (**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض**

ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) [1] .

وقال تعالى : (**ظهر الفسادُ في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)** [2] .

وحيث شاءت الحكمة الإلهية ان لايغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فعلى البشرية عامة والأمة الإسلامية خاصة أن تغير ما هي عليه فعلا من العقيدة الفاسدة الى العقيدة الصحيحة وتكملها بالاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة وذلك يقتضي بطبعه بمقتضى التقاء الارادة الإلهية التشريعية مع إرادته التكوينية ان يتحول المجتمع مما هو عليه من الشر والبؤس والشقاء بمعناه العام ــ الى الخير والسعادة والفضيلة ــ وفي التجربة الرائدة الناجحة التي مرت بها الامة في التاريخ يوم رجعت الى منهج السماء وطبقته بالايمان الصادق والعمل الصالح ــ اصدق شاهد على واقعية هذه الحقيقة الايمانية القرآنية التي اشار الله سبحانه اليها بقوله :

(**له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا اراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال)** [3] .

والى ذلك اشرت بمقطوعة شعرية مخاطبا الإنسان الجاهلي ومبينا ما كان عليه قبل الاسلام وما تحول اليه بعده من التقدم والازدهار في

---

(١) سورة الاعراف ، الآية : ٩٦ .

(٢) سورة الروم ، الآية : ٤١ .

(٣) سورة الرعد ، الآية : ١١ .

==========

مختلف المجالات والميادين .

دور الإسلام في سعادة البشرية وتقدمها :

وكذا بقيت تعيش جهلاً مردياً * حتى أتاك بنهجه القرانُ

فطرحت شركاً واعتنقت شريعةً * سمحاء أبدع خطها الرحمنُ

فإذا الجزيرة روضة فواحة * بالخير ينشر عطره الإحسانُ

وإذا النفوسُ تشوق وتطلع * للحق ينشر نوره الإيمانُ

والفضل للاتقى وإن لم يــعــلــه * نسب رفيعُ الشأن أو التيجانُ

تبت يدا عم النبي وقــد غـــــدا * من آل بيت محمد سلمـــــانُ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم جميعا اولا وآخرا ورحمة الله .

==========

الخطبة السابعة عشر [١]

دور الصلاة في خشوع القلب
حالها واستقامة السلوك بعدها

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين .

والسلام عليكم أيها الإخوان الأعزاء والأبناء الأحباء ورحمة الله وبركاته وبعد :

قال الله سبحانه في محكم كتابه المجيد :

(**قد يفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون**) [٢] .

لقد بين الله سبحانه بهذه الآيات البينات ان الإنسان الذي افلح

---

(١) ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة في مسجد الإمام المهدي (عج) في ١٧ ــ ١ ــ ١٤١٣ هـ الموافق ١٧ ــ ٧ ــ ١٩٩٢ م .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

==========

وينجح في هذه الحياة الدنيا وبعدها في الآخرة هو الشخص الذي تتوفر فيه الاوصاف المذكورة

في صدر هذه السورة المباركة وهي سورة ــ المؤمنون ــ وهي كثيرة لا يتسع المجال للحديث حول كل واحد منها ولذلك اقتصرت على ذكر ثلاثة منها لتكون موضع حديث اليوم ــ وقبل الشروع بالحديث حولها أحببت ان امهد لذلك بمقدمة مختصرة وهي ان الإيمان في حقل النفس والقلب كالشجرة المغروسة في حقل الحياة فكما ان هذه الشجرة اذا كانت عميقة الجذور وثابتة في اعماق تربة الحقل اكثر تكون فروعها ممتدة الى الفضاء اكثر وبذلك يكون ثمرها اوفر واطيب كما اشار الله سبحانه الى هذا المعنى بقوله :

(ألم تر كيف ضرب اللهُ مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السمآء * تُوتي أُكلها كل حين بإذن ربها ويضربُ اللهُ الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) [1] .

دور الصلاة الخاشعة في تزكية النفس والإعراض عما يضرها :

هكذا الإيمان الصادق الراسخ الثابت في أعماق تربة النفس ــ يمتد بفروعه الى سماء العلاء ويعطي الكثير والطيب من ثمر الخير والسعادة في الدنيا والآخرة ويأتي الخشوع لله في الصلاة ليكون ثمرة يانعة من ثمرات الشجرة الإيمانية حيث تتمثل عظمة الله سبحانه في عقل المؤمن حال صلاته له واتصاله به ، بصورة تفصيلية تسيطر على مشاعره وتجعله في حالة خشوع نفسي وخضوع جسمي امام عظمته وجلاله .

وبقدر ما يقرب المؤمن من الحق ويرتبط به بعلاقة الإيمان الوثيقة

---

(١) سورة إبراهيم ، الآيتان : ٢٤ ــ ٢٥ .

==========

ــ يكون بعيدا عن اللغو بكل أقسامه ولذلك رتب الله سبحانه الإعراض عنه على الخشوع لله سبحانه حال الصلاة وخارج نطاقها الشكلي ــ والاعراض يحمل في طيه مفهوما سلبيا وهو اعمق في سلبيته من مجرد الترك للباطل وذلك لان الترك الخارجي قد يجتمع من الميل النفسي للأمر المتروك وهذا بخلاف الإعراض المتضمن للعزوف والزهد الباطني مضافا الى الترك الخارجي .

والإعراض عن اللغو وهو الثمرة الثانية من ثمرات الإيمان التي ذكرها سبحانه في هذه السورة أي ــ سورة المؤمنون ــ جاء في السياق القرآني الحكيم ــ نتيجة للخشوع لله سبحانه حال الصلاة ومقدمة تمهيدية للثمرة الثالثة وهي فعل الزكاة وتطهير المال والنفس بإخراجها ــ باعتبار ان معناه السلبي يمثل التخلية للنفس مما يضرها مقدمة لتزكيتها وتحليتها بما ينفعها

ويرفعها من الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة تمشيا مع القاعدة الاخلاقية التي تقول التخلية ثم التحلية .

والمراد باللغو الباطل بكل انواعه وهو كل ما لافائدة منه في الآخرة ــ ومن اوضح مصاديقه بهذا الاعتبار ــ العمل الحرام لانه يضاف الى عدم نفعه هناك ــ تسبيبه للضرر الكبير ويأتي المكروه في الدرجة التالية بلحاظ عدم نفعه يوم القيامة وان كان لا يسبب الضرر الاخروي في نفسه وبعنوانه الاولي ولكن المؤمن الواعي قوي الايمان يحرص على ان لا يصدر منه الا ما يكون مقربا من الله سبحانه وثمنا لجنة الخلود والسعادة الحقيقية الابدية ــ ولذلك نقل عن بعض العظماء انه لم يترك مستحبا ولم يفعل مكروها علما منه بأن المؤمن بقدر ما يتقرب من الله سبحانه بالتقوى يقرب الله منه بالتوفيق والنجاح في كل المجالات ولذلك ورد في الحديث القدسي ما مضمونه : لا يزال عبدي يتقرب اليَّ بالنوافل

==========

حتى اكون عينه التي يصبر بها ويده التي يعمل بها .

ويمكن استفادة ذلك من قوله تعالى :

(**ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيثُ لايحتسب**) [١] .

وبعد الاشارة الى كل واحدة من الثمرتين .

الأولى : وهي الخشوع في الصلاة .

والثانية : المترتبة عليها وهي الإعراض عن اللغو .

يأتي دور الحديث حول الثمرة .

الثالثة : وهي فعل الزكاة المطهر للمال من حق الغير وللنفس من دنس الشح والحرص ليتحقق بذلك الفلاح الذي يتوصل اليه المؤمنون ببركة اتصافهم بالاوصاف الستة التي ذكرها الله سبحانه في مقام مدحه لعباده المؤمنين وقد صرح سبحانه بإيصال السلامة من مرض الشح الى الفلاح والنجاح بقوله تعالى :

(**ومن يُوق شح نفسه فأُولئك هم المفلحون**) [٢] .

فأقول : إن كلمة الزكاة وإن كان الظاهر منها هو المقدار المعين من المال الذي يجب على المكلف ان يخرجه من ماله في زكاة المال او عن نفسه ومن ينفق عليه وجوبا او استحبابا في زكاة الفطرة ولكن يمكن تعميمها بلحاظ سياق الآية وجوهر الغاية المقصودة من إيجاب الزكاة المادية الى كل ما يبذله الإنسان المؤمن في سبيل خدمة أخيه الإنسان كالعلم الذي يبذله العالم في

سبيل تعليم الجاهلين ، وإرشاد الضالين

---

(١) سورة الطلاق ، الآيتان : ٢ ، ٣ .
(٢) سورة الحشر ، الآية : ٩ .

==========

والاصلاح بين المتخاصمين ونحو ذلك ــ وكالجاه الذي يستخدمه صاحبه في سبيل جلب الخير للآخرين ودفع الضرر عنهم ، وكالصحة والقوة الجسمية التي يستخدمها صاحبها في سبيل تأدية الواجبات البدنية كالصوم والحج والجهاد في سبيل الله من أجل تحرير الارض واستعادة العزة والحرية والاستقلال ونحو ذلك .

ويستفاد التعميم المذكور لمعنى كلمة الزكاة ليشمل كل ما ينفق في سبيل مرضاة الله سبحانه ونفع الامة والرسالة مما ورد في اول سورة البقرة في مقام وصف المتقين ومدحهم بأنهم يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ــ حيث عمم الانفاق لكل نعمة ورزق يمن به الله عليهم ويبقى للزكاة المالية وهي الفرد الاظهر والاكمل دورها الطليعي في حل اصعب مشكلة وقضاء اهم حاجة وهي مشكلة الفقر التي تنشأ منها وتترتب عليها مضاعفات سلبية وخطيرة كانتشار الامية والامراض الجسمية والنفسية وفقد الامن والاستقرار ــ وذلك لان العامل الاقتصادي يلعب دوره في كل المجالات الحياتية فهو الذي يوفر للجاهل ان يتعلم ويتابع دراسته ليصل الى درجة محترمة من العلم ينال بواسطتها شهادة محترمة تؤهله لان يقوم بوظيفة مقدرة تعود عليه براتب يغطي حاجاته الضرورية له ولمن يتعلق به ويعيش بذلك عزيزا محترما ــ والمال هو الذي يستطيع ان يجعل منه الشخص رأس مال يتاجر به لينال ربحا مناسبا يوفر له حاجاته ومطالبه الحياتية بعزة وكرامة .

وباختصار المال هو المادة تساعد صاحبها على تحصيل اي هدف في الحياة كما تكون الوسيلة الواقية من الكثير من الاضرار والاخطار وخصوصا اذ كان صاحبه مؤمنا بالله لا يصرفه ولا يتصرف به

==========

إلا في سبيل مرضاته سبحانه ، ولذلك عبر عن المال بالخير في قوله تعالى :

(**كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموتُ إن ترك خيراً الوصيةُ للوالدين والأقربين**) [١] .

وقوله تعالى : (**وإنه لحب الخير لشديد**) [٢] .

دور العامل الاقتصادي في تحرر وعزة الفرد والمجتمع :

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله : « نعم المال الصالح للرجل الصالح ، وقد اشار الشاعر الى دور المال والاكتفاء الذاتي في المجال المادي في حفظ هيبة صاحبه ومساعدته على تحقيق اهدافه الحياتية بعزة وقوة وذلك بقوله :

إن الدراهم في المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجلالا

فهي اللسان لمن أراد تكلـــما * وهي السنانُ لمن أراد قتالا

وحيث ان الإسلام دين العزة والكرامة والقوة والمنعة فقد اراد للناس اجمعين وخصوصا المسلمين ــ ان يكونوا اقوياء اغنياء أعزاء ولذلك حث على كل ما يعود عليهم بالقوة والثروة والعزة وحيث ان العامل الاقتصادي والاكتفاء الذاتي للفرد والمجتمع يساهم مساهمة فعالة في صنع القوة الذاتية ويصون العزة النفسية ويمكن صاحبه من التحرر الثقافي والسياسي والاقتصادي فقد حث الاسلام على الكسب المادي بكل وسائله المشروعة واعتبره من أفضل العبادات التي تقرب من الله

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٠ .

(٢) سورة العاديات ، الآية : ٨ .

==========

زلفى كما اعتبر العامل افضل من العابد الذي يتفرغ للعبادة المستحبة كالصلاة والصوم وذلك لان العامل ينفع بعمله وهو نوع من العبادة ، نفسه وغيره ــ بينما لا ينفع العابد سوى نفسه وقيمة كل عمل في الميزان الاخروي بقدر ما يترتب عليه من النفع المشروع للآخرين لذلك ورد الحديث المشهور لبيان هذا المعنى ومضمونه : الخلق عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله ، والآيات والروايات الواردة في هذا المجال عديدة ، من الاولى قوله تعالى :

(**هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فأمشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**) [١] .

وقوله تعالى :

(**وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**) [٢] .

ومن الروايات ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله :

« ليس منا من ترك آخرته لدنياه ولا من ترك دنياه لآخرته » وما روي عن الإمامين علي وولده الحسن عليهم السلام من قولهما : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .

كل ذلك من أجل ان يعيش المجتمع المسلم بعزة وقوة وحرية واستقلال لا يخضع إلا لله سبحانه ولا يذل بين يدي الله تعالى باعتبار ان القوة الاقتصادية والاكتفاء الذاتي يجعل الإنسان فردا ومجتمعا ــ يعيش مع الآخرين على اساس الاستقلال والطرف المقابل الذي يتعامل مع غيره

---

(١) سورة الملك ، الآية : ١٥ .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٧٧ .

==========

على اساس التكامل والتعاون على تحقيق المصلحة المشتركة لا على اساس الاحتياج والتبعية المنافية لكرامة الاسلام وعزة الإيمان وحرية الإنسان التي أرادها الله له عندما أمره بعبادته وحده لا شريك له ــ لانه سبحانه لم يرد بذلك الا تحرير عبده المؤمن من كل انواع العبودية والخضوع لغيره لذلك فرض عليه ان يكرر في صلاته اكثر من مرة في كل يوم قوله تعالى : (**إياك نعبد وإياك نستعينُ**) [١] .

لان تقديم الكاف المفعول على فعله ــ يفيد حصر العبادة بالله وقصر الاستعانة عليه تعالى .

ومن المعلوم ان المجتمع الاسلامي لا يكون بمجموعه عزيزا ومكتفيا الا اذا كان كل افراده كذلك كما اراد الله له ان يكون .

لذلك وصفه الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم وشبهه بالجسد الواحد الذي اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وتداعي سائر الاعضاء كناية عن تأثرهم نفسيا بالحالة الطارئة على احد اعضاء هذا الجسد وهذا بطبيعته يقتضي ان تتحرك الاعضاء المتداعية المتفاعلة ــ في سبيل إزالة تلك الحالة الطارئة عن ذلك العضو ليسلم منها ويسلم الباقي من الاعضاء مما حصل له نتيجة التفاعل والانفعال بتلك الحالة .

دعوة الإسلام الى البذل والتكافل الاجتماعي :

وبذلك تدرك فلسفة تشريع الفرائض المالية كالزكاة والخمس والكفارات ورد المظالم ونحوها

مضافاً الى الحث المؤكد على التصدق وكفالة الايتام مع الحث على البذل والعطاء والكرم والسخاء بصورة

---

(١) سورة الفاتحة ، الآية : ٥ .

==========

عامة وقد تقدم الحديث عن ذلك في الخطبة الرابعة عشرة بصورة مفصلة .

ويأتي في هذا السياق الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس منا من بات شبعان وجاره جائع » ، لقد كان للقيام بهذه الفريضة المالية مع الصدقة المستحبة ــ دور طليعي بارز في إشاعة الغنى والاكتفاء الذاتي بين افراد المجتمع الاسلامي كما حصل في التاريخ الذي يحدثنا عن مضمون رسالة قدمها احد ولاة بعض الخلفاء يقوله له فيها : لقد أغنت الزكاة القطر الذي أنا فيه ولم يبق فيه أحد محتاج لها فماذا اصنع بها .

أجل : هذا ما صنعه التكافل الاسلامي والتضامن الاجتماعي في الاسلام سابقا ــ وما امس حاجتنا لان نعود اليه في عصرنا الحاضر ليعود لنا استقلالنا وترجع قوتنا التي تمكننا من التحرر وتقرير المصير بعزة وكرامة واكتفاء بثرواتنا الطبيعية التي اودعها الله سبحانه في بلادنا وطلب منا ان نعتمد على أنفسنا ونتعاون على البر والتقوى باستثمار طاقتنا التي نحصل بها الاستغناء عن الآخرين ويصبحوا محتاجين لنا بدل ان نبقى محتاجين لهم ومأسورين بهذا الاحتياج لإرادتهم ــ كما قال الإمام علي عليه السلام : « احتج الى من شئت تكن أسيره » .

لاتحرر ولاعزة وقوة للأمة الا بالعودة الى الرسالة :

وهذا الاسر هو الذي دفع بحكامنا لان يوافقوا على مصالحة اسرائيل وتوقيع وثيقة السلم معها والبعض منهم سارع الى ذلك ومهد السبيل لغيره وسوف تبقى الامة على هذا الاسر وذلك الضعف وتلك الحاجة والتبعية ما دامت بعيدة عن مصدر تحررها وقوتها واستقلالها وهو الاسلام الذي جعل منها في التاريخ خير امة أخرجت للناس بعد ان

==========

كانت على ما كانت عليه ــ واليوم حيث تركت رسالة السماء وطبقت قوانين الارض عادت الى سابق عهدها الذي كانت عليه كما قال الشاعر :

والناس عادت إليهم جاهليتهم * كأن من شرع الإسلام قد أفكا

ولذلك نقدم لهم النصيحة بلسان الاخلاص والحرص على مصحلتهم وعزتهم بأن يعودوا الى الله سبحانه الرحمن الرحيم ، وشرعه القويم ، وصراطه المستقيم ، الذي يوصلهم الى القوة بعد الضعف والاكتفاء بعد الفقر والعزة بعد الذل والتحرر بعد الاحتلال والاستقلال والوحدة بعد الشرذمة والفرقة ــ وبذلك تعود وتصبح من جديد ــ خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف بعد فعله وتنهى عن المنكر بعد تركه وصدق الله سبحانه حيث قال :

(**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم جميعا اولاً وآخراً ورحمة الله وبركاته .

==========

الخطبة الثامنة عشر [١]

دروس تربوية من سيرة السجاد عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين .

والسلام عليكم أيها الإخوان الأعزاء والأبناء الأحباء ورحمة الله وبركاته وبعد :

لقد ذكرت في حديث سابق كان من وحي شهادة الامام زين العابدين عليه السلام ان السبب في تلقيبه بهذا اللقب (السجاد) هو كثرة سجوده لانه ما ذكر نعمة من نعم الله تعالى الا وسجد وما تلا آية فيها سجود الا وسجد وما دفع الله عنه ضررا او كيد ظالم الا وسجد وما توفق للإصلاح بين متخاصمين الا وسجد وهكذا .

واحب ان اقف امام كل واحدة من هذه الامور والحوادث التي

(١) ألقيت هذه الخطبة في مسجد الإمام المهدي (عج) يوم الجمعة في ٣١ ــ ٧ ــ ١٩٩٢ م .

==========

كانت تدفع الامام عليه السلام للسجود من اجل ان نستوحي منها العظة والدرس التربوي الذي يعمق ايماننا ويسدد خطانا على درب التقوى والعمل الصالح .

درس تربوي من سجود السجاد عليه السلام عند تذكره لنعمة من نعم الله تعالى :

الأمر الأول : الذي كان يدعو الامام للسجود هو تذكره لنعمة من نعم الله التي تفضل بها عليه وأحسن اليه .

والوجه في ذلك هو علم الامام عليه السلام بأن أية نعمة من النعم التي تحصل للإنسان يكون مصدرها الواقعي وسببها الحقيقي هو الله سبحانه وان كل الاسباب التي يوفرها الإنسان ليتوصل بها الى نيل محبوب او دفع مكروه ــ مجرد وسائل وادوات خاضعة في تأثيرها وايصالها للهدف المطلوب ــ لإرادة الله سبحانه لأنه سبب الاسباب ورب الارباب فإن شاء للسبب ان ينجح ترتب عليه أثره وإذا لم يشأ ذلك بطل دوره ولم يترتب أثره وكان بحكم العدم وقد نقل لنا القرآن الكريم حديثا عن لسان النبي شعيب يشير الى هذا المعنى وهو قوله عليه السلام :

(وما أُريد أن أُخالفكم الى ما أنهاكم عنه إن أُريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) [١] .

وقوله تعالى : **(وما بكم من نعمة فمن الله)** [٢] .

نص على هذه الحقيقة الإيمانية والإمام عليه السلام كان يعبر عن شكره لله على هذه النعمة بالسجود الذي كان يمثله بوضع جبهته الشريفة على

(١) سورة هود ، الآية : ٨٨ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٥٣ .

==========

ما يصح السجود عليه ويسمى ذلك سجود الشكر ويمكن تقسيم شكر النعمة الى قسمين .

الاول : الشكر العملي الواقعي .

والثاني : هو الشكر الظاهري الذي يتمثل بكلمة الشكر او السجود لله شكرا .

والظاهري بكلا قسميه القولي والعملي المقصور على سجود الشكر وان كان وجوده افضل من العدم لكنه ناقص بالنسبة الى الشكر العملي الكامل وذلك لان مجرد ان تنطق بكلمة الشكر لله على النعمة او تسجد لله شكرا عليها ــ لا يحقق ذلك الهدف المطلوب من الشكر لله تعالى لان الله عندما تفضل عليك بنعمة فقد بذل لك وقدم إحسانا عمليا ومن المعلوم ان الشكر على النعمة العملية لا يتم الا بالشكر العملي وذلك بأن تصرف نعمة الله في سبيل مرضاته اما على نفسك او على غيرك وجوبا او استحبابا ــ وهذا النوع من الشكر هو الذي يريده الله منا ــ وشكر كل نعمة يكون بحسبها فشكر نعمة العلم يكون بصرفه في سبيل تعليم الجاهلين وإرشاد الضالين والدعوة الى سلوك درب الحق في العقيدة الصحيحة وبتطبيق ما يتفرع عليها من النظم والقوانين وهكذا .

وشكر نعمة الجاه يكون باستخدامه في تحصيل المنفعة للآخرين ودفع الضرر عنهم ونحو ذلك من الخدمات الاجتماعية وشكر نعمة المال يكون بصرفه في المصارف الراجحة المطلوبة لله تعالى وجوبا او استحبابا .

والى الشكر العملي بأنواعه كلها أشار الله سبحانه في أول سورة البقرة في مقام وصف المتقين ومدحهم بقوله تعالى :

==========

(**الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**)[١] .

من فوائد الشكر العملي لنعمة الله زيادتها :

ولهذا الشكر العملي فوائد معجلة عديدة منها زيادة النعمة لقوله تعالى : (**لئن شكرتم لأزيدنكم**) [٢] .

وقوله تعالى : (**من جاء بالحسنة فلهُ عشرُ أمثالها**) [٣] .

ويدخل في زيادة النعمة دوامها كما يدخل فيها ايضا وضع البركة فيها ليغني قليلها عن كثيرها بعناية الله سبحانه وتوفيقه ومن فوائد الشكر العملي حصول المحبة والتقدير للشخص الشاكر للنعمة من قبل الشخص او الجماعة التي كان شكر الله عمليا حاصلا بصرف النعمة في سبيل مصلحتهم ــ وتترجم المحبة للشخص وتقديره بالقيام بما ينفعه وبدفع المكروه عنه ــ غالبا انطلاقا من قوله تعالى :

(**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**) [٤] .

والى ذلك اشار الشاعر بقوله :

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم * فطالما استعبد الإنسان إحسانُ

والإحسان الى الآخرين بالكلمة الطيبة والقول الحسن لا يقل تأثيرا وفاعلية عن الإحسان بالعمل والصنع الجميل واليه اشار الشاعر بقوله :

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣ .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ٧ .

(٣) سورة الانعام ، الآية : ١٦٠ .

(٤) سورة الرحمن ، الآية : ٦٠ .

==========

عجبت لمن يشري العبيد بماله * ولا يشتري حراً بلين مقاله

وأما الفائدة المؤجلة وهي الاهم والاعظم ــ فهي ما وعد الله به المؤمنين الصالحين العاملين من جنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين ، وحيث ان هذه الفائدة هي الحقيقية الخالدة فالمؤمن الواعي يحرص كل الحرص ويبذل اقصى ما لديه من جهد في سبيل حصولها حتى وان لم تحصل له أية فائدة معجلة في هذه الحياة .

قال سبحانه : (**والآخرة خير وابقى**) [١] .

وقال تعالى : (**ما عندكم ينفد وما عند الله باق**) [٢] .

درس تربوي من سجود السجاد عليه السلام عند تلاوته آية مشتملة على السجود :

ومن جملة الاسباب التي كانت تدعو الامام زين العابدين عليه السلام للسجود هو تلاوته آية مشتملة على كلمة السجود .

ويمكن تقسيم السجود ــ كما قسمنا الشكر ــ الى قسمين :

الاول : السجود العملي الحقيقي .

والثاني : السجود العملي الظاهري وهو الذي يتمثل بوضع الجبهة على ما يصح السجود عليه غالبا .

واما العملي الحقيقي فهو الذي يتحقق بملاحظة المعنى المراد من كلمة السجود وهو الخضوع

لله سبحانه الذي يكون السجود له ــ وهذا

---

(١) سورة الأعلى ، الآية : ١٧ .
(٢) سورة النحل ، الآية : ٩٦ .

==========

لا يتحقق بمجرد السجود والخضوع الجسمي وإنما يتحقق في مرتبة سابقة على ذلك بالخضوع الفكري والقلبي لارادة الله سبحانه .

فالانسان عندما يتفكر في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار من اجل ان يتوصل بتفكره في الايات الكونية المنتشرة في صفحات هذا الكون وهو الكتاب التكويني الفسيح مع تدبره في آيات الكتاب التشريعي الفصيح من اجل ان يتوصل بهذا التفكر والتدبر الى الايمان الجازم بوجود الخالق ووحدانيته وعدله وضرورة ارساله الانبياء وتعيينه الاوصياء وحشره للناس غدا يوم الجزاء ــ فهو بذلك يكون قد سجد لله بعقله وخضع بقلبه لإرادة الله سبحانه حيث اراد منه هذا التفكر ليتوصل به الى تحصيل الايمان بالعقائد الصحيحة المذكورة المعبر عنها بأصول الدين الخمسة وهذا السجود الباطني المتمثل بخضوع العقل بالتفكير والقلب بالايمان والاعتقاد الجازم لا يتم الا بالخضوع العملي الخارجي والقيام بما يوجبه ذلك الايمان على صاحبه من السير على خط التقوى ومنهج العبودية لله سبحانه في كل التصرفات الخارجية التي تصدر منه بإرادته في هذه الحياة وهذا هو روح العبادة بمعناها العام التي خلق الله سبحانه الجن والإنس لأجلها .

درس تربوي من سجوده عليه السلام عند زوال ضرر او دفع كيد ظالم :

ومن جملة الاسباب التي كانت تدعو الإمام للسجود هو دفع ضرر او كيد ظالم عنه وذلك لعلم الامام عليه السلام بأن الله سبحانه هو سبب الاسباب ورب الارباب وانه لا يحصل لإنسان نفع ولا يندفع عنه ضرر او كيد ظالم الا بتوفيقه وتقديره .

وأما الرسائل التي يوفرها الإنسان لنفسه او يوفرها غيره له من أجل

==========

التوصل بها الى دفع مكروه او جلب محبوب ــ فهي ليست الا ادوات جامدة في يد الارادة الإلهية

فلا تجلب للإنسان نفعا ولا تدفع عنه ضررا الا اذا كان الله سبحانه برحمته وحكمته قد قدر لها ان تنجح ويترتب عليها اثرها وبدون ذلك تبقى على جمودها المعنوي ولا تتحرك خطوة واحدة في طريق الهدف المرسوم لمن اوجد هذه الاسباب وقد مرت الاشارة الى ذلك عند التحدث حول احد الاسباب التي كانت تدعو الامام عليه السلام للسجود وهو تذكره للنعمة .

والامام عليه السلام حيث كان معتقدا بهذه الحقيقة الايمانية فهو يبادر الى تقديم الشكر لله سبحانه بعقله متفكرا وبقلبه مؤمنا بأنه مصدر الخير والعطاء والملجأ الذي ينتهي اليه كشف البلاء وكيد الاعداء وكان عليه السلام يتمم هذا الشكر الباطني الداخلي بالشكر العملي وذلك باستخدام تلك الصحة والسلامة التي وفقه الله للظفر بها بدفع الضرر وكيد العدو عنه في سبيل عبادة الله سبحانه ومرضاته ونفع خلقه ودفع المكروه عنهم كما دفع الله عنه باب الحديث القائل : لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ، والحديث الآخر القائل : الخلق عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله .

أهمية الاصلاح بين المتخاصمين في الإسلام :

ومن الاسباب التي كانت تدعوه عليه السلام للسجود هو ان يتوفق للإصلاح بين المتخاصمين .

وذلك لأن إصلاح ذات البين افضل من عامة الصلاة والصيام كما ورد في الحديث والمراد الصلاة والصيام المستحبان وحيث انه من اهم الاعمال القريبة المستحبة وربما يكون واجبا في بعض الموارد بالعنوان

==========

الثانوي فقد ورد الامر به والحث عليه في العديد من آيات الكتاب الكريم وسنة النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم ويدخل فيها ويرجع اليها ما روي عن أهل بيته عليهم السلام في هذا المجال .

من الآيات قوله تعالى :

(**وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين**) [١] .

(**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**) [٢] .

ومن السنة ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : « أفضل الناس عند الله ثوابا انفعهم للناس في الدنيا وان المقربين عند الله يوم القيامة المصلحون بين الناس » .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « الا انبئكم بصدقة يسيره يحبها الله تعالى » .

قالوا بلى يا رسول الله قال :

« إصلاح ذات البين اذا تقاطعوا » .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس بالكاذب من اصلح بين الناس فقال خيرا او نمى خيرا واما الاصلاح بين الناس فشعبة من شعب النبوة » .

وعن الإمام الصادق عليه السلام قوله : صدقة يحبها الله إصلاح بين الناس اذا تفاسدوا وتقارب بينهم اذا تباعدوا .

ولم تكن للإصلاح هذه الاهمية في الاسلام الا بسبب ما يترتب عليه من جلب الخير العميم ودفع الشر الجسيم ــ والاسلام جاء رحمة

---

(١) سورة الانفال ، الآية : ١ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية : ١٠ .

==========

للعالمين ، ولذلك يأمرهم وجوبا او استحبابا بكل ما ينشر المحبة بينهم نظرا لما يترتب عليها من المنافع الكثيرة في مختلف المجالات ونهاهم تحريما او على وجه الكراهة ــ عن كل ما يوجب العداوة والبغضاء بسبب ما يترتب عليها من الاضرار والاخطار المادية والمعنوية الفردية والاجتماعية في الدنيا والآخرة .

وفيما يلي أمثلة ونماذج من الامور التي دعا الإسلام اليها وحث عليها نظرا لما يترتب عليها من الفوائد العظيمة والمنافع الجسيمة في الدنيا والآخرة ــ وبعد ذلك اذكر نماذج من الامور التي نهى الاسلام عنها وحذر منها لما يترتب عليها من الاضرار والاخطار في كلتا الدارين .

دعوة الإسلام الى كل مايوجب التحابب والتعاون :

من جملة ما حث الإسلام عليه ورغب فيه حسن الخلق والتراحم وحسن البشر قال الله سبحانه مادحا نبيه الاعظم بأفضل صفة واكمل خلق : (**وإنك لعلى خلق عظيم**) [1] .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله : أول ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة ــ حسن خلقه ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « الا اخبركم بأشبهكم بي ؟ » قالوا بلى يا رسول الله ، قال « أحسنكم أخلاقا والينكم كنفا وأبركم بقرابته واشدكم حبا لإخوانه في دينه واصبركم على الحق واكظمكم للغيظ واحسنكم عفوا واشدكم من نفسه انصافا في الرضا والغضب » .

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم في التراحم والتعاطف بين افراد المجتمع قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يدخل الجنة الا رحيم » فقال من بحضرته : كلنا رحيم يا

---

(١) سورة القلم ، الآية : ٤ .

>BODY/>

رسول الله فقال : « ليس رحمة احدكم نفسه خاصة ولكن حتى يرحم الناس عامة ولا يرحمهم الا الله » .

وروي عنه ايضا قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا علي اربع من كن فيه بنى الله تعالى له بيتا في الجنة من آوى اليتيم ورحم الضعيف واشفق على والديه ورفق بمملوكه » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ارحم من في الارض يرحمك من في السماء » .

وعن ابي جعفر عليه السلام قال : اتى رسول الله رجل فقال يا رسول الله اوصني فكان مما اوصاه به ان قال له : « إلق اخاك بوجه منبسط » وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله : « ثلاث يصفين ود المرء لاخيه المسلم يلقاه بالبشر اذا لقيه ويوسع له في المجلس اذا جلس اليه ويدعوه بأحب الاسماء اليه » .

وهناك امور اخرى كثيرة حث الإسلام عليها لما ينشأ منها من المحبة والتعاطف والتعاون بين افراد المجتمع ــ وذلك كافشاء السلام والمصافحة والتزاور والسعي في سبيل قضاء الحاجة والصلاة في المسجد واذا كانت جماعة فالثواب اعظم واعظم حيث ورد في ثوابها ما مضمونه : اذا زاد عدد المأمومين على عشرة فلا يحصي ثوابها الا الله تعالى .

كل ذلك نظرا لما يترتب على هذه الامور من الفوائد العظيمة في الدنيا والآخرة .

نهي الإسلام عن كل ما يوجب العداوة والتقاطع :

وفي مقابلها الامور التي تسبب العداوة والبغضاء ــ كالغيبة والنميمة

==========

والسخرية والتجسس والتنابز بالالقاب ونحو ذلك من مسببات الخصومة والعداوة كما ورد النهي عن عدة امور تؤدي بطبعها الى ذلك في عدة روايات واردة عن أهل البيت عليهم السلام من ذلك ما روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث » .

واذا اصيب المجتمع بداء العداء لسبب ما ــ أتى دور الاصلاح ليكون الدواء المساعد على ازالة هذا العارض الخطير الذي يؤدي بطبعه الى الكثير من الاضرار الخطيرة في الدنيا والآخرة لذلك كان للإصلاح فضله واجره الكثير لانه يقوم بدورين عظيمين احدهما ازالة مرض العداوة والشحناء التي تؤدي بطبعها الى الكثير من المضاعفات السلبية .

والثاني : إعادة اللحمة ونشر المحبة والرحمة مكان العداوة والخصومة وقد مر ذكر بعض الايات والروايات المحرضة عليه والمرغبة فيه أظهرها قوله تعالى :

(**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**) [1] .

شروط اساسية لنجاح مهمة الإصلاح :

وكما يشترط في كثير من الاحيان شروط معينة في استعمال الدواء المادي المعهود ليترتب عليه اثره المنشود كذلك يشترط في استعمال دواء الاصلاح شروط اساسية لها اثرها البليغ في تحقق العلاج المطلوب والشفاء المرغوب وهي عديدة ، اهمها صلاح الشخص او الجماعة التي تريد ان تقوم بدور الاصلاح بمعنى استقامتها في طريق الشرع بفعل

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٠ .

==========

المأمور به وترك المنهي عنه وذلك لان معنى الاصلاح بمفهومه اللغوي والعرفي هو اعطاء الصلاح للفرد الفاقد له او الجهة المحتاجة اليه من اجل ازالة الفرقة واعادة اللحمة التي فقدت بسبب النزاع الحاصل ومن المعلوم منطقيا ان الشخص الذي يريد ان يقوم بهذا الدور اي دور الاصلاح ــ لابد ان يكون واجدا لصفة الصلاح في نفسه ــ حتى يتمكن من ايجادها في غيره لان فاقد الشيء لا يعطيه .

ومن شروط الاصلاح التوازن والموضوعية في شخص المصلح لانه اذا كان فاقدا لهذه الصفة ومعروفا بالانتماء لاحد الطرفين المتخاصمين مع الميل له فكريا وعاطفيا فلا يستطيع ان يقوم بدور الحكم المنصف المصلح بعد ان كان طرفا في النزاع وخصما ولو بحسب الظاهر لاحد الطرفين .

ومن شروط الاصلاح اتباع الاسلوب القرآني والتجمل بالادب الاسلامي المتمثل بالدعوة الى التقارب والتحابب بالحكمة والموعظة الحسنة لان ذلك يساهم مساهمة فعالة في تحقيق هدف الصلاح والاصلاح بخلاف الاسلوب القاسي المثير فهو يعقد المشكلة ويعمق الخصومة بدل ان يزيلها .

وما امس حاجتنا لان تشيع روح الصلاح وتنتشر ظاهرة الاصلاح على نطاق واسع بين افراد مجتمعنا وعلى الاخص في هذه الايام التي تعاون فيها اعداؤنا على الإثم والعدوان في مجال إثارة الفتن الداخلية بتحريك النعرات الطائفية والمذهبية والخلافات السياسية من اجل ان يحصل

التصادم ويضعف الجميع بتصادمهم ويقوى العدو بضعفهم ويحقق اهدافه الاستعمارية على حساب اهدافهم انطلاقا من قاعدته الشيطانية القائلة : فرق تسد ، ولذلك يطلب من الجميع ان يكونوا حذرين

==========

من التأثر بكل تلك الوسائل والحبائل الاستعمارية وذلك بالانطواء تحت راية الوحدة الوطنية وتجميد كل انواع الصراع او تناوله من قبل العقلاء الحكماء ــ بالحوار الهادىء الهادف فما يتفقون عليه من المواقف والآراء يتعاونون على تنفيذه وما يبقى محلا للخلاف يجب ان يجمد هذا الخلاف فيه وينطلق الكل تحت راية القواسم المشتركة والثوابت الواضحة من دون ان يفسد ذلك الخلاف للود قضية .

دعوة الإسلام للوحدة ونهيه عن الانقسام والفرقة :

وحيث ان الاسلام دين القوة والعزة والوحدة فقد امر المسلمين بالاعتصام بحبل الوحدة ونهاهم عن الشرذمة والفرقة فقال سبحانه في كتابه المجيد : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا**) [١] .

ونهاهم عن التنازع المؤدي الى الفشل والضعف بقوله تعالى :

(**ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين**) [٢] .

كما امر بكل ما يؤدي الى التآلف والتعاطف والتعاون على تحقيق مرضاة الله سبحانه وخدمة المصلحة العامة ونهى عن كل ما يؤدي الى عكس ذلك وقد مرت الاشارة الى ذلك خلال الحديث .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم أيها الاخوان الاعزاء اولا وآخرا ورحمة الله وبركاته .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣ .

(٢) سورة الانفال ، الآية : ٤٦ .

==========

الخطبة التاسعة عشر[1]

دور الجهاد في حفظ الإسلام وسعادة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين .

والسلام عليكم ايها الاخوان الاعزاء والابناء الاحباء ورحمة الله وبركاته .

وبعد : حيث ان هذه الايام هي ايام الجهاد والشهادة والاستشهاد ناسب ذلك ان اتحدث حول موضوع الجهاد ودوره الطليعي في تشييد الصرح الاسلامي وصونه من الانهيار امام التحديات المتطرفة والتيارات الجارفة عبر التاريخ .

وقبل ان ابين ذلك ينبغي ان ابين اهمية الدين ودوره في بناء شخصية الانسان ومساعدته على نيل سعادته وعزته في دنياه وآخرته ــ لان

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في مسجد الإمام المهدي (عج) يوم الجمعة في ٣ ــ ٤ ــ ١٤١٢ هـ الموافق ١١ ــ ١٠ ــ ١٩٩١ م .

==========

أهمية الجهاد في سبيل الدين انما تكتسب قيمتها من اهمية الدين باعتبار ان الوسيلة تكسب شرفها من الغاية المترتبة عليها فبقدر ما تكون الغاية شريفة وسامية تكون الوسيلة كذلك ــ فأقول :

ان الانسان يولد اول ما يولد حيوانا حاملا في طي كيانه كل الغرائز والطبائع الموجودة في سائر الفصائل الحيوانية كيف لا وهو حيوان ناطق ــ كما ذكر المناطقة في تعريفه وبيان حقيقته وانما يتميز عن غيره من هذه الفصائل بأمرين :

أحدهما مادي ظاهر والآخر معنوي مستتر اما الاول فهو الشكل والصورة واما الثاني فهو الاستعداد وقابلية الترقي من صف الحيوانية الذي يولد فيه الى صف الانسانية الذي يريد الله منه ويوجب عليه ان يترقى له ويصل اليه من خلال دخوله مدرسة الدين التي تمهد له وتساعده على استثمار قابليته البشرية التي اودعها الله فيه ليصقلها وينميها ويرقى بها من صف حيوانيته الادنى الى صف انسانيته الاعلى قياسا على حالة الجهل والامية التي يولد عليها الانسان ويرتقى منها

بعد ذلك ويتجاوزها الى مرحلة العلم والثقافة بسبب دخوله مدرسة العلم والترقي ــ والدين وحده هو المدرسة الوحيدة التي يستطيع الانسان بواسطتها ان يصعد ويترقى من صف حيوانيته الى صف انسانيته .

قيمة الإنسان بالعلم والإيمان :

وذلك لان الإنسان لم يكن له وزن وقيمته التي كرمه الله بها وفضله على الكثير من مخلوقاته واسجد له ملائكته .

أجل : إن الإنسان لم يكن له هذا الوزن والاعتبار لقامته المستطيلة وصورته الجميلة ــ وانما كان له ذلك بأخلاقه الفاضلة واعماله الصالحة

==========

وسلوكه المستقيم ومن المعلوم ان هذا لا يحصل له ولا يصدر منه الا بالالتزام بخط الدين من خلال الايمان الصادق بأصوله الفطرية المعهودة وبما تفرع عليها من القوانين العادلة الشاملة مع العمل بها في إطار العبادة العامة والخضوع لإرادة الله سبحانه بكل التصرفات وفي مختلف المجالات .

واما العلم والثقافة فلا يساهمان في بناء شخصية الانسان والترقي به من صف حيوانيته النازلة الى صف انسانيته الفاضلة الا اذا سارا معا في ركاب الدين فكان الدافع لهما والمحرك لشخص المتعلم في درب الغاية التي خلقه الله من اجلها وهي عبادته وحده لا شريك له ــ في هذا الفرض وحده يكون للعلم اثره الايجابي في بناء كيان الانسان وهو الذي جعله الله فريضة على كل مسلم ومسلمة .

واما اذا تجرد طلب العلم عن هذا الدافع الرسالي ولم ينطلق بصاحبه في خط الغاية السماوية الباعثة لخلقه كما هو شأن الكثيرين ممن يطلبون العلوم العصرية لاهداف مادية جامدة بعيدة عن روح الدين ومثله السامية ــ اما اذا تجرد طلب العلم عن ذلك من حيث الباعث في البداية والهدف والمقصد في النهاية فإن ضرره يكون اكبر واكثر من نفعه ــ إن كان له شيء من النفع ــ حيث يصبح لدى غير المتدين كالسلاح الواقع في يد غير العاقل فهو يسدده الى صدور الاخوان والاصدقاء اكثر من تسديده الى صدور الاعداء .

دور الدين في صنع شخصية الإنسان :

وما حدث في العالم ولا يزال يتكرر من الحروب الطاحنة في اكثر الاقطار ولاتفه الاسباب ــ اصدق شاهد واوضح دليل على واقعية هذه

==========

(٢٠٢)

الحقيقة المرة التي نشأت من تجرد العلم والعرفان عن الدين والايمان الامر الذي ادى الى بقاء الكثيرين في صف حيوانيتهم التي تغذت ونمت في ظل انطلاقهم مع الاهواء المنحرفة ليصبحوا بذلك حيوانات مفترسة بدل ان يترقوا بالدين والايمان الى مستوى انسانيتهم الفاضلة .

وقد اشرت الى دور الدين في بناء شخصية الانسان والترقي به في سماء الفضيلة مع الاشارة الى حصول عكس ذلك بسبب البعد عن رسالة السماء والانطلاق في ميدان الاطماع والاهواء ــ وذلك بمقطوعة شعرية اهديتها في الخمسينات من النجف الاشرف الى بعض الاساتذة القائمين بمهمة التدريس في مدرسة بلدتنا ــ معركة ــ وهي كما يلي :

بعثتك الطاف السماء رسـولا * لتشيد مجـتمعا وتبني جـيلا
فاغرس بـذور الدين في افـكاره * لينال من توجيهه المـأمـولا
الدين مدرسة الهـدى فبـغيره * لا يستطيع الى الصلاح وصولا
والعلم لا يجدي بغير عـقيـدة * كالنور لا يجدي الضرير فتيـلا
كم ذا ترقى الغرب في إبـداعه * صور الفنون وكم تخطى مـيلا
لكنه طرح العقـيدة فاغـتدى * سيفا على رأس الهدى مـسلولا
ان التقدم في العلوم تـأخر * ان لم يهذب انفسـا وعـقولا
لا يبعث الانوار سلـك ثقـافة * ما لم يكن بسنا الهدى موصـولا
فاقرن بدرس العلم درس عقيـدة * عصماء واكشف سرها المجهولا
ليسير جيلك للأمام مهـذبا * بهدى السماء ويحـذر التضـليلا
لا زلت للأجيال خـير مـثقف * تسدي بتهذيب النفوس جـميلا

المقارنة بين وضع الإنسان الجاهلي ووضعه الديني :

أجل : إن الدين هو مدرسة الهدى والفضيلة ومعهد الرقي والسعادة

==========

(٢٠٣)

وتتأكد لدينا هذه الحقيقة اكثر فاكثر اذا القينا نظرة خاطفة على الوضع الجاهلي الذي كان سائدا في العالم بصورة عامة وفي شبه الجزيرة العربية بصورة خاصة وقارنا بين هذا الوضع المأساوي الذي انسلخ به الإنسان عن إنسانيته ولم يبق له منها سوى الشكل والصورة ــ الا من رحمه الله ــ والوضع الجديد المجيد الذي تحول له ووصل اليه ببركة دخوله في مدرسة الإسلام العظيم وبضدها تتميز الاشياء .

ففي الامس القريب كان يعبد الاصنام واليوم تحول إلى عبادة الله الواحد العلام وكان اذا اظلم عليه الليل ركب فرسه وحمل سيفه ورمحه وانطلق بدافع جاهليته الجهلاء العمياء ليغزو القبائل الاخرى ويسلب منها ما يسلب ويرجع مفتخرا بذلك وانه ابن الليل والبطل الشجاع الذي يصارع الرجال ولا يخشى الاهوال ــ واذا لم يجد قبيلة اجنبية ليحقق غرضه الجاهلي منها انعطف على قبيلته وحقق هدف جاهليته .

واليوم اصبح في ظل الدين المجيد ــ يجول على الفقراء بصدقة السر ليلا ليزيد أجره ويكثر ثوابه بعد ان كان في السابق يجول ليلاً ليثير الرعب والخوف ويسلب الراحة والامن والاستقرار وربما الحياة اذا لزم الامر .

وكانت المرأة في نظره سلعة تباع وتشترى في سوق المتاع الرخيص فاقدة لحقوقها المادية والمعنوية ــ وأصبحت في العهد الجديد محترمة الكيان مصونة الحقوق ومساوية لاخيها الرجل في الحقوق والواجبات ولا فضل لاحدهما على الآخر الا بالتقوى والعمل الصالح ــ واعتبر الاسلام مساعدة الرجل زوجته في الاعمال المنوطة بها والراجعة غالبا اليها من افضل المستحبات التي يتقرب بها الى الله زلفى ــ كما اعتبر الهدية التي يقدمها الزوج بقصد إدخال السرور الى

==========

(٢٠٤)

قلبها قربة لله سبحانه افضل من الصدقة التي يقدمها للفقير .

المقارنة بين وضع الإنسان قبل الإسلام ووضعه بعده :

وأصبحت البنت هدية من الله لوالديها ورحمة ينال بتربيتها الصالحة الاجر العظيم والثواب

الجسيم ــ على ضوء الحديث المروي عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم وحاصله :

من كان له ابنتان فرباهما واحسن تربيتهما ضمنت له على الله الجنة ــ وروي حديث بهذا المضمون بالنسبة الى الاخت ايضا ــ وبملاحظة جوهر الحديث نعرف شمول الثواب وترتبه على تربية البنت الواحدة والاخت الواحدة ايضا وعدم اختصاصه بالعدد الوارد في الرواية وان كانت درجة الثواب تترقى بزيادة العدد المقتضية بطبعها لزيادة المشقة والمعاناة .

أجل : هكذا اصبحت البنت في نظر اهلها وسائر افراد المجتمع الاسلامي بعد ان كانت عاراً يتوارى والدها عن الآخرين بسببه ويظل وجهه مسودا وهو كظيم من سوء ما بشر به واصبح الانسان في ظل الاسلام محبا لاخيه ما يحبه لنفسه وكارها له ما يكرهه لها ــ ولا يقف عند حد الانفعال العاطفي في حبه وكراهته بل يتمم ذلك بفعله لاخيه ما يحب فعله لنفسه وبتركه ما يكرهه من الغير كما يتركه ولا يفعله لشخصه ــ وذلك تجاوبا مع إسلامه العظيم إسلام الاخلاق والرحمة حيث يقول :

لا يؤمن احدكم او لا يكمل إيمان احدكم حتى يحب لاخيه ما يحبه لنفسه ويكره له ما يكره لها .

وكذلك اصبح مهتما بأمور إخوانه المسلمين كما اصبحوا سالمين

==========

من يده ولسانه وذلك من اجل ان يؤكد مصداقية اسلامه القائل : من اصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم والقائل : المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ــ بعد ان كان في ظل العهد الجاهلي على عكس ذلك .

دور الإسلام في تقدم وسعادة الإنسان :

وحاصل هذه المقارنة بين العهدين الجاهلي المحطم والاسلامي المعظم ــ ان الانسان في الاول كان حيوانا مفترسا واصبح في الثاني بشرا سويا ومؤمنا وليا خبره مضمون وشره مأمون وقد اشرت الى كلا العهدين مقارنا بين الوضعين الجاهلي الساحق والاسلامي المنقذ المشرق ــ بمقطوعة شعرية هي جزء من قصيدة نظمت والقيت بمناسبة احدى الذكريات السنوية لانتصار الثورة الاسلامية والخطاب فيها موجه للإنسان الذي عاش كلا العهدين الجاهلي والاسلامي وهي كما يلي :

قد كنت قبل الدين سبعا ضاريا * يخشاك حتى الأهل والولدان

فإذا أتاك الليل كان مطـــــــية * يسطو عليها السلب والعدوان

وإذا أتتك البنت فهي جريـــمـــة * تخفي معالم قبـــحها التربان

وإذا اردت عبادة ترضي بـــــها * رب الهوى فالقـــبلة الاوثان

وكذا بقيت تعيش جهلا مرديـــا * حتى أتاك بنهجه الـــــقرآن

فطرحت شركا واعتنقت شريعة * سمحاء ابدع خطها الرحمن

فإذا الجزيرة روضة فـــواحـــة * بالخير ينشر عطره الإحسان

وإذا النفوس تطلع وتشـــــــوق * للحق ينشر نوره الإيـــــمان

والفضل للاتـــقى وإن لم يـــعله * نسب رفيع الشأن أو تـــيجان

تبت يدا عم النبي وقد غـــــــدا * من آل بيت محمد ســـــلمان

==========

أهمية الجهاد في الشريعة الإسلامية :

وبما تقدم نعرف قيمة الدين ودوره الفعال في بناء شخصية الانسان وخروجه من الظلمات الى النور فردا ومجتمعا وحيث انه مدرسة حق ومعهد فضيلة والحق كان ولا يزال محاربا من قبل اهل الباطل ــ شرع الله سبحانه فريضة الجهاد ليصون بها تلك الاحكام والقوانين العادلة التي جاء بها الاسلام لتكون رحمة للعالمين .

فهذه الفريضة المقدسة ــ اي فريضة الجهاد ــ تمثل بالنسبة الى الدين السياج الذي يصون بستان الفضيلة ومعهد الحق من اعتداء الظالمين وتطرف المنحرفين ــ وقد اراد الله سبحانه ان يلفت النظر الى اهمية هذه الفريضة ودورها الطليعي في صيانة الاسلام وسعادة الانسان ــ من خلال الاسلوب البياني الخاص الذي استعمله في مقام بيان تشريعها والحث على العمل بها ــ فقال سبحانه : (*** إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقران**) [١] .

وقال تعالى : (**يآيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**) [٢] .

بهذا الاسلوب الرائع ابرز الله سبحانه اهمية الجهاد حيث عبر عنها عن طريق ابرام عقد البيع والشراء للأنفس والاموال من المؤمنين واعتبار

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١١ .
(٢) سورة الصف ، الآيتان : ١٠ ــ ١١ .

==========

الجنة الثمن الثمين لما اشتراه منهم مؤكدا ذلك بقوله في آخر الآية الاولى : (**ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**) [١] .

وكذلك بين في الآية الثانية الربح العظيم المترتب على التجارة الواقعة بين الله سبحانه وعباده المؤمنين مشيرا اليه اجمالا بقوله :

أولاً : (**ننجيكم من عذاب اليم**) .

وثانياً : بقوله : (**ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**) .

مدى اهتمام الإسلام بفريضة الجهاد المقدسة :

وبعد هذا البيان الاجمالي للربح الحاصل من هذه التجارة الرابحة الناجحة بينه مفصلا في آخر الآية بقوله تعالى : (**يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم**) [٢] .

وقد عطف الله سبحانه على هذه الارباح الاخروية التي تحصل للمؤمنين في الآخرة ربحا آخر معجلا يحصلون عليه في هذه الحياة وذلك بقوله تعالى في الاية التالية لآية التجارة :

(**وأُخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين**) [٣] .

وحيث ان هذا الربح لا يحصل الا للمؤمنين المتاجرين مع الله سبحانه : قال في آخر الآية الثانية التالية : (**وبشر المؤمنين**) .

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١١ .
(٢) سورة الصف ، الآية : ١٢ .
(٣) سورة الصف ، الآية : ١٣ .

==========

واستلهام إيداء الله سبحانه المزيد من الاهتمام بفريضة الجهاد من بين سائر الفرائض ــ يكون من ناحيتين .

الناحية الاولى : عرض هذه الفريضة وابداء مطلوبيتها المؤكدة بهذا الاسلوب التفصيلي المشوق الذي امتازت به دون سواها من الفرائض التي امر الله بها وابرز وجوبها بالاسلوب العادي الطبيعي كما في قوله تعالى بالنسبة الى الصلاة والزكاة : (**فأقيموا الصلاة واتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون**) [١] .

وقوله تعالى في مقام بين وجوب الصوم : (**يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) [٢] .

وقوله تعالى بالنسبة الى فريضة الحج :

(**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا**) [٣] .

الناحية الثانية : هي ان الاعمال العبادية والآثار الايجابية المترتبة على تملك الله سبحانه لانفس المؤمنين وأموالهم كثيرة شاملة لجميع الاعمال والتصرفات الراجحة وجوبا او استحبابا ــ وأبرزها العبادات المشهورة وخصوصا الصلاة التي هي عمود الدين والصوم الذي هو جنة من النار ــ فذكر الجهاد على وجه التخصيص يدل على مدى اهتمام الله سبحانه به وقد مرت الاشارة الى وجه هذه الاهمية بما حاصله ان الدين الاسلامي بما اشتمل عليه من اصول حقه وقوانين عادلة ــ هو حق منزل من قبل الإله الحق من أجل تحقيق الهدف الحق وهو إخراج الانسان من

---

(١) سورة المجادلة ، الآية : ١٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٨٣ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٩٧ .

==========

ظلمات الجاهلية الى نور الانسانية بما تحمله هذه الكلمة من مثل سامية وقيم رفيعة ــ وحيث ان الحق كان ولا يزال محاربا من قبل اهل الباطل ــ كان لا بد له من تشريع خاص يمثل السياج الواقي والدرع المانع من إصابته بالاضرار والاخطار المتوقع تسربها اليه من اعداء الانسانية وقد نهضت فريضة الجهاد المقدس بهذ الدور المبارك منذ فجر الدعوة المحمدية حيث كان لها الاثر البليغ في تشييد صرح الرسالة بعد الهجرة ــ كما كان لها الدور البارز في ثبات المؤمنين وصبرهم على الاذى في سبيل الله ــ قبلها الامر الذي ثبت اقدامهم على المنهج الحق رغم الايذاء

الشديد الذي تعرضوا له من قبل اعداء الدعوة الجديدة المجيدة .

ومن المعلوم ان الثبات في ساحة الصراع وعدم الانهزام أمام المعتدين الظالمين ــ رغم قلة العدد وتواضع العُدد ــ يعتبر من اعلى مراتب الجهاد ومن هنا عبر عنه بالجهاد الاكبر ــ وهكذا انطلقت فريضة الجهاد مع الرسالة جنبا الى جنب تحميها من العدوان الفكري والسياسي كما تحميها من العدوان العسكري ــ وقد نهض كل واحد من أهل البيت عليهم السلام بدور طليعي في هذا المجال ــ وان اختلفت نوعية ادوارهم تبعا لاختلاف ظروفهم والعوامل الموضوعية التي كانت معاصرة لكل واحد منهم .

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وثلاثة من الأئمة وهم علي ونجلاه الحسن والحسين عليهم السلام قام كل واحد منهم بفريضة الجهاد بكل نوعيها الفكري والعسكري وانحصرت بعد ذلك بأحد نوعيها وهو الفكري الثقافي ابتداء من الامام زين العابدين عليه السلام وانتهاء بالمهدي عجل الله فرجه وهو لا يقل اهمية عن الجهاد العسكري .

==========

دور الثورة الحسينية في حفظ الشريعة الاسلامية :

وتأتي الثورة الحسينية وجهادها المقدس لتكون الشاهد الواضح والناطق الموضح لدور فريضة الجهاد في حفظ الرسالة وصونها من الانهيار امام العدوان الاموي والطغيان اليزيدي الذي استهدف الرسالة المحمدية وحاول القضاء عليها من خلال القضاء على رموزها اللامعة ومصابيحها الساطعة ولكن الله سبحانه بعنايته ــ رد كيدهم الى نحورهم وصان شريعته من شرهم ببركة ما قام به وليه الحسين العظيم من امتثال امره بالجهاد وتقديمه نفسه النفيسة ومن يتعلق به من الاعزاء فداء للدين وصونا له من التضعضع والانهيار امام اعتداء الظالمين والى هذا المعنى اشار السيد جعفر الحلي وهو يتحدث عن يزيد وإجرامه وعن بطولة الحسين عليه السلام واقدامه وذلك بالابيات التالية :

لم ادر أين رجال المسلمين مضـــوا * وكيف صار يزيد بيـــنهم مـــــلكا

لئن جرت لفظة التوحيد في فمـــــه * فسيفه بسوى التوحيد ما فتـــــــكا

قد اصبح الدين منه يشتكي سقـــــما * وما الى أحد غير الحسين شـــــكا

فما رأى السبط للـــدين الحنيف شفا * الا اذا دمه في كربلاء ســــــــفكا

بقتله فاح للإسلام نشـــر هـــــــدى * فكلما ذكرته المســــلمون ذكـــــا

نفسي الفداء لفاد شرع والـــــــــده * بنفسه وبـــأهله ومـــا مـــــــــلكا

ويسرني ان اختم الحديث حول موضوع الجهاد بأبيات نظمتها حول هذا الموضوع وهي كما يلي :

إن الجهاد فريضة قدســـــية * بسياجها يتحـــصن الإسلام
لولاه ما قامت شريعة أحمد * وغدت ترف بأفقها الاعلام

==========

هو في السلام سماحة وتعاطف * ولدى المعارك موقف وحسام
وكلاهما شـــرع تألق نـــــوره * ليزول من أفق الحياة ظـــلام

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم أيها الإخوان الأعزاء والأبناء الاحباء اولا وآخرا ورحمة الله .

==========

الخطبة العشرون [١]

التجارة الرابحة في الدنيا والآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين .
والسلام عليكم ايها الاخوان الاعزاء والابناء الاحباء ورحمة الله وبركاته .
وبعد : قال الله سبحانه في كتابه المجيد : (**يآيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم**

من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) [٢] .

---

(١) القيت هذه الخطبة يوم الجمعة في مسجد الامام المهدي (عج) وذلك في ٢٨ ــ ٣ ــ ١٤١٣ هـ الموافق ٢٥ ــ ٩ ــ ١٩٩٢ م .

(٢) سورة الصف ، الآيات : ١٠ ــ ١٣ .

==========

بهذا الخطاب القرآني البليغ الرقيق خاطب الله سبحانه عباده المؤمنين طالبا منهم ابداء رغبتهم في ان يدلهم على تجارة رابحة ناجحة في الدنيا والآخرة . وحيث ان رغبتهم في ذلك متحققة جزما ــ يعتبرون بحكم المجيب على هذا السؤال بقولهم بلسان الحال :

نعم دلنا يا رب على هذه التجارة الرابحة ، وتأتي الاجابة منه سبحانه بقوله :

(**تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم**) .

وقدم الله سبحانه الايمان بالله ورسوله على الجهاد في سبيله بالاموال والانفس باعتبار ان ذلك يمثل التعاقد وايجاد عقد التجارة مع الله سبحانه كطرف اصيل في كل المعاملات والتجارات الإلهية ومع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بصفته الوكيل الممثل له والنائب عنه كما هو الشأن في كل مورد لا يوجد فيه مجال لان يحصل التعامل مع الاصيل مباشرة ــ وبعد حصول هذا العقد يأتي دور العمل بمقتضاه وحيث ان الله سبحانه هو المشتري للأنفس والاموال من عباده المؤمنين كما هو نص الآية القائلة :

(*** إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**) [١] .

والمعطي ثمنها وهو الجنة ــ يجب ان يسلم هذا المبيع لمشتريه وذلك بصرفه في سبيل الله وهو كل مورد يكون صرف المال فيه او

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١١ .

==========

ممارسة بعض الاعمال ــ راجحا على وجه الوجوب او الاستحباب .

والتعبير بممارسة بعض الاعمال اشارة الى تسليم المبيع الثاني وهو النفس لان المراد منها هو العمل الصادر عنها لا نفسها كما هو واضح فكأن الله سبحانه قال :

ان الله اشترى من المؤمنين اعمالهم واموالهم بأن لهم الجنة ــ وبهذا الاعتبار تكون آية الشراء مفسرة للمراد من آية التجارة ومبينة للمراد منها .

والربح الذي اشار الله اليه في آية التجارة يمكن تقسيمه بلحاظ نوعيته ومكان حصوله الى اربعة اقسام لانه يقسم اولا بلحاظ نوعيته الى قسمين وهما الربح المعنوي الروحي والربح المادي الجسمي ــ وكل واحد منهما يقسم الى قسمين احدهما المعجل الحاصل في هذه الحياة والثاني المؤجل الذي سوف يحصل في الاخرة .

والمراد بالربح المترتب على التجارة مع الله سبحانه وهي موضوع الحديث المنفعة الحاصلة منها بالمعنى العام لهذه المنفعة الشاملة للأقسام الاربعة المذكورة والمراد بالمعنوي الروحي المعجل كل منفعة تعود الى الروح وتسبب لها البهجة والسرور والسمو والصفاء ونحو ذلك من المنافع المعنوية الحاصلة لها في هذه الحياة مقابل ما يحصل لها من ذلك في الآخرة وبذلك يعرف المراد بالربح المادي المعجل والمؤجل وللمزيد من التوضيح نقول : المراد به كل منفعة مادية تعود الى الجسم لتنعشه وتعطيه النمو والقوة والنشاط في الحاضر وفي مستقبل الآخرة حيث اعد الله سبحانه فيها ما تشتهيه الانفس من انواع النعيم المادي والروحي مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

==========

أنواع الربح المترتبة على التجارة مع الله سبحانه :

وحيث ان الربح المعنوي الروحي اهم ، قدمه الله بالذكر على غيره حيث قال سبحانه : (**تنجيكم من عذاب اليم**) .

باعتبار ان النجاة والسلامة من الضرر الحاصلة بالتجارة مع الله سبحانه ــ تعطي المؤمن نعيما روحيا معجلا كما تعطيه منفعة وربحا ماديا يعود على جسمه بالقوة والحيوية نتيجة تجارته مع الله سبحانه وعمله بمقتضى هذه التجارة بصرف امواله في سبيل الله وحصر اعماله وتصرفاته الاختيارية في اطار مرضاته تعالى وعبادته وحده لا شريك له .

وقد اشار الله سبحانه الى عدة اقسام من النعميم والربح الروحي الحاصل للمؤمن في الاخرة منها ما هو حاصل له بسبب عفو الله عنه ومغفرته له وهو ما ذكر الله بقوله : يغفر لكم ذنوبكم ومنها ادخال الجنة المعبر عن رضا الله ومحبته مع خصوصية جريان الانهار تحتها فهو يعطي للنفس بهجة وللروح انتعاشا ومنها كون المساكن التي يقيمون فيها طيبة ومنها كونها في جنات عدن اي خلود ودوام ــ فإن ذلك يتمم النعيم الروحي بخلاف نعيم الدنيا المقترن بالعلم بزواله وعدم بقائه وهذا يخفف من الارتياح والانشراح به ان لم يؤد الى عدم حصوله اصلا .

وقد اشار الله سبحانه الى بعض انواع النعيم الروحي المعجل في هذه الدنيا وهو السرور والبهجة الحاصلة للمؤمنين بنصره لهم على اعدائهم وتحصيلهم الفتح القريب وقد اراد الله سبحانه ان يعجل لهم هذا النعيم الروحي والربح المعنوي بتقديم البشارة لهم بنيل كل ما وعدهم به من انواع النعيم حيث قال تعالى : (**وبشر المؤمنين**) وخصص البشارة

==========

بالمؤمنين باعتبار انهم الذين يتاجرون مع الله سبحانه ببيعهم له اموالهم وانفسهم لينالوا منه ثمنها وهو الجنة .

واما غير المؤمنين فقد باعوا اموالهم وانفسهم للشيطان وسوف يقدم لهم ثمن ذلك عذاب النيران وذلك هو الخسران المبين .

بيان كيفية الجهاد في سبيل الله بالأنفس والأموال :

وبعد بيان الربح المترتب على التجارة مع الله سبحانه بأقسامه المذكورة نشير الى كيفية الجهاد في سبيل الله بالانفس والاموال فنقول : مرت الاشارة الى ان المراد بالانفس الواردة في آيتي الشراء والتجارة الاعمال الصادرة عنها لا نفسها لان المكلف قادر على تسليم اعماله الاختيارية وتصرفاته الارادية وتسليمها لله عبارة عن الاتيان بها منسجمة مع ارادته تعالى وهو روح العبادة بمعناها العام .

واما الجهاد في سبيل الله بالاموال فيكون بصرفها في المصارف الراجحة المحبوبة لله سبحانه وجوبا او استحبابا وذكر الجهاد بالخصوص لاهميته كما مر بيانه مفصلا في الخطبة السابقة على هذه ومن المعلوم ان الجهاد في هذا السبيل مرتكز على بذل المال بشكل اساسي نظرا لحاجة المجاهد نفسه للنفقة اللازمة له ولمن تجب نفقته عليه من الابوين والزوجة والاولاد ونحوهم مع حاجة المعركة الى الذخيرة اللازمة التي تتوقف عليها مواجهة العدو بثبات وتحمل حتى ادراك

هدف التحرر والتطهير وهناك موارد عديدة للجهاد بالمال في سبيل تحصيل مرضاة الله سبحانه وهي تأتي في المرتبة الثانية في الاهمية بعد الجهاد به في سبيل التحرير واستعادة العزة والحرية والكرامة ويمكن ان يشار الى هذه الموارد بعنوان اجمالي يشير اجمالا اليها وينطبق عليها وهو عنوان اغاثة

==========

(٢١٧)

الملهوف الذي وقع في ازمة اقتصادية واصبح بحاجة ماسة الى من ينقذه من ازمته ويخرجه من شدته ــ وفيما يلي الاشارة الى بعض افراد هذا العنوان العام .

المصرف الافضل لبذل المال في سبيل الله تعالى:

من افراد الشخص الذي تراكمت عليه اقساط اجرة المنزل الذي استأجره من بعض الاشخاص واخذ المالك يراجع باستمرار مطالبا بتسديد تلك الاقساط لكونه مضطرا لها ولا يسمح له بالتصرف بأي عمل في منزله حتى الصلاة لانتهاء مدة الاجارة وعدم موافقته على تجديدها قبل استلام الاقساط المستحقة .

ففي هذا الفرض ماذا يصنع هذا المستأجر هل يبقى في منزله بدون رضاه ليبقى على مطالبته له وإحراجه بكلمات اللوم وربما الشتم واتهامه بعدم التقوى والالتزام الديني بحجة انه يصلي مع عائلته في منزله بدون رضاه واذا أراد هذا المستأجر المغلوب المنكوب ان يترك له منزله فالى اين يذهب ؟ وفي اي مكان يستقر ؟ وهو إنسان محترم له عزته وكرامته ؟ ومن أفراد الإنسان الملهوف المنكوب ــ شخص له اولاد وهو يريد ان يخرجهم من ظلمات الامية والجهل الى نور العلم والثقافة الا ان راتبه او كسبه الذي يحصله بعمله المتواضع لا يكفي لمصارفه البيتية الضرورية المعهودة فضلا عن الاقساط المدرسية الراقية واثمان الكتب الغالية ــ ومثل هذا الشخص ماذا يصنع امام هذه المشكلة المعقدة والمؤلمة فهل يبقي اولاده في منزله بلا علم وتعلم لابسط انواع المعرفة الضرورية وذلك قضاء على وجودهم المعنوي وتحطيم لمستقبلهم الدنيوي والاخروي او يغامر بتسجيلهم بواسطة الاقتراض ولا يوجد من يقرضه

==========

(٢١٨)

واذا وجد فبأية وسيلة يسدد دين الاقتراض ؟ .

اغاثة الملهوف من افضل الاعمال المقربة من الله تعالى :

ومن افراده شخص اصيب بعارض صحي خطير وكان انسانا مستضعفا لا يملك ما يحتاجه لنفقته الضرورية له ولأفراد أسرته ومثل هذا الشخص ماذا يصنع هل يسكت ويقعد عن المعالجة وحياته مهددة بالخطر او يقدم عليها ولا حول له ولا قوة اقتصادية او معنوية تلفت نحوه الانظار وتوفر له الاعوان والانصار ؟ ومن مصاديق انساننا المستضعف في هذه الايام شخص اقدم على اجراء عقد القران على فتاة اعجبته وملكت عواطفه وخشي اذا تأخر عن ربطها به بالعقد الشرعي ان تفلت من يده ويكون مصيرها لغيره وبعد ذلك اصطدم بالواقع المر والازمة الاقتصادية الخانقة فأجرة الشقة غالية وثمنها اغلى وكذلك ثمن الاثاث وحينئذ يضطر هذا المسكين لان يبقى منتظرا الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر وفي الغالب يبقى على وضعه الصعب ويضعف امله بالانفراج ويضطر بعد ذلك لان يهدم ما بناه على اساس الامل حتى لا تبقى خطيبته معلقة غير متزوجة فعلا وعملا ــ ولا مطلقة .

وهناك نماذج اخرى للإنسان المستضعف في وقتنا الحاضر والامثلة التي ذكرتها انعكاس عن واقعنا المأساوي الذي يمر به الكثيرون ــ وهنا يأتي دور لفت النظر والتنبيه على ان هذه النماذج هي السوق الذي يتوقع من المؤمنين بالله واليوم الآخر وبمضمون آيتي الشراء والتجارة التي هي مضمونة الربح والنجاح في الدنيا والاخرة لأن التعامل فيها مع الله سبحانه كما مر بيانه مفصلا والله سبحانه وعد بالربح العظيم المترتب على الاتجار معه وبيع الانفس والاموال له وهو سبحانه اوفى الواعدين واصدق القائلين .

==========

القرض الحسن للمضطر من أفضل الاعمال :

وقد لاحظنا مدى الصعوبة والمعاناة النفسية وربما الجسمية بالنسبة الى المستضعف المريض ــ ومن المعلوم ان الاجر المترتب على قضاء أية حاجة تكون كميته ومقداره بقدر اهمية تلك الحاجة فبقدر ما تكون ماسة وملحة يكون الاجر المترتب على قضائها عظيما وجسيما حتى يصل الى درجة ثواب احياء النفس الذي اشار الله سبحانه الى اهميته بقوله :

(**ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا**) [1] لان إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب

تكون بمثابة احياء النفس وانقاذها من الهلاك المادي .

وانقاذ هؤلاء المستضعفين يكون بعدة اسباب ووسائل وهي تختلف من شخص لآخر كما سيتضح ذلك .

من هذه الوسائل توفير المساعدة له عن طريق القرض الحسن وذلك اذا كانت حاجته الى المساعدة حالة استثنائية طارئة لبعض الطوارىء وكان قادرا على تسديد الاقساط في اوقاتها وقد حث الاسلام كتابا وسنة وسيرة على القيام بهذه الخدمة الانسانية ورتب عليها الثواب العظيم والاجر الجسيم .

قال سبحانه : (**إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجرٌ كريم**) [٢] .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣٢ .

(٢) سورة الحديد ، الآية : ١٨ .

==========

وقال تعالى : (**إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم**) [١] .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله : « إن الدرهم منه اي من القرض بثمانية عشر درهما والصدقة بعشرة وذلك ان القرض لا يكون الا لمحتاج والصدقة ربما وقعت في يد غير محتاج » .

بيان أهمية القرض الحسن وثوابه العظيم :

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم ايضا قوله : « يكتب لصاحبه ــ اي القرض ثواب قيام الصلاة مع الملائكة حتى يأخذه » .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ومن اقرض اخاه المسلم كان له بكل درهم اقرضه وزن جبل أُحد حسنات فإن رفق به في طلبه يعدى به على الصراط كالبرق الخاطف اللامع بغير عقاب ولا عذاب » وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، في مقابل ذلك قوله : « **ومن احتاج اليه أخوه المسلم في قرض وهو يقدر عليه فلم يفعل حرم الله عليه ريح الجنة** » .

واطلاع المؤمن على اهمية القرض وما يترتب عليه من الثواب العظيم ــ كاف لان يندفع نحوه برغبة وتوجه ليتاجر به مع الله وينال بذلك الربح الكثير والاجر الجزيل ويؤكد ذلك عنده ما يترتب على تركه مع القدرة عليه ــ من الخسارة العظيمة الجسيمة بحرمانه من ريح الجنة

ونعيمها الخالد ورضوان الله الاكبر .

وكما تترجح نصيحة الإخوان الموسرين بالاقدام على هذه التجارة الرابحة وهي القرض الحسن لاخوانهم المحتاجين كذلك تترجح النصيحة

---

(١) سور التغابن ، الآية : ١٧ .

للاخوان المقترضين بأن يجعلوا اقتراضهم حسنا ايضا ــ وذلك بصدق القول وأداء الامانة وتسديد الاقساط المتفق عليها مقدارا وزمانا ــ في وقتها بدون تسويف ومماطلة مهما كانت الظروف صعبة ولو بان يقترض مقدار القسط من مصدر آخر ليؤكد بذلك مصداقية إيمانه ووفائه بوعده وخصوصا اذا كان المقرض محتاجا للمبلغ المقترض . وفائدة الوفاء بذلك تعود على شخص المقترض ماديا ومعنويا اما الفائدة المعنوية فواضحة حيث يكتسب صفة الوفاء بالوعد مع صدق القول وأداء الامانة واما المادية فلأن وفاءه بذلك يمكنه من طلب الاقراض مرة اخرى لنفسه او لغيره بكفالته وتعهده وتكون النتيجة على العكس من ذلك في صورة حصول العكس وهو المماطلة وعدم الوفاء بالوعد وتزداد الصورة قبحا وتشويها عندما يحصل خلاف المتفق عليه مع الاعراض الكلي والغياب عن ساحة المسؤولية الامر الذي يحطم كرامته ويسد باب الخير في وجهه ووجه الآخرين بعد ان تذهب الثقة ويفقد الاطمئنان بحصول الصدق من الآخرين بسبب عدم صدقه ووفائه بوعده ، وكان مطلوب منه ان يبدل الاعراض والهروب من ساحة المسؤولية والصدق والوفاء ، بالحضور الى الشخص الذي اقترض منه او كفله ليقدم الاعتذار مما حصل من التأخر ويبدي الاهتمام بالوفاء وان الذي حصل منه كان لظروف ضاغطة اضطرته لذلك .

نصيحة الموسر بالإقراض الحسن والمعسر بالإقتراض الحسن :

وخلاصة النصيحة و (الدين النصيحة) للاخوان الموسرين ان لا يحرموا انفسهم من ذلك الثواب العظيم الذي يعطيه الله سبحانه لمن اقرض اخاه في الاسلام او في الانسانية لان الاسلام جاء رحمة للعالمين وهناك ثواب آخر مترتب على الاقراض بعنوان آخر غير عنوانه الاولي

==========

وهو عنوان إدخال السرور وكشف الكربة وقضاء الحاجة وكل واحد من هذه العناوين موضع للاجر العظيم والثواب الجسيم .

ونصيحتي لاخواني المعسرين ان يبذلوا اقصى الجهد في سبيل الوفاء بالوعد ليكون ذلك مشجعا للمقرض على إقراضه فيرغب في الاستمرار على هذه الخدمة الانسانية لهم وللآخرين .

ومن جملة الوسائل التي يمكن الاعتماد عليها لقضاء حاجة المضطر الملهوف ــ مساعدته من الحق الشرعي الخمس ونحوه بعد احراز حاجته والتزامه الديني بالاطلاع الشخصي المباشر او بواسطة التعريف من قبل من يوثق بقوله ويترجح مراجعة الحاكم الشرعي او وكليه في صرف الحق الشرعي من اجل تحصيل الرخصة وتحديد الكمية ليحرز دافع الحق الشرعي براءة ذمته

منه ــ كما يمكن مساعدة المحتاج المعسر عن طريق التصدق والتبرع من الشخص مباشرة او بالسعي لتحصيل المساعدة له من الاخرين والساعي بالخير كفاعله من حيث استحقاق الاجر والثواب .

بيان أفضلية صرف المال لقضاء حاجة المضطر

من صرفه في العبادات المستحبة :

وبالمناسبة احب ان الفت نظر الاخوان الاعزاء والمؤمنين الصالحين الذين التزموا بالذهاب الى مكة المكرمة كل عام لتأدية الحج المستحب وللعمرة المستحبة وربما تكرر ذلك في العام الواحد كما التزموا بالذهاب لزيارة المشاهد المقدسة وقد يتكرر ذلك في العام الواحد فأقول لهؤلاء الاخوان الاحباء : اذا كان المقصود من ذلك تحصيل الاجر والثواب فلماذا لا تصرف هذه الاموال التي تصرف في طريق هذه المستحبات ــ في سبيل إغاثة الملهوفين وكشف كرب

==========

المكروبين وانقاذ الكثيرين من المعسرين الذين تصل بهم الازمة الاقتصادية الى درجة فوق التحمل والطاقة لينالوا بذلك ثواباً اعظم وأجراً أجسم يصح ان نحدده بثواب احياء النفس المحترمة الذي اعتبره الله إحياء للناس جميعا لاهميته وذلك بقوله سبحانه :

(**ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا**) [1] .

وذلك لان قيمة كل عمل في الميزان الاخروي بقدر ما يترتب عليه من المنفعة لخلق الله باعتبار انهم عياله واحب الناس اليه انفعهم لعياله كما ورد في الحديث ــ ومن المعلوم ان فائدة المستحبات العبادية المتمثلة بالحج والعمرة والزيارة ونحوها مقصورة على صاحبها وبالقدر المحدود من الثواب .

وهذا بخلاف المستحبات الاجتماعية وربما اصبحت واجبة بالعنوان الثانوي ــ فهي تفيد صاحبها الذي يقوم بها في الدنيا حبا واحتراما وسعة رزق وطول عمر ودفع بلاء وقد أبرم إبراما كما ورد في الاحاديث وقد مرت الاشارة الى ذلك كله بصورة مفصلة في بعض الخطب السابقة التي تحدثت فيها حول موضوع الانفاق في سبيل الله تعالى .

ويسرني ان اختم الحديث حول موضوع التجارة مع الله سبحانه بذكر قصة تناسب المقام وحاصلها ان شخصا توجه الى تأدية الحج المستحب وفي طريقه شاهد امرأة تنتف طيراً ميتاً فأخبرها بحرمة أكل لحم الميتة وردت على اخباره لها بذلك بأنها عالمة بهذا الحكم وعالمة ايضا

بجواز أكل مثل ذلك للضرورة القاسية انطلاقا من القاعدة

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣٢ .

==========

المشهورة (الضرورات تبيح المحذورات) وحينئذ رق لها بعد ان اطلع على واقعها المر ، وانها أرملة تعيل أيتاما ولا يوجد لديها ما تدفع به الجوع المؤلم عن نفسها واطفالها سوى هذا الطير الميت ونتج عن انفعاله العاطفي بمأساتها وتفاعله مع حاجتها القاسية ــ ان دفع لها المال الذي كان حاملا له ليصرفه في سبيل تأدية الحج المستحب ــ وتذكر القصة ان الله سبحانه كافأه على ذلك بأن بعث ملكا بصورته ليحج عنه تلك السنة وينال ثواب ما كان عازما عليه من حيث النية لان الاعمال بالنيات ومن حيث النيابة التي اراد الله بها ان يظهر له تقدير هذا العمل واحترامه به مضافا الى الثواب العظيم الذي احرزه بقضاء حاجة هذه المسكينة واطفالها الجائعين البائسين .

مع الاخذ بعين الاعتبار ثبوت الاجر العظيم لهذا الانسان على ضوء الروايات الكثيرة الدالة على اهمية قضاء حاجة المضطر وكشف كربته وإدخال السرور على قلبه ــ وما يترتب على ذلك من الثواب الجسيم والاجر العظيم ــ بغض النظر عن القصة المذكورة المشهورة والذي يساعد الانسان المؤمن على الاهتمام بصنع الخير للآخرين وقضاء حوائجهم التفاته التفصيلي وتذكره لما يترتب على ذلك من المنافع الدنيوية المادية والمعنوية المعجلة مضافا الى الفوائد الاعظم والادوم التي ينالها هناك يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وعمل صالح وزاد من التقوى نافع ورافع ولذلك امرنا الله بإعداده في الكثير من آيات كتابه حيث قال سبحانه :

(**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أُولي الالباب**) [١] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٩٧ .

==========

دور التقوى في سعادة الدارين :

ومن الواضح في نظر المؤمن الواعي ان فائدة التقوى غير مقصورة على الاخرة ونعيمها بل

هي تحصل لصاحبها معجلا في الدنيا قبل اليوم الاخر ــ وذلك لانها عبارة عن فعل الواجبات وكلها فوائد مع ترك المحرمات وكلها مفاسد والمؤمن التقي عندما يأتي بالاولى ويجني فوائدها ويترك الثانية ويتجنب مفاسدها ــ يدخل جنة الدنيا ومنها ينتقل الى جنة الاخرة قال سبحانه :

(**ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض**) [١] .

وقال سبحانه : (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب**) [٢] .

وفي الختام : نسأل الله سبحانه ان يوفقنا جميعا للتجارة معه بالايمان الصادق والعمل الصالح الذي ينفعنا في دنيانا ويصحبنا الى آخرتنا ليكون زادنا النافع ومجدنا الرافع وما ذلك على رحمته تعالى بعزيز والسلام عليكم جميعا اولا وآخرا ورحمة الله وبركاته .

---

(١) سورة الاعراف ، الآية : ٩٦ .

(٢) سورة الطلاق ، الآيتان : ٢ ، ٣ .

==========

الخطبة الواحد والعشرون [١]

التوكل على الله سبحانه
ودوره في نجاح الإنسان وتقدمه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الصلاة والسلام على اشرف الخلق وسيد المرسلين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين .

والسلام عليكم ايها الإخوان الاعزاء والابناء الاحباء ورحمة الله وبركاته .

وبعد : قال الله سبحانه في محكم كتابه المجيد : (**ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل اللهُ لكل شيء قدراً**) [٢] .

وقال سبحانه : (**فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**) [٣] .

---

(١) القيت هذه الخطبة في مسجد الامام المهدي (عج) في ١٨ ــ ١١ ــ ١٩٩١ م الموافق ٢ ــ ٥ ــ ١٤١٢ هـ .

(٢) سورة الطلاق ، الآية : ٣ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ .

==========

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله : « من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنه ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله إليها » .

وروي عن الصادق قوله عليه السلام : من أُعطي ثلاثا لم يمنع ثلاثا .

من اعطي الدعاء اعطي الاجابة ومن اعطي الشكر اعطي الزيادة ومن اعطي التوكل اعطي الكفاية .

وقد استوحى الامام عليه السلام ذلك من قوله تعالى :

(ادعوني أستجب لكم) [١] .

ومن قوله تعالى : (**لئن شكرتم لأزيدنكم**) [٢] .

وقوله سبحانه : (**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**)[٣] .

وروي عن الامام علي عليه السلام قوله في نهج البلاغة في وصيته لولده الحسن عليه السلام : وألجيء نفسك في الامور كلها الى إلهك فإنك تلجئها الى كهف حريز ومانع عزيز .

من مجموع ما ورد في مدح التوكل والمتوكلين على الله سبحانه في الآيات والروايات ــ نستفيد أهمية التوكل وانه صفة سامية تعطي صاحبها مرتبة عالية وتعود عليه بالخير العميم في الدنيا والآخرة .

وهذا يقتضي ان نعرف المراد منها ــ والفائدة المترتبة عليها بصورة تفصيلية فنقول : المراد من التوكل المحمود الممدوح في الإسلام هو اعتماد الانسان المؤمن على الله سبحانه في نجاح سعيه وإدراك مطلوبه

---

(١) سورة غافر ، الآية : ٦٠ .
(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ٧ .
(٣) سورة الطلاق ، الآية : ٣ .

==========

المشروع سواء كان جلب محبوب ام دفع مكروه بعد ايجاد الوسائل العادية والاسباب المادية التي جرت العادة على التوصل بها الى الهدف المقصود .

بيان حقيقة التوكل في الإسلام :

وذلك لعلم الانسان المؤمن المتوكل على الله سبحانه بأن الاسباب وحدها غير كافية لإيصاله الى مطلوبه ما لم تباركها الارادة السماوية والعناية الإلهية وعلى هذا يكون التوكل متقوما بمجموع أمرين :

الأول : عمل خارجي يتمثل بإعداد السبب الخارجي العادي المادي .

والثاني : معنوي باطني يتمثل بالاعتماد على الله سبحانه في نجاح سعيه وحصول مراده ــ وبعد توفر هذين الامرين تكون النتيجة الحاصلة في النهاية راجعة الى إرادة الله سبحانه وحكمته فإذا أراد للسبب ان يؤثر وللسعي ان ينجح حصل المراد وقابل المؤمن المتوكل ذلك بالشكر قائلا بلسان الحال او المقال : (**هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم اكفر**) [1] .

ولا يكرر ما قاله قارون : (**إنما أُوتيته على علم عندي**) [2] .

وإذا لم يرد الله سبحانه نجاح السعي وحصول المطلوب المعجل للإنسان المتوكل ــ بقي كل شيء على حاله ورضي بما قدره الله له قائلا بلسان الحال او المقال ما قاله الامام عليه السلام في الدعاء :

ولعل الذي ابطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الامور . وبما

---

(١) سورة النمل ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٧٨ .

==========

ذكرناه في بيان المراد من التوكل نعرف ان اعداد الاسباب المناسبة للمطلوب ــ لا ينافي حصوله من المؤمن بل هو محقق له بمعناه الواقعي ــ لان توقع حصول المطالب الحياتية ونحوها بدون ايجاد اسبابها المادية العادية يعتبر تواكلا مذموما وليس توكلا محمودا ويؤكد ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لذلك الاعرابي الذي اراد ان يترك ناقته امام باب المسجد بدون عقال يحفظها من الشرود والضياع بانيا على ان ذلك من موارد التوكل الذي وعد الله صاحبه بمساعدته على تحصيل مطلوبه بقوله تعالى :

(**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**) [1] .

أجل : يوضح المراد من التوكل المحمود قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الاعرابي : إعقل وتوكل .

ولذلك امر الله سبحانه مريم العذراء بهز النخلة لتجني منا الرطب انطلاقا من الحكمة الإلهية العامة المقتضية للتوصل الى المطلوب بواسطة اسبابه الطبيعية ولو اراد سبحانه حصول الرطب لها بدون عملية الهز لحصل ذلك كما شاءت رحمته سبحانه ان ينزل لها طعامها من السماء عندما اقتضت الحكمة ذلك وهو مستفاد من قوله تعالى :

(**يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب**) [2] .

والمراد من الآية التي ورد الامر فيها لمريم بهز النخلة قوله تعالى :

---

(١) سورة الطلاق ، الآية : ٤٣ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٣٧ .

==========

(**وهزي إليكِ بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا**) [1] .

والى ذلك اشار الشاعر بقوله :

ألم تر أن الله قال لمـــــــــريم * وهزي اليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزه * جنته ولكن كل شيء له ســـــبب

العناية الإلهية قد تساعد على حصول السبب بدون الأسباب العادية :

هذا كله بلحاظ الوضع العام للمتوكل وهو إعداد العامل الخارجي وضمه الى العامل الباطني وهو الانقطاع الى الله سبحانه والاعتماد عليه لإنجاح السعي وترتب المسبب على سعيه العادي وقد يطرأ على هذا الوضع العام بعض الاستثناءات في الموارد التي تقتضي الإرادة الإلهية والرحمة السماوية حصول المطلوب للمؤمن المتوكل على الله بدون اعداده السبب العادي لذلك الامر المطلوب له ــ اما لخروجه عن نطاق قدرته كما في قصة النبي زكريا الذي رزقه الله ولده يحيى رغم الشيخوخة الحاصلة له ولزوجته ــ وهي مانع طبيعي من الانجاب ومن المعلوم ان إزالتها والعودة الى العمر الذي يساعد على ذلك غير مقدور لزكريا وزوجته ــ ولذلك اكتفى الله سبحانه بحصول العنصر الثاني الباطني منهما وهو الانقطاع له واللجوء اليه بالتضرع والدعاء .

وتشبه قصة النبي زكريا قصة اخرى حصلت لبعض المؤمنين الصالحين العابدين المتوكلين وابنته الطفلة العاقلة التي ارتفعت بنضج عقلها وذكائها الى مستوى المؤمنين الكبار وتحقق التشابه بين هاتين القصتين بلحاظ الجزء الاول من قصة هذا العابد وطفلته ــ حيث ان الله

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٢٥ .

==========

سبحانه استجاب دعاءها وحقق لها مطلوبها ورجاءها بمجرد الدعاء والانقطاع اليه لعدم قدرتها وهي في حالة الطفولة البريئة الضعيفة على ايجاد سبب من اسباب الرزق كما كان زكريا وزوجته عاجزين عن توفير السبب الطبيعي للإنجاب .

قصة فيها درس في التوكل وعبره :

وقد تقتضي الرحمة الإلهية حصول المطلوب للمؤمن المتوكل لمجرد الانقطاع والتوكل مع تمكنه من القيام بدور ايجابي بأي نحو من انحاء السعي نحو الهدف المطلوب وذلك فيما اذا كان هذا المؤمن مشغولا بعمل محبوب لله سبحانه وبدرجة عالية من المحبوبية تقتضي ان يحقق له مطلوبه ولو بدون السعي واعداد السبب الممكن له ولو بدرجة من درجاته وهذا يتجلى بوضوح في الجزء الثاني من قصة ذلك العابد وهو ما يتعلق به ويرجع اليه من هذه القصة .

وحاصلها ان شخصا مؤمنا عابداً زاهداً يدعى حاتم الاصم عزم على الذهاب الى مكة لتأدية فريضة الحج المقدسة رغم فقره وعدم توفر ما يحتاج اليه من النفقة لنفسه ولافراد اسرته لذلك عارضوه ولم يوافقوه على رأيه باستثناء طفلة له كانت انضجهم عقلاً وأقواهم إيمانا وثقة بالله سبحانه لذلك وافقت على سفره في هذا السبيل وقالت لبقية أفراد العائلة :

ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يهمكم ذلك دعوه يذهب حيث يشاء فإنه مناول للرزق وليس برازق فاقتنعوا بقولها ووافقوا على سفره وانطلق في سبيل غايته ولكنهم ندموا على موافقتهم وسماحهم له بذلك واخذوا يوجهون اللوم الى تلك الطفلة لانها كانت السبب في سفره وهم بأمس الحاجة اليه ولم يكن منها سوى التضرع لله سبحانه بالدعاء قائلة :

==========

إلهي وسيدي ومولاي عودت القوم بفضلك وانت لا تضيعهم فلا تخيبهم ولا تخجلني معهم فبينما هم على هذه الحالة اذ خرج أمير البلد للصيد مع جماعة من اتباعه وانقطع عن عسكره فحصل لهم عطش شديد ثم اجتاز ببيت الرجل الصالح وقرع الباب واستسقى منهم الماء فقالوا : من أنت فقال : الامير ببابكم يستسقيكم الماء فرفعت زوجة حاتم رأسها الى السماء وقالت :

إلهي وسيدي سبحانك البارحة بتنا جياعاً واليوم يقف الامير على بابنا يستسقينا . ثم انها اخذت كوزا جديدا وملأته ماء وقالت للمتناول منها اعذرونا فأخذ الامير الكوز وشرب منه فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال : هذا الدار لامير ؟ .

فقالوا : لا والله بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الاصم فقال الامير : لقد سمعت به وقال الوزير :

لقد سمعت يا سيدي انه الليلة البارحة سافر الى الحج ولم يترك لعياله شيئا واخبرت انهم الليلة البارحة باتوا جياعا فقال الأمير ؛ ونحن ايضا قد ثقلنا عليهم اليوم وليس من المروءة ان يثقل مثلنا على مثلهم ثم حل الأمير منطقته من وسطه ورمى بها في الدار ثم قال لاصحابه : من أحبني فليلق منطقته فحل جميع اصحابه مناطقهم ورموا بها اليهم ثم انصرفوا وقال الوزير : السلام عليكم يا أهل هذه الدار لأتينكم الساعة بثمن هذه المناطق فلما نزل الأمير رجع اليهم الوزير ودفع لهم ثمن المناطق مالاً جزيلاً واستردها منهم فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديداً فقالوا : ما هذا البكاء إنما يجب ان تفرحي فإن الله قد وسع علينا فقالت : يا أماه والله إنما بكائي كيف الليلة البارحة بتنا جياعا فنظر الينا مخلوق نظرة واحدة فأغنانا بعد فقر فالكريم الخالق اذا نظر الينا لا

==========

يكلنا الى أحد طرفة عين ــ اللهم انظر الى أبينا وبره بأحسن التدبير .

قصة وعبرة تقوي العقيدة :

هذا حاصل ما كان من امر عيال حاتم هذا ــ واما ما كان من أمره فهو عندما خرج في طريقه الى الحج ولحق بالقوم توجع أمير الركب فطلبوا له طبيباً فلم يجدوا فقال : هل من عبد صالح ؟ فدل على حاتم فلما دخل عليه وكلمه ودعا له عوفي في وقته فأمر له بما يركب وما يأكل وما يشرب فنام تلك الليلة مفكرا في أمر عياله واكثر الثناء على الله سبحانه ــ ولما قضى

حجه ورجع تلقته اولاده وعانق الصبية الصغيرة وبكى ثم قال :

صغار قوم كبار قوم آخرين إن الله لا ينظر الى اكبركم ولكن ينظر الى اعرفكم به فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فإنه من توكل على الله فهو حسبه .

قد لاحظنا مدى العناية الإلهية التي ادركت هذه العائلة ومعيلها فجعلت لهم مخرجا مما كانوا عليه من الحاجة والفقر ورزقتهم من حيث لا يحتسبون نتيجة انقطاع والد هذه العائلة وصغيرته وتوكلهما عليه سبحانه من دون ان يحصل اي سعي وتحرك ايجابي في طريق تحصيل الرزق ــ وكان هذا لخصوصية اقتضت هذه العناية الإلهية الفائقة ــ وهي ما اشرت إليه قبل نقل هذه القصة من عجز الصغيرة عن السعي لذلك لا تكلف به كما هو الوضع العام في ظل الاحوال العادية للإنسان ــ وكذلك رزق والدها لتوجهه في طريق أمر محبوب لله وهو زيارة بيته الحرام لذلك قدم له هدية وجائزة تكريمية حيث هيأ له السبب الذي انتج الرزق والمساعدة له من حيث لا يحتسب .

==========

(٢٣٤)

قصة أخرى تبين فائدة التوكل :

وهناك قصة أخرى ذكرت في نفس المصدر الذي نقلت منه القصة السابقة ــ وهو الجزء الاول من كتاب المستظرف في كل فن مستطرف صفحة ٦٤٤ وقصة حاتم في صفحة ٦٥ من هذا الكتاب وحاصلها :

انه حصل في عهد أحد خلفاء بني العباس ــ غلاء سعر وضيق حال حتى اشتد الكرب على الناس اشتداداً عظيما فأمر الخليفة بكثرة الدعاء والبكاء وبكسر آلات الطرب وفي بعض الايام رؤي عبد يصفق ويرقص فحمل الى الخليفة فسأله عن سبب فعله ذلك من دون الناس فقال : إن سيدي عنده خزانة بُر وأنا متوكل عليه ان يطعمني منها ولذلك ان لا أبالي ــ وعند ذلك اعتبر الخليفة بقوله واستفاد منه درسا في التوكل الحقيقي وقال :

اذا كان هذا قد توكل على مخلوق مثله فالتوكل على الله اولى ثم سلم للناس احوالهم وأمرهم بالتوكل على الله سبحانه وقد ذكرت هذه القصة بعد تلك .

أولاً : لاستفادة العظة والعبرة منها .

وثانياً : لبيان الفرق بين التوكل والاعتماد على المخلوق لحصول محبوب ودفع مكروه في هذه الحياة كما هو مضمون القصة الثانية والتوكل على الله سبحانه والانقطاع اليه وحده كما هو مضمون القصة الاولى .

وحاصل هذا الفرق هو انه اذا كان التوكل على المخلوق ــ كان الهدف المطلوب بالرجوع اليه محدودا بخصوص الغاية المحددة والفائدة

==========

(٢٣٥)

المقيدة في هذه الحياة الدنيا وهي تكون غير معلومة التحقق غالبا لعدم احرازه قدرة الذي توكل عليه وتمكنه من تحقيق مطلوبه على كل حال وهذا بخلاف التوكل على الإله الخالق ــ فهو غير محدود الفائدة في الحاضر المعجل بل يشمل الفائدة الاخروية التي يرتبها الله سبحانه ويعطيها لمن توكل عليه ، ولذلك يكون التوكل عليه سبحانه مضمون النجاح ومعلوم الحصول اما عاجلا اذا اقتضت الحكمة الإلهية ذلك وإما آجلا وفي الدار الآخرة المعدة لتحصيل الفوائد واستلام الجوائز .

فائدة التوكل في الدنيا والآخرة :

وتتمثل الفائدة الاخروية بالثواب العظيم والنعيم الخالد الذي يعطيه الله سبحانه لعبده المتوكل عليه والمنقطع إليه باعتبار ان نفس هذا الانقطاع عبادة لله سبحانه وعمل باطني راجح يقرب من الله زلفى ــ وحيث ان الاستخارة نوع من التوكل على الله سبحانه واللجوء اليه لبيان ما هو الصالح لعبده المستخير ــ قال الامام الصادق عليه السلام على ما روي عنه :

لا أبالي بعد ان استخرت على اي جنب وقعت وذلك لان المستخير اذا لم ينل مطلوبه المعجل الذي اقدم على تحصيله اعتمادا على استخارة الله واستشارته فهو ينال عوضه في الآخرة ما هو خير وابقى له مما فاته من العرض الزائل والى هذا المضمون اشار الامام عليه السلام في دعائه : « ولعل الذي ابطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الامور » .

ومن مجموع ما تقدم يعرف ان اهم فائدة يحصلها المؤمن المتوكل على الله سبحانه هي راحة النفس واطمئنان القلب لسلامة المصير وحسن العاقبة المترتبة على اللجوء الى كنف الإله وعطفه وهي تتمثل بإحدى

==========

(٢٣٦)

الحسنيين وقد تتمثل بكلتيهما حسبما تقتضيه الحكمة الإلهية والرحمة السماوية وهما حصول الفائدة المطلوبة معجلا وما يترتب على نفس الرجوع الى الله سبحانه وتسليم الامر اليه ــ من الثواب

الاخروي العظيم وقد لاحظنا حالة الفرح والاطمئنان التي كان عليها ذلك العبد نتيجة اعتماده على سيده ومالكه وهو مخلوق ضعيف مثله لا يجلب له نفعا ولا يدفع عنه ضررا الا بحول من الله سبحانه وعونه .

الفرق بين التوكل على الخالق والتوكل على المخلوق :

وهذا بخلاف الاعتماد على المالك والسيد الحقيقي القادر على كل شيء فإن الاعتماد عليه واللجوء اليه يكون اعتمادا على ركن وثيق لا يخيب آمله ولا يرد سائله الا بما يفيده حاضرا ومستقبلا دنيا وآخرة او في الآخرة لانها خير وأبقى ــ والتنبه لهذه الحقيقة الإيمانية هو الذي حرك في قلب الخليفة باعث الرجوع الى المرجع الحقيقي والملجأ الواقعي بالاعتماد عليه وايكال الامر اليه ونتج عن ذلك إزالة ظاهرة الحزن والكآبة وعودة الناس الى الوضع الطبيعي وحيث ان للتوكل على الله سبحانه بكل اقسامه المتقدمة دوره البارز في زرع الثقة والاطمئنان في نفس المؤمن المتوكل فقد ورد التنويه بشأنه والثناء على المتصفين به في العديد من الآيات والكثير من الروايات كما ورد ذلك في كلام بعض الحكماء وشعر الشعراء .

وقد مر ذكر بعض الآيات والروايات في صدر الحديث ويسرني ان اختمه برواية واردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعض الحكم والابيات الشعرية الواردة حول موضوع التوكل .

روي عن ابن عباس انه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي : إني

==========

أعلمك كلمات : إحفظ الله يحفظك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان تنفعك بشيء لا ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على ان تضرك بشيء لا يضرونك الا بشيء قد كتبه الله عليك .

ومن كلام لبعض الحكماء في بيان فائدة التوكل على الله سبحانه وتسليم الامر اليه :

من ايقن ان الرزق الذي قسم له لا يفوته تعجل الراحة ومن ايقن ان الذي قضي به عليه لم يكن ليخطئه فقد استراح من الجزع ومن علم ان مولاه خير له من العباد فقصده كفاه همه وجمع شمله .

وقال الشاعر :

وما ثم إلا الله في كل حـــالة * فلا تتكل يوماً على غير لطفه

فكم حالة تأتي ويكرهها الفتى * وخيرته فيها على رغم أنـــفه

وقال آخر :

توكل على الرحمن في الأمر كله * فما خاب حقاً من عليه توكلا

وكن واثقاً بالله واصبر لحـــــكمه * تفز بالذي ترجوه منه تفضلا

وقال بعض الأعلام :

كن عن همومك معرضا * وكل الامور الى القــضا

فلرب أمــر مـــــسخط * لك في عواقبه رضـــــا

ولربما اتسع المضــيق * وربما ضـــاق الفـــــضا

الله عــودك الجـــــميل * فقس على ما قــد مضى

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ايها الاخوان الاعزاء والابناء الاحباء اولا وآخراً ــ ورحمة الله وبركاته .

==========

(٢٣٨)

الخطبة الثانية والعشرون [١]

العبادات والتوبة خاصة حمامات روحية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين .

والسلام عليكم أيها الاخوان الاعزاء والابناء الاحباء ورحمة الله وبركاته .

وبعد : كان المنطلق للحديث حول موضوع العبادات والتوبة خاصة ودورها في نظافة الروح والنفس من أوساخ الذنوب والخطايا .

أجل : كان المنطلق لهذا الحديث هو إعادة صبغ المسجد الذي القيت فيه هذه الخطبة ــ وهو مسجد الامام المهدي عليه السلام وذلك بتشبيه النفس البشرية بالامور المادية التي تعرض عليها

النظافة بعد التوسيخ والجمال بعد التشويه .

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في مسجد الإمام المهدي (عج) يوم الجمعة في ٨ ــ ٨ ــ ١٩٨٦ م .

==========

وحاصل ما ذكرته حول هذا الموضوع في هذه الخطبة التي دارت حوله وتحركت في فلكه هو ان النفس البشرية تولد نظيفة من كل الاوساخ المعنوية وطاهرة من جميع النجاسات الروحية وانما يطرأ عليها بعد ذلك ما يطرأ من الاوساخ المعنوية نتيجة الاخطاء والذنوب التي تحصل منها عندما تدخل في سلك التكليف وتنطلق في طريق المسؤولية وتتغلب فيها عوامل الانحراف على بواعث الاستقامة بسبب عدم العصمة .

وحيث ان الله ارحم الراحمين فهو يقدر الصعوبة والمعاناة التي تتحملها النفس البشرية عندما تخوض معركة الصراع في ميدان الحياة وتضغط عليها غرائزها الجامحة الى درجة تؤدي بها الى السقوط في ساحة هذا الصراع والله سبحانه برحمته الواسعة لا يريد لها البقاء على سقوطها ورسوبها في الامتحان الصعب لذلك يطلب منها ان تنهض من كبوتها وتقلع عن خطيئتها وتعود الى جادة الاستقامة من جديد وهيأ لها الوسائل التكوينية الفطرية التي اودعها فيها لتدفعها نحو التوبة والعودة الى منهج الشرع القويم وصراطه المستقيم واهم الوسائل التكوينية غريزة الندم التي تثير وخزا في الضمير وألماً في النفس الامر الذي يدفع بها الى واحة الرضوان الإلهي لتتفيأ ظلاله الوارفة وتتقي حرارة الشعور بالخطيئة .

الوسيلة التكوينية والتشريعية لحصول التوبة :

كما هيأ لها الوسيلة التشريعية المؤكدة لتلك الوسائل التكوينية وتأتي العبادات المعهودة في الطليعة من بين الوسائل التشريعية التي تساهم مساهمة فعالة في مرحلتين :

==========

الأولى : مرحلة الوقاية من الوقوع في الانحراف بسبب ربطها للمخلوق بخالقه بسلك التقوى والاستقامة في جادة العبودية .

والثانية : مرحلة العلاج بعد الإصابة وحصول المخالفة .

ودور التوبة منحصر في المرحلة الثانية لانها مطلوبة من العبد لتكون عملية تطهير وتنظيف للنفس من اوساخ الذنوب كما هو واضح .

دور الصلاة في تحقق الطهارة الروحية والجسمية :

والآن نلقي نظرة خاطفة خلال وقفة تأمل في دور كل واحدة من العبادات في مجال الوقاية والعلاج ولنبدأ بأهمها وهو الصلاة لكونها عمود الدين كما المعروف فنقول :

ان الصلاة حمام روحي وجسمي لاقتضائها بطبيعتها تنظيف الجسم والثوب مع اقتضائها ايضا نظافة الروح والنفس والضمير مما يعلق بها اثناء انطلاقها في درب الحياة من اوساخ الخطايا باعتبار انها في واقعها صلة النفس البشرية وارتباطها المعنوي بالمبدأ الاعلى فكريا وروحيا وهذا يقتضي بطبعه قربها من الحق والهدى والخير وبعدها في المقابل عن الباطل والضلال والشر ــ وهذا هو الوجه في اقتضاء الصلاة النهي والانتهاء عن الفحشاء والمنكر كما هو مضمون الآية الكريمة وبهذا الاعتبار شبهها الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالحوض الذي يكون في دار الشخص فكما انه اذا اغتسل ونظف جسمه به خمس مرات في اليوم لا يبقى على جسمه شيء من الوسخ المادي ــ كذلك الصلاة التي يلتزم المؤمن بالاتيان بها يوميا خمس مرات لا تبقي على روحه ونفسه شيئا من اوساخ الذنوب .

==========

ويؤكد هذا المعنى مضمون قصة حاصلها ان شخصا اراد ممارسة الحرام مع امرأة فرفضت واشترطت لموافقتها على اجابة طلبه ان يلتزم بالصلاة جماعة مدة محددة من الزمن ــ وقبل انتهاء المدة هداه الله سبحانه وعدل عما كان عازما عليه بالحرام ليوفقه الله بعد ذلك لحصول مراده بالحلال على كتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا مضمون قوله تعالى :

(**ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لايحتسب**) [1] .

والوجه في ايصال الصلاة لهذه النتيجة هو ان المصلي اذا تنبه لمعاني اذكار الصلاة واقوالها ومرامي حركاتها وافعالها وتفاعل معها نفسيا وشعوريا بحيث تكون صلة بالله سبحانه وصلاة له بالروح والجسم معا فلا بد ان تسير به في طريق التقوى والاستقامة كما اراد الله سبحانه .

دور الصلاة في تطهير الإنسان نفسا وولداً ومالاً :

وكما ان الصلاة تطهر النفس والقلب بالطهارة المعنوية من نجاسات الذنوب ــ كذلك تطهر المال والولد من الحرام ليصبح المال حلالاً والولد ولد حلال وذلك لان الصلاة كما تقتضي بطبعها النهي والانتهاء عن الفحشاء والمنكر كذلك هي تقتضي من ناحية خارجية تطهير المال الذي يريد ان يشتري به ثوبا للصلاة من الحق الشرعي الذي تعلق به لاشتراط صحتها بذلك كما هو معلوم على حد اشتراطها بطهارة البدن والثوب من النجاسة المادية واما تأثير الصلاة في تولد الولد من الحلال

---

(١) سورة الطلاق ، الآيتان : ٢ ، ٣ .

==========

فباعتبار دفعها المكلف لتطهير المال من الحرام ومنعها له من اكتسابه من المصدر الحرام وبذلك يكون هذا المال طاهرا وحلالا فيكون الولد المتولد من النطفة المتكونة من الدم الناشىء من الغذاء الحلال ــ ولد حلال ولا يكون ابن حرام متولدا من العلاقة غير الشرعية او من الغذاء الحرام لان الصلاة الصادرة من المؤمن الواعي لاهدافها والمحقق لغاياتها تمنع المصلي من كل نوع من انواع الحرام بمقتضى نهيها وانتهاء المصلي بها عن الفحشاء والمنكر كما سبق .

وهذا بخلاف الشخص الذي يترك الصلاة ويقطع صلته بالله سبحانه ليطلق لنفسه الامارة بالسوء ــ العنان في ميدان الاهواء فلا يلتزم بفعل واجب ولا ترك حرام ــ فقد تكون علاقته الجنسية غير شرعية ولو كانت شرعية ولكنه لا يتورع عن تناول الغذاء الحرام او المشتمل على الحرام ــ وتكون النتيجة ما ذكرناه من تولد ولده بالطريق غير الشرعي او من الغذاء الحرام وكلا السببين يؤديان الى نتيجة سلبية بالنسبة الى هذا الولد حيث يكون ميله الى الشر اقوى من ميله الى الخير ويسبب ذلك صعوبة في تربيته بالنسبة الى من يشرف عليها ويتحمل مسؤوليتها كما يصعب عليه نفسه ان يسيطر عليها ويسير بها في درب التقوى والاستقامة ــ ولهذا ورد في حق ابن الزنا ــ انه لا ينجب الا من رحمه الله وادركته العناية الإلهية وهيأت له من يجاهد في سبيل تربيته والسير به في درب الخير والفضلية والنجابة .

والصوم ايضا حمام روحي آخر يطهر النفس من أدناس الذنوب والمعاصي بماء التقوى باعتبارها الغاية الاساسية المقصودة منه والفائدة الكبيرة المترتبة عليه لقوله تعالى :

==========

(**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) [١] .

والصوم يطهر الجسم ايضا من الامراض التي يصاب بها وينحصر علاجها به لان الصوم بطبيعته يقوم اولا بدور الوقاية من الاصابة بكثير من الامراض كما يقوم ثانيا بدور العلاج بعد حصول الاصابة وهذا ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « صوموا تصحوا » .

دور فريضة الحج في تطهير نفس المكلف وماله :

وفريضة الحج حمام روحي ايضا يطهر الروح والنفس من اوساخ الذنوب كما يطهر في الغالب المال من الحق الشرعي حيث لا يصح الا بالمال المطهر من حق الغير كما هو واضح ولذلك نرى كثيرين ممن لا يلتزمون بالفريضة المالية خمسها وزكاتها يلتزمون بتطهير مالهم الذي يحجون به لتوقف صحته على ذلك ــ وربما توفق بعضهم للقيام بعملية تطهير شاملة لكل امواله مع الالتزام بإخراج الحق الشرعي سنويا بعد تحديد رأس سنة له على يد أحد وكلاء المرجع الذي يرجع غليه في التقليد ــ وهذا واجب على كل مكلف بقطع النظر عن فريضة الحج واقتضائها تطهير المال من الحق الشرعي لان هذا التطهير واجب مستقل كالصوم والصلاة ــ لذلك يطلب من كل مكلف ان يتنبه لهذه الوظيفة الشرعية الهامة التي تتم بها سائر الفرائض لتوقف صحتها عليها كما تقدم بالنسبة الى الصلاة والحج حيث لا تصح الصلاة بثوب اشتري بمال متعلق للحق الشرعي كما لا يصح الحج بمثل هذا المال ايضا .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٣ .

==========

ومع فرض صحة هاتين الفريضيتن وعدم توقفهما على اخراج الحق الشرعي كما يتفق ذلك في بعض الفروض ــ ولكن المتأمل في حكمة تشريع العبادات كلها بصورة عامة والصوم والصلاة والحج بصورة خاصة يدرك جيدا ان الغاية الاساسية المقصودة منها هي التقوى المتمثلة بفعل الواجبات وترك المحرمات ومن المعلوم ان تأدية الفريضة المالية بإخراج الخمس وإيتاء الزكاة من اهم الواجبات وتركها من أبرز المحرمات لانه يشتمل على المعصية من ناحيتين .

الأولى : ترجع الى الخالق المشرع .

والثانية : تعود الى المخلوق بسبب غصب حقه وحرمانه منه وبذلك يعرف دور الفريضة

المالية في تطهير المال من حق الغير مع تطهيرها النفس من درن الشح ودنس البخل والحرص .

دور التوبة في تطهير الإنسان نفسا ومالاً وولداً :

واذا طهرت الروح وسلم القلب من الامراض المعنوية المذكورة ونحوها من الصفات الذميمة المدمرة يسلم الجسم من الكثير من الامراض المادية التي تنشأ غالباً من تلك الامراض المعنوية المحطمة وعلى هذا يصح ان يقال : الجسم السليم في العقل والقلب السليمين ــ كما يقال في المقابل العقل السليم في الجسم السليم .

وهناك حمام اكبر واوسع من حمام العبادات المذكورة وهو حمام التوبة الذي يطهر النفس والروح من اوساخ الذنوب الحاصلة من ارتكاب المحرمات وترك الواجبات وخصوصا الواجبات العبادية المعهودة التي تقدم انها حمامات روحية تطهر النفس من النجاسات المعنوية فإن ترك

==========

هذا الواجبات مضافا الى ترك الواجبات الاخرى وفعل المحرمات يؤدي لان يسقط مثل هذا الإنسان في مستنقع من اوساخ الذنوب وادران الخطايا ولا ينقذه منه ويطهره من أقذاره سوى حمام التوبة الكبير القابل لان يزيل عنه ذلك ويعيده الى حالته الاولية من الطهارة والنقاء كما اراد الله سبحانه له بفتح باب التوبة امام المنحرفين عن جادة العبودية وشجعهم على التطهير من الادناس بمائها بأنه سبحانه بعد تنظيفهم لنفوسهم يصبحون محبوبين لديه ومقربين اليه وكأنه لم يحصل منهم شيء من الخطأ والانحراف ــ وهذا ما أراد بيانه لهم بقوله تعالى :

(**إن الله يحبُ التوابين ويحب المتطهرين**) [١] .

الأمور المحققة للتوبة الواجبة على المكلف :

وحيث ان للتوبة دورها البارز في تنظيف النفس وتطهير الروح من شوائب الخطايا ــ فقد اوجبها الله بالوجوب الفوري والمؤكد وهي لا تتحقق الا بشروط عديدة أهمها ما يلي :

الأول : الندم على ما حصل من المخالفة والانحراف عن جادة العبودية .

الثاني : العزم والإصرار على عدم العودة الى المخالفة .

الثالث : ايصال الحقوق التي غصبت بسبب المخالفة والإنحراف عن الجادة .

وبعد التأمل بمضمون كل واحد من هذه الامور يعرف انها مقومة

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٢ .

==========

لحقيقة التوبة على حد تقوم الصلاة بأجزائها المعهودة وخصوصا الركنية منها وليست شروطا خارجة عن طبيعتها ودخيلة في صحتها وترتب الاثر عليها كما هو المفهوم من كلمة الشرط .

وتوضيح ذلك : ان التوبة معناها الرجوع الى جادة الاطاعة عمليا والعدول عما كان عليه ومن المعلوم ان هذا لا يتحقق الا بعد الشعور بالخطأ والندم على ما سلف وهذا لا بد ان يكون بمرتبة قوية بحيث تسبب عند التائب ردة فعل وحالة انقباض فكري وعاطفي تجاه المخالفة السالفة لان ذلك هو الذي يحقق الامر الثاني المتمم للأول ــ وهو ــ اي الثاني الإصرار على عدم الرجوع الى ما كان عليه لان الإصرار على العودة يدل على عدم الندم والتردد في العودة واحتمال حصولها يدل على ضعف الندم او عدمه .

اشتراط تحقق التوبة بارجاع كل حق الى صاحبه :

وبذلك يعرف الوجه في اعتبار الامر الثالث في تحقق التوبة وهو ارجاع كل حق اغتصبه بالمعصية ــ الى صاحبه وذلك لان التوبة في واقعها عملية تطهير من دنس المخالفة ومن المعلوم ان ازالة هذا الدنس لا يكون الا بازالة السبب المؤدي له لأن بقاء السبب واستمراره يقتضي بقاء ما نشأ منه وترتب عليه وحيث ان المخالفة ادت الى غصب حق الإطاعة لله سبحانه وقد يقترن ذلك باغتصاب حق بعض الناس ــ ففي هذا الفرض اذا كان حق الله سبحانه واجب القضاء والتدارك كالصلاة والصوم والزكاة والخمس والحج ــ اذا تركها المكلف وجب عليه قضاؤها ويفترق الواجبان الاولان والخامس [1] عن الواجبين الماليين ــ وهما الخمس

---

(١) والخامس وهو الحج .

==========

والزكاة ــ بأن الماليين يثبت فيهما حقان احدهما معنوي وهو حق الإطاعة لله بالقضاء والثاني حق مادي وهو نفس الحق الشرعي الذي تعلق بمال العاصي لمستحقه وأما غير هذين الواجبين من الفروض الثلاثة المذكورة وهي الصلاة والصوم والحج فليس فيها سوى حق واحد وهو حق القضاء وهو بديل عن حق الاداء الذي كان ثابتا قبل حصول المخالفة المفوته .

والحاصل : أن المعصية اذا أدت الى غصب حق معنوي لله سبحانه ــ وحده او مع غصب حق مادي للغير وكان واجب القضاء فالتوبة لا تتحقق الا بقضاء ما وجب عليه قضاؤه لصاحبه لانه مع عدم القضاء يكون واقعا في معصية اخرى وراء المعصية الاولى ــ وهي نجاسة معنوية ثانية تضاف الى سابقتها ومع ذلك لا يعقل حصول التوبة بمعنى الطهارة والنظافة من دنس المعصية كما هو واضح ــ من أجل هذا وذاك اشترطوا لتحقق التوبة إرجاع كل حق غصب بالمخالفة السابقة ــ الى صاحبه والله سبحانه هو المسؤول ان يوفقنا جميعا لما فيه رضاه وسعادتنا في الدنيا والآخرة .

والسلام عليكم أيها الإخوان الأعزاء أولاً وآخراً ورحمة الله وبركاته .

==========

الخطبة الثالثة والعشرون [١]

من وحي عيد الاضحى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين .

والسلام عليكم أيها الاخوان الاعزاء والابناء الاحباء ورحمة الله وبركاته .

وبعد : إن عيدي الفطر والاضحى عيدان إسلاميان عظيمان قد اهتم بهما الاسلام واحتفل المسلمون سابقا ولا يزالون يحتفون بهما لاحقاً والله سبحانه عندما شرع هذين العيدين فقد استهدف بذلك حكمة بالغة ومصلحة عامة هامة كما هو الشأن في جميع ما شرعه من احكام فهو الحكيم الذي لا يشرع حكما الا لحكمة فيه ومصلحة تترتب عليه وتعود على الانسان فرداً ومجتمعا .

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في مسجد الإمام المهدي (عج) في ١٥ ــ ٨ ــ ١٩٨٦ م الموافق ١٠ ــ ١٢ ــ ١٤٠٧ هـ .

==========

واذا نظرنا بعين البصيرة الى الحكمة المستهدفة من جعل اليوم الاول من شهر شوال عيداً عاماً للمسلمين ويسمى بعيد الفطر ــ ندرك ان الحكمة في ذلك والغاية المتوخاة منه هي الاحتفاء والاحتفال بإقامة مهرجان تكريمي بمناسبة تخرج مجموعة من أبطال العقيدة من مدرسة التدريب الروحي باعتبار ان صوم شهر رمضان المبارك يعتبر دورة تدريبية سنوية يتدرب فيها الصائمون على ما يقوي ارواحهم واجسامهم ويجعل منهم ابطالا شجعانا يتحملون المشاق ويقتحمون المعارك في سبيل نصرة المبدأ والدفاع عن الوطن وتحريره وبعد انتهاء فترة الدورة يكون التخرج والاحتفال بهذه المناسبة كما جرت العادة على ذلك بمناسبة تخرج مجموعة من الضباط والجنود الابطال من المدرسة الحربية بنجاح وتفوق من اجل تكريمهم وتوزيع الجوائز التكريمية عليهم .

وهكذا الاحتفال بيوم عيد الفطر إنما كان لهذه الغاية وتلك الحكمة .

عيد الفطر لا يشمل المفطرين بدون عذر :

وبذلك يعرف ان هذا العيد مقصور على خصوص الصائمين الناجحين في مدرسة الصيام بامتثالهم امر الله سبحانه وقيامهم بهذه الدورة التدريبية ــ ولا يشمل بوجه من الوجوه اولئك الذين أفطروا في شهر رمضان المبارك وخالفوا تعاليم الرحمن فهم خارجون عن هذا العيد وهم انفسهم يشعرون بخروجهم عنه كما خرجوا عن جادة الطاعة في شهر الرحمة والمغفرة .

والذي يتوقع حصوله لهم هو خجلهم من أنفسهم ومن الآخرين في

==========

هذا اليوم الذي يقدم فيه المؤمن الملتزم لاخيه المشابه له بالالتزام التهنئة بما وفقه الله له من الانتصار على الذات وعدم الانجراف بتيار الاهواء والشهوات كما حصل لغير الملتزم الذي انهزم في معركة الجهاد الاكبر واصبح يعيش ذل الهزيمة وهوانها في الوقت الذي يعيش فيه اخوه الصائم بهجة الانتصار وعزة الفخار ــ وما يحصل لكل واحد من الصائم الملتزم ــ من الفرحة والبهجة المعجلة ــ وما يحصل للمفطر المنهزم من ألم النفس ووخز الضمير والشعور بالسقوط والرسوب في امتحان التكليف .

أجل : إن ما يحصل للأول من نعيم الفرحة ونشوة العزة وللثاني من وهن الهزيمة وألم الكآبة ــ يعتبر جزاء معجلاً على ما قدمه من خير وشر انطلاقا من قوله تعالى : (**فمن يعمل مثقال**

ذرة خيراً يرهُ * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يرهُ) [1] .

ويبقى الجزاء الاوفى والاعظم مؤجلا ليوم الجزاء الخالد بالسعادة الدائمة او الشقاوة المستمرة (**ولايظلم ربك أحداً**) [2] .

ثم إن الرسوب في مدرسة الصيام نوعان :

الأول : الرسوب الواضح وهو الحاصل بترك الصيام من الاساس .

والثاني : هو الحاصل بعدم تحقيق الغاية المقصودة من الصوم بعد الإتيان به وهي الالتزام بمنهج التقوى ــ كما يستفاد ذلك من صريح قوله تعالى :

---

(١) سورة الزلزلة ، الآيتان : ٧ ، ٨ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٤٩ .

(**يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) [1] .

عيد الفطر مختص بالصائمين المتقين :

فالصائم الذي أتى بالصوم مقتصرا فيه على ترك مفطراته المعهودة المعدودة وأكثرها مباحات وغير متورع عن ارتكاب المحرمات الشرعية ــ لا يكون ناجحا في مدرسة الصيام بل هو راسب برسوب غير واضح لدى الكثيرين ممن يتوهمون ان الصيام المطلوب من المكلف وجوبا او استحبابا يتحقق بمجرد الإمساك عن تلك المفطرات ضمن ايام معدودات .

وأما المؤمنون الواعون المدركون لغاية الصوم وفلسفته فهم يرون ان هذا الصائم بحكم ذلك المفطر التارك للصوم بالكلية من حيث النتيجة .

وقد اشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى هذا المعنى بقوله المشهور : رب صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش .

وحاصل ما تقدم ان عيد الفطر بما يحمل في طيه من معان إيجابية مشرقة ــ مختص بمن ادى فريضة الصوم وحقق غايتها وهي التقوى والى هذا المعنى اشار بعض الحكماء بقوله :

ليس العيد لمن لبس الجديد ولكن العيد لمن أمن عذاب الوعيد لأن الآمن من ذلك هو الذي أدى ما أوجب الله عليه على وجهه الصحيح وحقق غايته المقصودة منه وتأتي فريضة الصيام لتكون في الطليعة من بين

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٣ .

==========

الواجبات التي تثمر الالتزام بفعل سائر الواجبات وترك جميع المحرمات كما هو مقتضى التقوى المقصودة من هذه الفريضة ــ اي فريضة الصوم .

واما عيد الاضحى فهو كعيد الفطر مقصور ايضا على طبقة خاصة من المكلفين وهي التي ضحت بشهواتها ومنافعها المادية الدنيوية الزائلة في سبيل منافعها الاخروية الباقية ويدخل في ذلك التضحية بالمنفعة الخاصة في سبيل المصلحة العامة التي تنعش المجتمع وتعود عليه بالخير العميم وعلى هذا الاساس يكون المضحي بما ذكرنا في سبيل الهدف الاسمى هو الذي يكون عيد الاضحى عيدا واقعيا له وأما غيره فليس له فيه من نصيب بميزان الحقيقة ومنطق الواقع وان توهم هو وغيره ممن يكون على شاكلته انه مشمول لهذا العيد ومستحق لان تقدم له التهنئة به كما تقدم للمؤمن المجاهد المضحي ــ ولكن الوهم لا يغني عن الحق والواقع شيئا لانه من نوع

السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه عرف حقيقته وبقي على ظمأ .

عيد الاضحى مختص بالمضحين في سبيل الله تعالى :

وقد توفق لهذا العيد في التاريخ أولئك المؤمنون المجاهدون المخلصون الذين ضحوا مع الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم في بداية الدعوة الاسلامية في سبيل تأسيس دولة الحق والدفاع عنها بعد قيامها وشاركهم في مجد هذا العيد وفرحه المبدئي الثابت من سار على نهجهم وترسم خطاهم في معركة التحرير والتطهير القائمة فعلا بين المستضعفين والمستكبرين في العالم بصورة عامة وفي منطقة الشرق الاوسط بصورة خاصة .

واذا عمقنا النظر في التضحية وادركنا مفهومها العام ادركنا انها لا

==========

يخلو منها أحد يكون له هدف في هذه الحياة ويسعى في سبيل تحقيقه وخصوصا اذا كان هدفا كبيرا له وزنه الذاتي والاجتماعي ولا يفرق في ذلك بين كونه هدفا ماديا يراد به تحصيل المال او معنويا يتمثل بتحصيل العلوم والمعارف ونحوها من الاهداف المعنوية ــ لان كل شخص يرسم لنفسه هدفا ويحدد غاية يحتاج لان يضحي براحته ويبذل ما يتناسب معها من الجهد والطاقة وبقدر ما يكون الهدف كبيرا يكون الجهد الذي يحتاجه من اجله كثيرا والى هذا المعنى اشار الشاعر بقوله :

واذا كانت النفوس كباراً * تعبت في مرادها الأجسام

ولا يخفى ان هذا البيان ناظر الى طبيعة الاهداف والغايات في ذاتها بقطع النظر عن نوعيتها من حيث المشروعة وعدمها ــ واما اذا نظرنا الى الموضوع من هذه الزاوية فهنا تبدو وتبرز الخصوصيات المميزة بين الهدف المشروع وغيره وبين الانسان المؤمن الملتزم بخط الشرع في مقام تحديد الهدف واختيار الوسيلة الموصلة له والانسان الآخر المتحلل من نظام السماء والمنطلق مع الاطماع والاهواء .

المؤمن الملتزم ناجح ورابح في السراء والضراء :

ويظهر الفرق بين الطرفين في مجالين ــ الاول مجال البداية بلحاظ النتيجة المعجلة ، والثاني مجال النهاية بلحاظ النتيجة المؤجلة ، وبذلك تظهر لنا قيمة الالتزام الديني ودوره الإيجابي الفعال

في نجاح الإنسان الملتزم وسعادته في دنياه وآخرته .

وتفصيل ذلك ان الإنسان الرسالي الملتزم بخط السماء في كل تصرفاته انسجاما مع الغاية التي خلق الله الانسان من اجلها وهي عبادته وحده لا شريك له ــ يتقيد بالشرع ابتداء في مقام تحديد الهدف ــ فهو لا

==========

يختار الا ما كان مشروعا منه كما لا يختار الا الوسيلة المشروعة اذا كان تحصيله متوقفا على مقدمة تساعد عليه ونتيجة هذا التقيد هو التوفيق لنيل امنيته المشروعة المعجلة ــ لان تقيده بحكم الله سبحانه وعدم تجاوزه الى غير المشروع يعتبر من مصاديق التقوى التي وعد الله سبحانه صاحبها بالتوفيق والمساعدة على تحصيل الغاية المطلوبة له حيث قال سبحانه :

(**ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيثُ لايحتسبُ**) [١] .

وهو ايضا نوع من التوكل على الله وإيكال النتيجة الى توفيقه وهو سبحانه وعد المتوكل عليه بالتأييد والمساعدة حيث قال تعالى :

(**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**) [٢] .

التوكل والتقوى اساس النجاح والفلاح :

واذا اقتضت الحكمة الإلهية والرحمة السماوية عدم ترتب الغاية المقصودة المشروعة على الوسيلة المعدة والسعي المشروع فالمؤمن لا يصاب بالإحباط ولا يناله يأس وبؤس بل يسلم أمره الى الله ويرضى بقضائه قائلا بلسان الحال او المقال ما ذكره الامام عليه السلام في دعائه :

ولعل الذي ابطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الامور ، وذلك لان المؤمن كما ذكرنا يتقيد بنظام الله سبحانه ويتحرك في إطاره في كل تصرفاته وينتج عن ذلك اختياره الهدف المشروع المرضي من قبل الله سبحانه ويسعى الى تحقيقه في الطريق المشروع والوسيلة الجائزة ويترك

---

(١) سورة الطلاق ، الآيتان : ٢ ــ ٣ .

(٢) سورة الطلاق ، الآية : ٣ .

==========

النتيجة الى تقدير الله سبحانه ويتوكل عليه في نجاح سعيه راضيا بكل ما يقدره ويقرره له في النهاية فإذا تحقق النجاح وحصلت الفائدة المعجلة شكر الله سبحانه على توفيقه له مردداً قول النبي سليمان عليه السلام .

(**هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكرُ أم اكفر**) [1] .

وبذلك ينال ثواب الشكر معجلا بزيادة النعمة ودوامها ومؤجلا بنعيم الجنة الخالد يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم . ولا يقول ما حكاه القرآن الكريم عن قارون من قوله :

(**قال إنما أُوتيته على علم عندي**) [2] .

واذا شاءت الحكمة الإلهية عدم حصول الفائدة المعجلة رغم مشروعية الهدف والوسيلة ــ رضي بما قدره الله سبحانه له وصبر عليه منتظرا حصول فائدة الرضا والتسليم يوم الجزاء العادل الذي لا يضيع فيه عمل عامل من ذكر او انثى .

وبهذا وذاك يكون المؤمن المتوكل على الله رابحا وناجحا في سعيه اما لنيله كلتا الفائدتين المعجلة في الحاضر والمؤجلة في مستقبل الآخرة ــ او لنيله فائدة الآخرة المؤجلة .

وأما غير المؤمن فهو على العكس من ذلك غالبا ان لم يكن دائما لانه اذا رسم لنفسه هدفا فهو لا يتقيد بالمشروع منه واذا احتاج الى مقدمة ووسيلة فلا يتقيد بالمشروع منها وينتج عن ذلك عدم توفيقه لنيل غايته المعجلة بسبب حرمتها وبعدها وابعادها له عن توفيق الله سبحانه .

---

(١) سورة النمل ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٧٨ .

==========

التقوى والتوكل مصدر السعادة في الدنيا والآخرة :

وإذا قدر له ان ينجح في سعيه المادي الدنيوي المحرم فذلك هو نصيبه في هذه الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب وبهذه المقارنة الموضوعية نعرف ان المؤمن رابح في تجارته وناجح في دنياه وآخرته على كل حال من احوال هذه الحياة لانه اذا حصلت له نعمة شكر الله عليها فكانت خيراً له في ذاتها وبما يترتب على الشكر عليها من الثواب العظيم ــ وإذا طرأت عليه مصيبة رضي بها وصبر عليها فكانت خيراً له ايضا بلحاظ ما يترتب على الرضا بها والصبر عليها من الثواب العظيم والاجر الجسيم ولهذا نقل عن بعض الحكماء قوله :

عجبت لامر المؤمن اذا حصلت له نعمة شكر الله عليها فكانت خيراً له واذا طرأت عليه

مصيبة صبر عليها فكانت خيرا له فيكون كل ما يحصل له من نعمة ويطرأ عليه من مصيبة ــ خيرا له وذلك ببركة إيمانه الذي يدفعه الى الشكر في الرخاء والصبر في البلاء ــ والى ذلك اشار احد الشعراء بقوله :

إذا كان شكري نعمة الله نعمة * علي له في مثلها يجب الشـــــكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضـــله * وإن طالت الأيام واتصل العــمر
فإن مس بالسراء عم سرورها * وإن مس بالضراء أعقبها الاجــر
فما منهما الا له فيه نـــعمـــة * تضيق بها الاوهام والسر والجــهر

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم أيها الاخوان الاعزاء والأبناء الأحباء ورحمة الله .

==========

الخطبة الرابعة والعشرون [١]

نصر الحسين الشهيد والمهدي
الحفيد يتحقق بنصر الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين .
والسلام عليكم ايها الاخوان الاعزاء الابناء الاحباء ورحمة الله وبركاته .
وبعد : مرة اخرى اعود للتحدث حول موضوع يتعلق بالإمامين العظيمين الحسين الشهيد وحفيده المهدي المجيد سلام الله عليهما من اجل توضيح امر غامض لدى الكثيرين الذي يتمنون لو كانوا في عصر الاول ليكونوا من انصاره المستشهدين بين يديه في معركة الطف كما يدعون الله دائما بأن يعجل فرج الثاني ويسهل مخرجه في المستقبل

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في مسجد الامام المهدي (عج) يوم الجمعة في ٢٨ ــ ٢ ــ ١٩٩٢ م .

==========

(٢٥٨)

القريب ليكونوا من أعوانه المجاهدين معه في سبيل نصر الحق على الباطل والعدل على الظلم .

والامر الذي اريد توضيحه هو ان التمني الذي يبديه اولئك لبيان رغبتهم الجامحة في نصرة الحسين لو كانوا موجودين في عصره ، هذا التمني غير صحيح على ضوء ما ذكره علماء البلاغة من ان التمني انما يصح النطق بعبارته المعهودة فيما اذا كان الامر المرغوب المتمنى متعذرا او متعسرا بحيث يصعب حصوله ولا يكون في متناول قدرة الشخص المتمني له ــ كما في قول الشاعر :

الا ليت الشباب يعود يوماً * فأخبره بما فعل المشيبُ

فعود الشباب الى الشيخ الذي طرأ عليه الشيب لكبره وتقدمه في العمر ــ ممتنع عادة فيصح لغويا وبلاغيا تمنيه .

واما نصرة الحسين عليه السلام فليست كذلك حتى يصح تمني الوجود في عصره من اجل القيام بواجب نصرته .

وتوضيح ذلك ان الصراع الذي وقع في التاريخ لم يقع بين الحسين وانصاره من جهة ويزيد واعوانه من جهة اخرى كأفراد حتى ينتهي الصراع الذي وقع بينهم بانتهائهم وانما كان صراعا بين مبدأ الحق الذي حمله الحسين وجاهد في سبيله ومن معه ومبدأ الباطل الذي حمله يزيد ومن معه ودافعوا عنه ومن المعلوم ان الصراع بين هذين المبدأين وقع في التاريخ بين افراد اول مجتمع وجد على صعيد هذه الحياة وما وقع بين هابيل واخيه قابيل مظهر واحد من مظاهر هذا الصراع المبدئي الذي استمر بعد ذلك الى زمان بعثة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، وبلغ ذروته بعده في عصب سبطه الحسين الشهيد واستمر بعد ذلك الى زماننا هذا حيث

==========

(٢٥٩)

يتكرر هذا الصراع ويستمر باستمرار سببه الى ان يرث الله الارض ومن ما عليها .

الصراع بين الحسين عليه السلام وخصومه صراع بين مبادىء لا الاشخاص :

واذا ادركنا على ضوء ما تقدم من الخطب السابقة ــ ان الحسين عليه السلام وبقية المعصومين من أهل البيت الطاهرين ــ هو قرآن ناطق واسلام عملي حي متحرك وان نصر هذا القرآن المجيد والاسلام الحميد يتحقق بتعلم احكامه وتطبيق نظامه والدفاع عنه فكريا وعسكريا ــ ندرك جيدا اننا قادرون الان وفي عصرنا الحاضر ان نكون من انصار حسين المبدأ والخط والهدف السامي وذلك بتعلمنا لاحكام الاسلام وتطبيق تعاليم القرآن في مختلف مجالات حياتنا ــ ومع تمكننا من ذلك وقدرتنا عليه لا يصح منا التعبير بجملة التمني المعهودة مخاطبين الحسين وأتباعه بقولنا :

يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزا عظيما لما تقدم من ان التمني لا يصح لغويا وبلاغيا الا في المورد الذي يكون المطلب المتمنى غير مقدور وبعد بيان قدرتنا فعلا على نصرة الحسين عليه السلام بنصر الاسلام بما ذكرنا يتضح عدم واقعية هذا التمني على ضوء ما بيناه ولذلك بدل بعض الخطباء البلغاء العبارة المذكورة المشهورة على لسان الكثيرين من الخطباء ــ بعبارة اخرى تتضمن الدعاء بالتوفيق للاستمرار على نهج الحسين والتضحية في سبيل نصرته والدفاع عنه ــ هذا كله بالنسبة الى عبارة التمني المعهودة وقد عرفنا عدم الحاجة الى تكرارها ما دمنا قادرين على تحقيق أمنية نصر سيد الشهداء في اكثر من كربلاء واكثر من عاشوراء لان كربلاء بمعناها الرمزي تشمل كل مكان يتصارع فوقه الحق

==========

والباطل كما ان عاشوراء بمعناها المبدئي تشمل كل يوم يقع فيه هذا الصراع ــ وهذا ما اشار اليه الامام الصادق عليه السلام بقوله : كل ارض كربلاء وكل يوم عاشوراء .

نستطيع ان نكون من أنصار المهدي (عج) قبل ظهوره :

وأما عبارة الدعاء التي يدعو بها الكثيرون من المؤمنين للإمام المهدي (عج) بأن يعجل الله فرجه ويسهل مخرجه من اجل ان يكونوا من انصاره والمستشهدين بين يديه ، اما هذه العبارة فحكمها من حيث عدم الاحتياج اليها هو حكم العبارة السابقة وذلك لنفس الوجه الذي ذكرناه لعدم الاحتياج للأولى وهو وجود القدرة فعلا لان نكون من انصار الحسين عليه السلام وهذا الوجه نفسه يجعلنا بغنى عن عبارة الدعاء المشهورة ــ وذلك لان الدعاء والتضرع الى الله به انما يكون في المورد الذي يكون مطلوب الداعي صعب المنال لخروجه عن نطاق ارادته واختياره مثل عودة الصحة والشفاء للمريض من الداء الخطير وحصول الربح بالمقدار الذي يحقق رغبة

التاجر والنجاح في الامتحان بالدرجة التي تشبع طموح الطالب والانتصار على الاعداء مع عدم حصول التكافؤ بالعدد والعدة وهكذا ففي هذه الموارد حيث ان العامل المادي والمقدمات العادية المقدروة للإنسان غير كافية وحدها لحصول الغرض المطلوب ــ يلجأ حينئذ الى الله سبحانه بالتضرع اليه والانقطاع والتوكل عليه على أمل ان يضم العنصر الغيبي والإمداد الإلهي الى العنصر المادي العادي فيتحقق الهدف المنشود كما تحقق في معركة بدر .

وأما المورد الذي يكون الهدف المطلوب فيه مقدوراً للشخص فلا يكون هناك معنى للدعاء وطلب الإعانة كما اذا دعا الله سبحانه ان يوفقه

==========

لطعام يسد به جوعته او لماء يزيل به ظمأه او لتحصيل مال وهو قادر على ذلك كله بما أعطاه الله من قدرة وسهل له من الوسائل ــ فهذا الدعاء لا يكون صادرا من أهله وواقعا في محله لانه يكون اشبه شيء بطلب تحصيل الحاصل ونصرة الامام المهدي (عج) وكوننا من جنوده وانصاره واقع في نطاق اختيارنا بلحاظ حضوره المعنوي المتمثل بوجود القرآن الكريم وحضور الاسلام العظيم لما تقدم من ان كل واحد من المعصومين ابتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وانتهاء بالمهدي (عج) يعتبر قرآنا ناطقا وإسلاما عمليا متحركا على الصعيد العملي الخارجي ومن المعلوم ان نصرنا للإسلام الذي يتحقق بتعلم احكامه وتطبيق نظامه والدفاع عنه فكريا وعسكريا كما تقدم مقدور لكل مكلف وبقدر طاقته ومعه لا يحتاج لان يكرر الدعاء للإمام المهدي بتعجيل الظهور من اجل ان يكون من انصاره واعوانه والمستشهدين بين يديه مادام قادراً على ذلك قبل ظهوره (عج) .

ثم إن الشخص عندما ينصر الاسلام في ساحة ذاته بترسيخ مبدئه الحق في نفسه ليصبح جزء منها لا ينفصل عنها تحت أي تأثير ثم يتمم هذا النصر بالعمل بمقتضى هذا المبدأ ويتممه ايضا بالدفاع عنه فكريا وعسكريا .

أجل : إن هذا الشخص عندما ينصر الاسلام بما ذكرنا من تعلم أحكامه وتطبيق نظامه والدفاع عنه يكون قد نصر نفسه ونفع ذاته معنويا وماديا دنيويا وأخرويا . وذلك لان تعميق المبدأ في حقل الذات عملية صنع لها وإيجاد بعد العدم لانها بدون المبدأ تكون بمثابة الجسم المجرد عن الروح باعتبار ان المبدأ الحي هو الذي يعطي الروح وجودها الانساني فإذا تجردت عنه يكون لها وجود حيواني مادي لا قيمة له ولا

==========

اعتبار به في ميزان التفاضل ويلحق صاحبها حينئذ بسائر الفصائل الحيوانية بل يكون احط شأنا واضل سبيلا كما قال سبحانه :

(**ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أُولئك كالانعام بل هم أضل أُولئك هم الغافلون**) [١] .

بالدين تتحقق إنسانية الإنسان ويكون وجوده المعنوي :

وبعد صنع نفسه وإيجادها في عالم الاعتبار والتقدير يحتاج بعد ذلك الى ما ينعشها ماديا ومعنويا وهذا يتحقق بالعمل بنظام مبدئه وتطبيقه في مختلف مجالات حياته لكونه نظاما عادلاً وكاملاً مشرعا من قبل الإله العادل الكامل ليحقق للإنسان حياته الكريمة وسعادته وتقدمه في مختلف الميادين .

قال سبحانه : (**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون**) [٢] .

وقال سبحانه : (**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض**) [٣] .

وكذلك تعود فائدة الدفاع عن المبدأ الى شخصه لان سلامته تكون

---

(١) سورة الاعراف ، الآية : ١٧٩ .

(٢) سورة الانفال ، الآية : ٢٤ .

(٣) سورة الاعراف ، الآية : ٩٦ .

==========

سلامة له من كل الاخطار والاضرار التي تصيبه اذا تحطم المبدأ السماوي كما هو واضح ولذلك اوجب الله الجهاد في سبيل حفظه والدفاع عنه واعطى للمجاهد منزلة رفيعة وللمستشهد في هذا السبيل مرتبة اعلى وحياة اسعد وأغلى .

قال : سبحانه : (**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون**) [١] .

وقال سبحانه : (**ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتا بل احياء ولكن لا تشعرون**) [٢] .

وحاصل ما تقدم ان نصر الدين يكون بدراسة رسالته والإيمان بأصولها والعمل بفروعها المتفرعة عليها في مختلف المجالات مع الدفاع عنها وهذا وذاك يعتبر نصرا للحسين عليه السلام بعد استشهاده وللإمام المهدي (عج) قبل ظهوره لان كل واحد منهما يعتبر اسلاما عمليا متحركا وقرآنا تطبيقيا ناطقا ونصر الاسلام بالمعنى المذكور يعتبر نصرا للإمامين الحسين الشهيد والمهدي الحفيد ــ ونصرهما بهذا المعنى مقدور لكل مكلف يتمكن من القيام بما يجب عليه ان يقوم به من التفقه في الدين بتحصيل الإيمان بأصوله والاطلاع على فروعه والعمل بها والدفاع عنه فكريا وعسكريا كما سبق ومن المعلوم ان نتيجة ذلك كله الإيجابية راجعة الى هذا المكلف الذي يقوم بما يجب عليه نحو رسالته ونفسه ووطنه وخالقه قبل كل شيء .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٥٤ .

==========

قال سبحانه : (**من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد**) [١] .

وقال سبحانه : (**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها**) [٢] .

وقال تعالى : (**من عمل صالحا من ذكر أو أُنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون**) [٣] .

ويسرني في الختام ان اقدم الابيات التالية الشارحة لدور الدين في سعادة الانسان فردا ومجتمعا دنيا وآخرة :

بالدين نجني ما نـــريد وننـشد * وبه نحلق للعلـاء ونـــصـعد

هو مصدر لسعادة وحـــضـارة * يمضي بها نحو الامام مـــوحد

تاريخنا الوضاء أصدق نـــاطق * ينبي عن الحق المبين ويشـــهد

قد اخرج الإسلام من ليل الهـوى * شعبا لأصنام الضلالة يســـجد

وسما به نحو الفضـــلية فارتقى * شأنا يقوم له الزمـــان ويقـعد

في حين سار به على نهج الهدى * لنوال ما يجدي ، النبي محـمـدُ

فإذا التأخر نـــهضة وتقـــدم * وإذا الـتـفرق وحـــدة وتـودد

وبذاك اضحى الشعب أفضل أمة * تدعو الى النهج القويم وترشـــد

لتنال في الدنيا كيـــانا شامـــــخا * ونعيمها يوم الجزاء مـــــخـــــلد

والسلام عليكم أيها الاخوان الاعزاء والابناء الاحباء اولا وآخرا ورحمة الله وبركاته .

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٤٦ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٧ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ٩٧ .

الخطبة الخامسة والعشرون [1]

من وحي شهادة الإمام الصادق عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين .

والسلام عليكم أيها الاخوان الاعزاء والابناء الاحباء ورحمة الله وبركاته .

وبعد : في هذا اليوم وهو الخامس والعشرون من شهر شوال سنة ١٤٨ هـ كانت شهادة الامام الصادق عليه السلام كما ان ولادته كانت في السابع عشر [2] من شهر ربيع الاول سنة ٨٣ هـ على المشهور في تاريخ ولادته وشهادته فيكون عمره الشريف يوم شهادته ٦٥ سنة .

أما نسبه من ناحية الأب : فهو نور على علم لا يحتاج الى بيان كما

---

(١) القيت هذه الخطبة في مسجد الامام المهدي (عج) في ١٥ ــ ٣ ــ ١٩٩٦ م .

(٢) وهو يوم ميلاد جده الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم على المشهور عندنا .

==========

ان سمو هذا النسب في ميزان التقدير والاعتبار لا يحتاج الى كشف وتوضيح بعد ان كان مصداقا لقول الشاعر :

نسب كأن عليه من شمس الضحى * نوراً ومن فلق الصباح عموداً

ما فيه الا سيد من سيد * حاز المكارم والتقى والجودا

وأما أمه : فهي فاطمة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر وكانت كسائر امهات الأئمة عليهم السلام ــ مثلا أعلى في التقوى والصلاح والنجابة لان كل واحد من الأئمة عليهم السلام كان يختار لنفسه المرأة الصالحة النجيبة المهذبة لتنجب له الذرية الصالحة لما هو المعلوم من وجود دور بارز وأثر بليغ لنجابة الام في نجابة الابناء من ناحية الوراثة اولا ومن جهة حسن التربية وسلامة التغذية الجسمية والروحية من ناحية اخرى لان الأم الملتزمة دينيا اذا كان زوجها ملتزما ايضا فهما يتقيدان بالغذاء والشراب الحلال ويبتعدان عن الحرام منه وبعض المؤمنين يبتعد عن

موضع الشبهة ايضا من اجل الاحتياط لبراءة الذمة من التكليف الواقعي مع الاحتياط ايضا لسلامة نفسية الطفل وروحه من التأثر سلبيا بما يتصل بحياته ابتداء في اصل التكوين او بعد تكونه ــ من الغذاء والشراب الحرام واقعا ولو كان مشكوك الحرمة لان حرمته الواقعية تترك أثرا سيئا كما ان الطعام او الشراب المسموم واقعا يؤثر على صحة الآكل والشارب وإن لم يعلم بوجود السم فيه .

دور نجابة الأم في نجابة الابناء واعتدال سلوكهم :

أجل : إن لنجابة الأم أثراً إيجابيا في نجابة الابناء كما ذكرنا وحيث ان كل واحد من أئمة أهل البيت عليهم السلام قد بلغ ذروة الكمال البشري كما ان كل واحدة من أمهاتهم كانت المثل الاعلى في النجابة والصلاح ــ فقد

==========

ارتفع كل واحد منهم الى ارقى درجة وأسمى مرتبة من مراتب الفضل والكمال كما أراد الله لهم ان يكونوا من أجل ان تتم الحجة بهم على الخلق من قبل الله سبحانه .

والحديث عن الامام الصادق عليه السلام بمناسبة ولادته او شهادته يعتبر حديثا عن كل واحد من آبائه الطاهرين وابنائه المطهرين لانهم كلهم نور واحد انبثق من نور العناية الإلهية والرحمة السماوية التي شاءت ان توجدهم في هذه الحياة ليكونوا شمسها الساطعة ونجومها اللامعة التي تنير للإنسانية درب الكمال والفضيلة والتقدم والسعادة ــ كما اوجد الشمس والكواكب المادية لتنير للبشرية درب الحياة وتساعدهم على ادراك اهدافهم الحياتية فيها ولقد صدق من قال في حقهم :

هم النور نور الله جـــــل جلاله * هم التين والزيتون والشفع والوتــر
ولولاهم لم يخـــلق الله أدمـــــا * وما كان زيد في الوجود ولا عمرو
وما سطحت أرض ولا رفعت سما * وما سطعت شمس ولا طلع البــدر

والحديث عن أهل بيت العصمة يعتبر حديثا عن الاسلام العملي المتحرك وتفسيرا للقرآن الناطق ــ واذا اردنا ان نشير الى هذا الاسلام العملي العظيم والقرآن الناطق الكريم ــ بعناوين موضحة تدل عليه وتلفت الانظار اليه فنقول :

انه العلم النافع الذي يثمر لصاحبه الايمان الصادق الذي يترجمه على الصعيد الخارجي العمل

الصالح والخلق الفاضل وعلى هذا فإن الحديث عن كل واحد من أهل البيت وترجمة حياتهم وشرح سيرتهم عليهم السلام يكون بالحديث عن هذه العناوين المشرقة والمعاني المتألقة ــ ولنبدأ اولاً بالعنوان الاول وهو العلم النافع فنقول :

==========

اختلاف علم أهل البيت عن علم غيرهم كيفاً وكماً :

ان علم اهل البيت عليهم السلام يختلف عن علم غيرهم من الاشخاص العاديين من ناحيتين الاولى ناحية الكيف والثانية ناحية الكم ــ والمراد بالكيف الذي تميز به علمهم عليهم السلام عن علم غيرهم هو كيفية حصوله لهم وهي الإلهام السماوي بالنسبة الى الأئمة والوحي الإلهي بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مقابل كيفية حصول علم غيرهم حيث ان المتعارف المعهود في مصدر حصول العلم لغير اهل البيت هو الاكتساب والتعلم من المعلم الذي يعطي العلم لطلابه ولذلك يذكر في ترجمة اي عالم من العلماء انه تلقى العلم الفلاني من المعلم الفلاني والعالم المعين ــ ولم يحدثنا التاريخ عن شخص أصبح عالماً ونال درجة مرموقة في العلم والمعرفة بدون معلم غير أهل البيت عليهم افضل الصلاة والسلام .

ويؤكد ذلك ما روي في حق كل واحد منهم من انه كان ينطق بالشهادتين اول ولادته ويسأل عن بعض الاحكام الشرعية ونحوها فيجيب على السؤال وهو لا يزال طفلا كما يستفاد ذلك من الرواية التي يقول فيها يعقوب السراج : دخلت على ابي عبد الله الصادق عليه السلام وهو واقف فوق رأس ابي الحسن موسى الكاظم عليه السلام وهو في المهد فجعل يساره طويلا فجلست حتى اذا قمت اليه فقال لي :

ادن من مولاك فسلمت عليه فرد عليه السلام بلسان فصيح ثم قال لي : اذهب فغير اسم ابنتك التي ولدت ليلة امس فإنه اسم يبغضه الله تعالى فقال ابو عبد الله :

يا يعقوب انته الى أمره ترشد قال فغيرت اسمها فالمستفاد من هذه

==========

القصة ان الامام أُلهم العلم بالغيب في الاحكام الشرعية وغيرها رغم طفولته وحداثة سنه .

بيان ان علم أهل البيت بالإلهام من الله لا بالتعلم من البشر :

ويؤكد ذلك قصة اخرى حصلت بين الامام موسى الكاظم عليه السلام وابي حنيفة وحاصلها .

ان ابا حنيفة صار الى باب ابي عبد الله الصادق عليه السلام والامام موسى بن جعفر يؤمئذ ابن خمس سنوات فدعاه ابو حنيفة وقال له : يا غلام اين يضع الغريب حاجته في بلدكم هذا .

فقال له الامام في الجواب :

يا شيخ انه يتوارى خلف الجدار ويتوقى اعين النظار ويتجنب شواطىء الانهار ومساقط الثمار ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وليضع حيث شاء فتعجب ابو حنيفة من علمه حيث شرح له احكام التخلي من واجبات ومحرمات ومكروهات وعندما وجه اليه السؤال التالي فقال : يا غلام ممن المعصية ؟ .

فقال الامام الكاظم عليه السلام : يا شيخ لا تخلو من ثلاثة فروض فإما ان تكون المعصية من الله والعبد مجبور عليها وليس منه شيء وعليه فليس للحكيم ان يعاقب عبده ما اجبره عليه ولا ان يؤاخذه بما لم يفعله بإرادته .

واما ان تكون من العبد ومن الله وعليه فالله اقوى الشريكين فليس للشريك الاكبر ان يعذب الشريك الاصغر بذنبه الذي هو أعانه عليه واشترك معه في قيامه به .

==========

واما ان تكون المعصية من العبد وحده وليس من الله شيء فإن شاء عفا وان شاء عاقب فأدهش الحاضرون من علم الامام وهو بذلك السن لان انحصار الذنب بين الوجوه الثلاثة التي ذكرها الامام عليه السلام عقلي ولا رابع لها فإذا انتفى الوجهان الاولان تعين الثالث حتما ونظير هاتين القصتين ما حصل للإمام الجواد عليه السلام مع القاضي يحيى بن اكثم في قصة المناظرة المشهورة والتي غلب فيها الامام القاضي رغم حداثة سنه حيث كان له من العمر تسع سنوات ــ ونظيرها قصة الامام الهادي عليه السلام مع الجنيدي الذي كلف من قبل الخليفة العباسي بأن يشرف على تعليم الامام عليه السلام وكان له من العمر ست سنوات فوجده اعلم منه في كل العلوم بحيث تحول من معلم له الى تلميذ يتلقى العلوم منه كما اعترف بذلك هو أي الجنيدي .

تفوق أهل البيت على غيرهم بكل العلوم مع علمهم بكل اللغات :

وكما كان كل واحد من الأئمة أعلم أهل زمانه بكل العلوم والمعارف كان ملما بكل اللغات الموجودة في عصره بحيث كان يخاطب كل قوم بلغتهم الامر الذي اثار استغراب بعض اصحاب

الامام الهادي عليه السلام ــ على ما اذكر فسأله عن سبب تعلمه لهذه اللغات الاجنبية رغم انه ولد في مجتمع عربي ولم يعاشر غيره ليستفيد منه اللغات الاخرى وقد بين الامام له السبب في ذلك وانه الإلهام الإلهي من اجل ان تتم الحجة لله على خلقه حيث لا تتم الا اذا كان الامام عليه السلام أعلم أهل عصره بكل العلوم وبكل اللغات السائدة .

ونحن عندما نقدر ونقدس أهل البيت عليهم السلام من الناحية العلمية فلا نقدرهم لمجرد تفوقهم على غيرهم بالعلوم والمعارف بل لتفوقهم بالعمل

==========

بذلك العلم الغزير فهم كما كانوا اعلم الناس كانوا ايضا اعبدهم واكثرهم تمسكا بالاحكام الشرعية وتقيدا وتعبدا بالتعاليم الإلهية بحيث كانت سيرتهم الغراء تجسيدا حيا للشريعة السمحاء .

وعندما نصف الاسلام العملي بأنه العلم النافع فإنا نقصد بهذا العلم ما يكون نورا يكشف لصاحبه ما يجب عليه ان يعرف به ويطلع عليه ليكون صادقا للإجابة على عدة اسئلة تطرح نفسها الى الذهن البشري وتطلب الاجابة عليها وهي كما يلي :

من الذي خلق الإنسان واوجد هذا الكون الفسيح ؟ ولماذا وجد هذا العالم وخلق الإنسان ؟ ولماذا التكليف وما هي الفائدة المترتبة عليه وما هو مصير الإنسان بعد الموت ؟ .

علم الأديان مصدر سعادة الإنسان :

ويسمى هذا العلم الذي يجيب على هذه الاسئلة بالعلم الديني لانه باجابته عليها يبين للمكلف اصول دينه وما ينبثق منها ويتفرع عليها من شريعة واحكام ــ وان كان الدين الاسلامي يوجب على المكلف ان يتعلم كل علم وفن يتوقف عليه نظام المجتمع بالوجوب الكفائي الذي يسقط عن الباقين من المكلفين بقيام البعض به منهم كما يوجب تحصيل الاجتهاد الذي يمكن المكلف المجتهد من معرفة الحكم الشرعي من دليله المفيد له ــ ولذلك يصح ان نفسر العلم الديني بالعلم الذي يكون وسيلة لمعرفة ما يجب على المكلف او يستحب له شرعا ان يطلع عليه من امور دينه ودنياه في مقابل العلوم المادية التي يعكف على تحصيلها اصحابها لمعرفة امور جامدة بعيدة من خالق الكون وغاية خلقه ومعرفة ما بعد الموت من العودة للحياة من جديد لمحاسبة كل مكلف على

==========

اعماله ومجازاته عليها بالخير ان كانت خيرا وبالشر ان كانت شرا كما صرح الله سبحانه به في آخر سورة الزلزلة بقوله تعالى :

(**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يرهُ * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يرهُ**) .

فهذه العلوم الجامدة ان نفعت اصحابها ففي اطار محدود جدا ينحصر في حدود هذه الحياة الزائلة وفي الغالب تبتعد بأهلها عن الدين واحكامه العادلة ومثله السامية كما هو الملموس بالوجدان بالنسبة الى الكثيرين ممن عكفوا على دراسة العلوم العصرية المادية المجردة عن روح الدين وتعاليمه المربية الامر الذي مهد السبيل وساعد على تأثرهم بتلك الشبهات التي أُثيرت حول الدين وانه رجعي غير قابل للتطور ومواكبة ركب الحضارة والتمدن او انه افيون الشعوب يمنعها من الثورة على الظلم والظالمين لتحصيل حقوقها المهدورة .

العلم لا يجدي بغير عقيدة :

فمثل هذه العلوم مضافا الى انها لا تجلب لاصحابها النفع المعتد به فهي تسبب لهم ولمجتمعهم الضرر الكبير كما هو المحسوس الملموس بالوجدان بالنسبة الى الاجانب البعيدين عن الدين من الاول وبالنسبة الى المسلمين الذين تأثروا بشبهاتهم وضلوا بأوهامهم وأدى ذلك الى النتائج السلبية الكثيرة والخطيرة التي لا تخفى وما تلك الحروب المؤلمة والاعتداءات الظالمة التي تشن ضد المستضعفين في الداخل والخارج من اجل تحقيق الاهداف الاستعمارية التي يسعى الاستعمار والاستكبار في سبيل تحصيلها ولو ادى ذلك الى سحق الشعوب المستضعفة البريئة .

==========

اجل : ليست هذه الحروب المتحركة من بلد الى آخر إلا بعضاً من تلك النتائج السلبية والاخطار المدمرة بسبب البعد عن الدين والتحلل من قيمه السامية واحكامه العادلة .

وقد اشرت الى ذلك بمقطوعة شعرية بعثت بها من النجف الاشرف مع رسالة توجيهية الى احد المعلمين في مدرسة بلدتنا معركة وكان ذلك سنة ١٩٥٦ م تقريبا وهي كما يلي:

بعثتك الطاف السماء رســـــولا * لتشيد مجتــمعا وتبــني جــيلا

فازرع بذور الدين في افكــاره * لتنال من توجــيهه المــأمــولا

الدين مدرسة الهــدى فبغــيره * لا تستطيع الى النـــجاح وصولا
والعلم لا يجدي بغير عقـــــيدة * كالنور لا يجدي الضـــرير فتيلا
كم ذا ترقى الغرب في إبداعـــه * صور الفنون وكم تخـــطى ميلا
لكنه طرح العقيدة فـــــاغتـــدى * سيفا على رأس الهدى مســـلولا
ان التقدم في العـــلوم تـــــأخر * إن لم تهذب أنفـــسا وعـــقـــولا
لا يبعث الانوار ســـلك ثقـــافة * ما لم يكن بسنا الهدى موصـــولا
فاقرن بدرس العلم درس عقيدة * عصماء واكشف سرها المجهولا
ليسير جيـــلك للأمـــام مـــهذبا * بهدى السماء ويحـــذر التضليلا
لا زلت للأجيال خيـــر مـــثقف * تسدي بتهذيب الـــنفوس جـــميلا

هذا حاصل ما ينبغي ان نتحدث به حول العنوان الاول من العناوين الاربعة التي يمكن ان يشار بها الى الإسلام العملي الذي اعتبرنا كل واحد من اهل البيت عليهم السلام مصداقا له .

==========

الإيمان الصادق والعمل الصالح عند أهل البيت متلازمان :

واما العنوان الثاني وهو الإيمان الصادق فالمراد به الاعتقاد الحاصل من الدليل الصحيح بأصول الدين المعهودة وبما يتفرع عنها من الشريعة العادلة الكاملة المتكفلة لتنظيم حياة الإنسان فردا ومجتمعا في جميع مجالات حياته ، والشريعة الاسلامية الخاتمة من اوضح المصاديق لهذا العنوان الفرعي وهو الشريعة العادلة الكاملة .

والمقصود من العنوان الثالث وهو العمل الصالح السلوك المستقيم في نهج الشريعة القويم وهو المعبر عنه بالتقوى والعبادة بمعناها العام وهو الانقياد المطلق والخضوع الكلي لارادة الله سبحانه بكل عمل اختياري يصدر عن المكلف بارادته واختياره كما مر بيانه مفصلا في العديد من الخطب السابقة .

ومن المعلوم ان العمل بهذا المعنى ملازم لحياة كل واحد من أهل البيت عليهم السلام ملازمة النور والحرارة للشمس فلا ينفصل عنهم كما لا يتجردون منه مدة حياتهم الشريفة نظرا لعصمتهم التي تؤدي الى هذا التلازم والارتباط الوثيق بين تصرفاتهم الحياتية واستقامتها في خط الشرع القويم وصراطه المستقيم الامر الذي يجعل من نفس هذه التصرفات والتحركات الايجابية او

السلبية شرعا يطبق ويعمل به في حق الآخرين من المكلفين ومن هنا كانت السنة المطهرة وهي عندنا قول المعصوم وفعله وتقريره احد الادلة الأربعة المعهودة التي يرجع اليه المجتهد لاستنباط الحكم الشرعي منها .

وأما الخلق الفاضل وهو العنوان الرابع ــ فهو كل صفة نبيلة

==========

وخصلة جميلة حث الإسلام عليها ورغب فيها باعتبارها راجعه الى مكارم الاخلاق التي اعتبرها الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم سببا لبعثته الشريعة حيث قال : انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق .

نفحات عاطرة وقبسات زاهرة من حياة الإمام الصادق عليه السلام :

وحيث ان كل واحد من أهل البيت عليهم السلام يمثل القرآن الناطق والاسلام العملي الحي المتجسم بسلوكهم المستقيم وخلقهم الكريم بحيث تكون كل صفة نبيلة متمثلة بتصرفاتهم ومشرقة في حياتهم ، ناسب ذلك الاشارة الى بعض هذه الص فات النبيلة والاخلاق الجميلة التي تجمل بها الامام الصادق عليه السلام موضوع الحديث فنقول :

ان مكارم الاخلاق التي بعث النبي الاعظم ليتمها كثيرة وقد انعكست كلها على تصرفات كل واحد من أهل البيت ، واحب ان اشير الى ابرز هذه الصفات السامية التي اشرقت في حياة كل واحد منهم بصورة عامة وفي حياة الامام الصادق عليه السلام بصورة خاصة لنستلهم منها دروسا سامية تنور عقولنا وتهذب نفوسنا وتعدل سلوكنا عندما نتجمل بها اقتداء بهذا الامام العظيم وبقية المعصومين من آبائه وابنائه الطاهرين .

من هذه الصفات النبيلة ــ صفة الحلم ــ وهي اسمى مزية يتجمل بها الانسان في هذه الحياة ــ وفيما يلي بعض القصص المتضمنة لتجمل امامنا الصادق عليه السلام بهذه الخصلة الحميدة .

الإمام الصادق مثل أعلى في الحلم وقوة الإرادة :

القصة الأولى : وحاصلها انه عليه السلام بعث غلاما له في حاجة فأبطأ فخرج عليه السلام على أثره عندما وجده تأخر عن قضاء الحاجة فوجده نائماً

==========

وكان الجو حارا فجلس عند رأسه يروحه حتى انتبه فقال له : يا فلان ما ذاك لك تنام الليل والنهار ؟ لك الليل ولنا منك النهار .

ان اقتصار الامام عليه السلام على اللوم والعتاب بهذا الاسلوب الرقيق بعد ان جلس عند رأسه ليروحه ويخفف من حرارة الجو عنه اوضح دليل على بلوغه القمة بالتجمل بهذا الخلق النبيل وهو صفة الحلم .

القصة الثانية : كالاولى بمضمونها ودلالتها على اتصاف الامام عليه السلام بصفة الحلم السامية .

وحاصلها ان سفيان الثوري دخل عليه فوجده متغير اللون فسأله عن سبب ذلك فقال :

كنت قد نهيت أهل البيت عن ان يصعدوا فوق البيت فدخلت فإذا جارية من جواري ممن تربي بعض ولدي قد صعدت على السلم والصبي معها فلما بصرت بي ارتعدت وتحيرت وسقط الصبي الى الارض فمات فما تغير لوني لموت الصبي وانما تغير مما ادخلت عليها من الرعب وكان الامام عليه السلام قد قال لها : أنت حرة لوجه الله لا بأس عليك لا بأس عليك .

القصة الثالثة : تتضمن اتصافه بالحلم وقوة الارادة والصبر وحاصلها ان المنصور كان قد سجنه في سجن الحيرة ــ بلد في العراق ــ وعندما اطلق سراحه في اول الليل وانطلق في سبيله اصطدم بأحد رجال الامن ومنعه هذا من السير قائلا له :

لا ادعك ان تجوز فألح عليه الامام عليه السلام بطلب السماح فأبى إباء شديداً وكان مع الامام عليه السلام شخصان احدهما مولى له يدعى مصادفا والآخر أحد أصحابه ويدعى مرازما ــ فقال له مصادف : جعلت فداك ان

==========

هذا قد آذاك وأخاف ان يردك وما ادري ما يكون من أمر أبي جعفر المنصور وأنا ومرازم أتأذن لنا ان نضرب عنقه ثم نطرحه في النهر ؟ .

فقال له الامام عليه السلام : كف يا مصادف فلم يزل يطلب اليه حتى ذهب من الليل أكثره فأذن له فمضى فقال عليه السلام : يا مرازم هذا خير ام الذي قلتماه ؟ قلت : هذا جعلت فداك فقال : يا مرازم : إن الرجل يخرج من الذل الصغير فيدخله ذلك في الذل الكبير.

الإمام الصادق مثل أعلى في الحلم والكرم :

القصة الرابعة : تدل على حلمه وكرمه عليه السلام وحاصلها :

انه كان له ابن عم يدعى الحسن الافطس وكان الحسن هذا قد حمل على الامام عليه السلام بالشفرة محاولا قتله ورغم هذه المحاولة اللئيمة فقد اوصى الامام عليه السلام بأن يعطى له سبعون دينارا وذلك عندما اشرف عليه السلام على الوفاة فقيل له : اتعطي من حمل عليك بالشفرة يريد ان يقتلك ؟ .

فقال عليه السلام لمن استهجن واستغرب من الامام عليه السلام إقدامه على ذلك : اتريد ان لا اكون من الذين قال الله عز وجل في حقهم :

(**والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب**) [1] .

إن الله خلق الجنة فطيبها وطيب ريحها وان ريحها ليوجد من مسافة الفي عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم .

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ٢١ .

==========

وهذه القصة تدل على جمعه عليه السلام بين صفتي الحلم والكرم ، وفيما يلي بعض القصص الدالة على كرمه وإحسانه عليه السلام .

منها : ما تحدث به هشام بن سالم عنه بقوله :

كان ابو عبد الله عليه السلام اذا اعتم وذهب من الليل شطره اخذ جرابا فيه خبز ولحم ودراهم وحمله على عنقه ثم ذهب الى اهل الحاجة من اهل المدينة فقسمه فيهم وهم لا يعرفونه فلما مضى ابو عبد الله عليه السلام فقدوا ذلك فعلموا انه كان ابا عبد الله عليه السلام .

ومنها : ما تحدث به سعيد بن بيان بقوله : مر بنا المفضل بن عمر وانا وختن لي نتشاجر في ميراث فوقف علينا ساعة ثم قال لنا تعالوا الى المنزل فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائة درهم دفعها من عنده حتى اذا استوثق كل واحد منا صاحبه قال الفضل : أما إنها ليست من مالي ولكن أبا عبد الله الصادق عليه السلام امرني اذا تنازع رجلان من اصحابنا ان اصلح بينهما وأفتديهما من ماله فهذا مال ابي عبد الله عليه السلام .

ومما يدل على كرمه النبيل ما روي عنه عليه السلام من انه كان اذا نضج ثمر بستان له أمر أن يثلم في حيطانه الثلم ليدخل الناس ويأكلوا .

الإمام الصادق مثل أعلى في الزهد والقناعة :

وهناك قصة اخرى تدل على مدى زهده عليه السلام في متاع هذه الدينا وقناعته بما يحصل له منها :

وحاصلها انه دعا مصادفاً مولاه وأعطاه الف دينار وقال له فتجهز حتى تخرج الى مصر فإن عيالي قد كثروا فتجهز بمتاع وخرج مع التجار الى مصر فلما دنوا من مصر استقبلتهم قافلة خارجة من مصر فسألوهم

==========

عن المتاع الذي معهم ما حاله في المدينة فأخبروهم ان ليس في مصر منه شيء فتحالفوا وتعاقدوا على ان لا ينقضوا ربح الدينار ديناراً فلما قبضوا اموالهم انصرفوا الى المدينة فدخل مصادف على ابي عبد الله عليه السلام ومعه كيسان في كل واحد الف دينار فقال : جعلت فداك هذا رأس المال وهذا الآخر ربحه فقال عليه السلام : ان هذا الربح كثير ولكن ما صنعتم في المتاع فحدثه بما صنعوا وكيف تحالفوا فقال عليه السلام : سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين الا تبيعوهم الا بربح الدينار دينارا ثم اخذ عليه السلام احد الكيسين فقال هذا رأس المال ولا حاجة لنا في الربح .

وبملاحظة مجموع هذه القصص يتأكد عندنا ما هو المعروف المشهور في حياة أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم الغراء التي كانت تجسيدا حياً لتعاليم الاسلام وتفسيرا عمليا لآيات القرآن الكريم وبهذا الاعتبار صح وصفهم والتعبير عنهم بأنهم الاسلام العملي والقرآن الناطق .

ونحن عندما نتحدث بمزاياهم الحميدة وسيرتهم المجيدة فلا نقصد بذلك مجرد التسلي بما يريح النفس ويدخل السرور على القلب ولا لمجرد التبرك وتحصيل الثواب بالتحدث بفضائلهم كما يتلو الكثيرون آيات القرآن الكريم لاجل التبرك ونيل الاجر .

المقصود من التحدث بفضائل أهل البيت استفادة الدروس من حياتهم :

أجل : لا ينبغي ان يكون المقصود من التحدث بفضائلهم ما ذكرت فقط بل هناك هدف اسمى وغاية ارقى وهي استلهام العظة والعبرة من سيرتهم واستيحاء الدروس السامية في العقيدة الراسخة والاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة من سلوكهم المستقيم وخلقهم العظيم باعتبار

==========

ان كل واحد منهم نموذج حي ومثل اعلى لكل ما في الاسلام من قيم رفيعة ومثل سامية شاءت العناية الإلهية والحكمة السماوية ان تتجسد في حياتهم ليكونوا بذلك موضحين ما في الاسلام من دروس وتعاليم ومجسدين لهذه الدروس على الصعيد الخارجي بالعمل والتطبيق وبهذا وذاك كانوا عدل القرآن الذي تركه الرسول الاعظم الى جانبه ليكون تطبيقا لتعاليمه وتفسيرا لما اجمل من مفاهيمه وطلب من الأمة التمسك بهما معا حتى يصونها بذلك من الضلالة وتبقى سائرة في نهج التقوى والهداية .

وهذا هو مضمون حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين وقد نقل بعدة اساليب وهي متفقة بالمضمون والمحتوى منها ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله :

« إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي احدهما اعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما » .

ختام المسك ومسك الختام نفحات شعرية في مدح الإمام عليه السلام :

هذا ويسرني ان اختم الحديث عن شخصية الامام الصادق عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه المطهرين افضل التحية وازكى التسلم بالمقطوعة الشعرية التالية لتكون مسك الختام وختام المسك :

من قلبه نبع الهـــــدى يتفجر * وبفكره أُفـــــق الرسالة يزهر
وبعلمه ملأ الحياة معـــــارفا * للحق تشرق من سناها الاعصر
استاذ ارباب المذاهب كم سما * للمجد مـــن عرفـــانه متبـــــحر
وبذاك تعرفه وان لم ينطـــلق * ببيانه نصا لـــــسان يـــــــذكر

==========

كالشمس يكشفها الضياء وإن غدت * خلف السحائب مرة تتـــستر
واذا اردت تيمـــــــنا بـــــبيانـــه * فهو الإمام أبو الأئمة جعفر

بعلومه تحيى القــلوب وذكـــــره * بأريجه لسن الثنا تــتعــطر

والسلام عليكم ايها الاخوان الاعزاء والابناء الاحباء اولا وآخرا ورحمة الله وبركاته .